مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٠١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
سكرتير التحرير
محمود الشرقاوي
بدل الاشتراك

الجزء التاسع — رمضان سنة ١٣٨٠هـ — فبراير ١٩٦١م — المجلد الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

اللزوميات والصيام

للأستاذ عباس محمود العقاد

يقول الدكتور طه حسين في كلامه على اللزوميات : « إن لزوم ما لا يلزم هو شعار أبي العلاء في جميع أطوار حياته بعد رجوعه من بغداد . فقد التزم في شعره ونثره وسيرته أشياء لم يلتزمها من قبل ، ولم يكن من الحق عليه التزامها ، وإنما آثرها حين راض نفسه على تكلف المشقة واحتمال المكروه . فالتزم في اللزوميات أن تكون القافية على حرفين ، أي أن يلتزم حرفا لو أسقطه لما كان متجاوزا قواعد القافية » .

ويقول الدكتور كامل حسين في تعليل كلف المعري بالتزام ما لا يلزم : إنه « كان بطبيعته متديناً غاية التدين . . . ودليل التدين أمران : أن يعمل الإنسان أعمالا صالحة ليس مضطراً إلى عملها إلا بدافع من نفسه ، وأن يمتنع عن أمور سيئة لا يمنعه منها إلا وازع من نفسه . . فالتدين في الواقع ليس إلا لزوم ما لا يلزم إيجابا وسلبا » .

هذان تفسيران لطريقة المعري في نظم اللزوميات تلتقيان في معنى واحد، وهو تطوع

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة المجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٠١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
سكرتير التحرير
محمود الشرقاوي
بدل الاشتراك

الجزء التاسع — رمضان سنة ١٣٨٠هـ — فبراير ١٩٦١م — المجلد الثاني والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

اللزوميات والصيام

للأستاذ عباس محمود العقاد

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

يقول الدكتور طه حسين في كلامه على اللزوميات : « إن لزوم ما لا يلزم هو شعار أبي العلاء في جميع أطوار حياته بعد رجوعه من بغداد . فقد التزم في شعره ونثره وسيرته أشياء لم يلتزمها من قبل ، ولم يكن من الحق عليه التزامها ، وإنما آثرها حين راض نفسه على تكلف المشقة واحتمال المكروه . فالتزم في اللزوميات أن تكون القافية على حرفين ، أي أن يلتزم حرفا لو أسقطه لما كان متجاوزا قواعد القافية » .

ويقول الدكتور كامل حسين في تعليل كلف المعري بالتزام ما لا يلزم : إنه « كان بطبيعته متديناً غاية التدين . . . ودليل التدين أمران : أن يعمل الإنسان أعمالا صالحة ليس مضطراً إلى عملها إلا بدافع من نفسه ، وأن يمتنع عن أمور سيئة لا يمنعه منها إلا وازع من نفسه . . فالتدين في الواقع ليس إلا لزوم ما لا يلزم إيجابا وسلبا » .

هذان تفسيران لطريقة المعري في نظم اللزوميات تلتقيان في معنى واحد، وهو تطوع

المعرى لاحتمال الشدة التى لا يحتملها غيره إلا مطيعا للسلطان المفروض عليه . فهو فى التزامه ما لا يلزم فى نظم الشعر ، يجرى على العادة التى التزمها فى ملازمة داره ، وفى الصيام عن اللحوم ومآكل الترف والنعمة ، وفى العزوف عن غرور الجاه والثراء ، ويجوز أن يكون هذا الالتزام كما نرى نوعا من « التحدى » للمصائب والمحن كأنه يقول لها : « بيدى لا بيد عمرو » . كما يجوز أن يكون ذلك أنفة من الزحام الذى يعجزعنه ويقدر أنه يعرضه للعبث والسخرية وهو الذى استكثر على وقار أبيه أن يخف للزحام فى موقف الحشر حين رثاه فى أوائل صباه فقال :

ويا ليت شعرى هل يخف وقاره
مع الناس أو يأبى الزحام فيستأنى

ويقول الدكتور كامل حسين : إن التزام ما لا يلزم ظاهرة من ظواهر الفريضة الدينية قول صحيح يصدق على سليقة التدين وعلى أصل من أصوله العميقة وهو الرضا بالتضحية والفداء والصبر على المشقة والصيام عن الملذات . وكلا التفسيرين يوافق المعهود من خلق المعرى ومن سيرة حياته ، وقد يغنى عن المزيد فى تفسير اللزوميات لولا ملاحظة لا بد منها عند النظر إلى أدب المعرى وأدب معاصريه ، وهى أن المعرى لم يكن وحيداً فى عصره وأن طريقته هذه لم تكن هى الطريقة الوحيدة بين شعراء عصره وأدبائه . فإنهم كادوا جميعاً أن يلتزموا شيئاً لا تلزمهم إياه قواعد العروض أو قواعد الكتابة ، وقد عرضوا لنا من هذه الناحية ظاهرة عصرية تحتاج إلى تفسيرها ولا يغنينا فيها تفسير طريقة اللزوميات أو مزاج أبى العلاء .

فلماذا هذا الولع بما لا يلزم بين أبناء الجيل كله ومن يليهم من الشعراء والكتاب إلى القرن السادس أو بعده بقليل ؟ .

لاخفاء بسبب هذا الولع إذا نحن تذكرنا أن القرن الرابع للهجرة هو القرن الذى جاء بعد عصر المخضرمين ، وشاعت فيه شبهات العجمة وغلبة السيادة الأعجمية على البلاد العربية فخولطت فيه لغة العرب بلغة الدخلاء والمولدين . وقيل فيه : إنه طليعة عصر المتأخرين ونهاية عصر الأوائل الذين يحتج بهم ويجوز للأديب أن يستشهد بكلامهم للتمييز بين الفصيح والأعجم ، وبين العربى والدخيل .

إن تسمية أدباء ذلك العصر باسم المتأخرين والمولدين هى الشبهة التى وقرت فى نفوسهم وكلفتهم أن يدفعوا تلك الشبهة بالمبالغة فى التزام ما لا يلزم على شتى الوجوه والأساليب وكلفتهم مع هذا أن يصطنعوا شعر الحكمة والمثل السائر ، مخافة أن يقال : إن السلف قد

ذهبوا بالحكمة وجوامع الكلم ولم يترك المتقدمون قولا للمتأخرين .

ولقد كان أبو العلاء أشدهم حرصا على عروبته ودفعا لشبهة التخلف فى لغته وأدبه ، وفخرا بالتقدم على غيره ، ولم ينظم شعراً فى الفخر إلا جعل « هذا التقدم » أول مفاخره فيه ، فهو القائل :

وإنى وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل

وهو القائل ويريد مكانته كما يريد وجهته وقبلته إقبالا وإعراضاً مع الكبراء والأمراء :

ورائى أمام والأمام وراء
إذا أنا لم تكبرنى الكبراء

وهو الذى جعل اللغة ومشكلاتها وأسرار كلماتها وألغازها شغله الشاغل فى رسائله ومصنفاته . وقال الدكتور كامل حسين ، بحق : إنها حلت عنده محل ألغاز الأساطير وأسرار العبادات عند اليونان الأقدمين .

فإذا كان مزاج المعرى هو الباعث الأول له على تحديه للحن وأنفته من الزحام فمزاج العصر كله هو الذى كان يوحى إلى الشاعر « المتأخر » أن يقول : إنه صانع لما لم يصنعه الأوائل ، وقادر على التزام ما لم يلتزموه ! .

وكان غيره من شعراء القرن الرابع يلتزمون شيئا لم يلتزمه الأوائل ، فيقول (أبو الفتح البستى) فى شعره :

إذا أقر على رق أنامله
أقر بالرق كتاب الأنام له

ويجانس فى قافيته فيقول :

ولا تعد الحديث إن طبعهم
موكل بمعاداة المعادات

وهو القائل فى منثوره : « من أصلح فاسده أرغم حاسده ... والمنية تضحك من الأمنية . . . وعادات السادات سادات العادات » .

ويمضى الملتزمون ما لا يلزم على هذا السنن حتى نرى الحريرى ينظم الأبيات من حروف مهملة أو حروف معجمة أو يوالى بين الحروف حرفا مهملا يتلوه حرف معجم .

أو ينظم البيت من بحرين وقافيتين كما قال :

يا خاطب الدنيا الدنية إنها
شرك الردى . وقرارة الأكدار
دار إذا ما أضحكت فى يومها
أبكت غداً ، تبا لها من دار

ويزيد بعض المتأخرين فيلتزم القافية ثلاث مرات أو أكثر فى البيت الواحد كما قال النابلسى من التسميط .

جزيل السخاء ، جميل العطاء
جليل العلاء ، من النجم أهدى
سريع الجواب ، رفيع الجناب
وسيع الرحاب ، حبا الوفد رفدا

وكان بديع الزمان يلتزم ما لا يلزم على طريقته فيبدأ الكتاب من ختامه ويعيده بعد تمامه ، ويحكيه الكتاب والشعراء فى ضروب من الالتزام ، على هذا النظام وعلى غير هذا النظام .

وقل من شعراء القرن الرابع وما بعده من لم ينظم القصائد الطوال فى الحكمة والمثل السائر ، ليدفع عن المتأخرين شبهة التقصير عن شأو المتقدمين .

فالبستى المتقدم ذكره هو صاحب النونية الحكيمة — التى يقول فى مطلعها :

زيادة المرء فى دنياه نقصان
وربحه غير محض الخير خسران

والتهامى صاحب المرثية الحكيمة التى يقول منها :

طبعت على كدر وأنت تريدها
صفوا من الأكدار والأقذار
ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب فى الماء جذوة نار

والطغرائى يقابل لامية العرب بلامية العجم ويقول فيها من الحكمة :

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل
وحلية الفضل زانتنى لدى العطل
أعلل النفس بالآمال أرقبها
ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

وغير هؤلاء بين أواخر القرن الثالث وأواخر القرن السابع كثيرون من شعراء الافتنان فى لزوم ما لا يلزم على أنماط وأشكال ومن شعراء الحكم والأمثال لكيلا يقال : إنهم دون المتقدمين فى هذا المجال .

وكل هؤلاء شركاء للمعرى فى سبب أصيل من أسباب الولع بالتزام ما يلزم واصطناع الحكمة والمثل وليس يمتنع مع هذا أن يكون للمعرى سببه الذى غلبت عليه فطرة التدين والتضحية المقصودة للتحدى والاطمئنان إلى الحرمان . . . فإن النفس البشرية شبكة عجيبة من الدوافع والموانع ، تجمع بين النقائض ولا يمتنع عليها أن توفق بين التضحية ونقيضها من الفخر وحب الاستعلاء ؟

عباس محمود العقاد

نداء من لا جيء . . . !

أخى فى الشرق والأمجاد ، والتاريخ ، والدين .
حنانك إن ليل النيه يعصف بى ويطوينى .
أخى قد عربد الإعصار ، مد يديك واحمينى .
ومزق عن يدى قيدى ، فقيد الذل يضوينى . . !

كيف كان الأزهر حصنا للغة العربية

بقلم : أحمد حسن الزيات

أن المعنى الذى يبدر إلى الذهن من لفظ الأزهر أنه جامعة إسلامية تدرس فيها علوم الدين واللغة ، ولكن المؤمن المتأمل الواعى إذا ذكره أو دخله وكان مهيأ بطبعه للاتصال الروحى بماضيه المشرق وتاريخه الحافل انثالت على خاطره منه دلالات وذكريات وطيوف تملأ النفس خشوعا وجلالا وروعة، فالأزهر كلمة من الكلم النوابغ الجوامع ، فى لفظها استيعاب ووعى ، ولمعناها إشعاع ووحى ، فهى زمان ومكان ودين ودنيا وتاريخ ، يعنى الأزهر فيما يعنى المنار الذى ارتفع فى طريق الدعوة العظمى ثم ثبت بنيانه على رجف الزلازل وانتشر ضوءه على عصف الرياح ، وقاد الشعوب الإسلامية فى ظلمات الخطوب والحروب إلى ملتقى السلامة والكرامة والوحدة .

ويعنى الأزهر فيما يعنى المعقل الذى حفظ الثقافة العربية ألف سنة ونيفا ، يسهر عليها ويزيد فيها وينفق منها على طلاب المعرفة فى الشرق والغرب ، على حين دمر الجهل والكفر حصونها فى بغداد والأندلس .

ويعنى الأزهر فيما يعنى ، الحصن الذى اعتصمت به اللغة العربية من عدوان الشعوبية والعامية والتركية حين استعجم اللسان واسترك السلطان وفشت الجهالة ، وضعفت الخلافة وعز الناصر وذل الأهل .

ويعنى الأزهر فيما يعنى القبلة الثانية التى يوجه المسلمون فى جميع أقطار الأرض قلوبهم إليها يتلمسون على هداها الطريق إلى الحق والسبيل إلى الله .

ويعنى الأزهر فيما يعنى الملاذ للشعب المظلوم كلما عسفه الطغيان وبغى عليه الحكم فيأوى منه إلى ركن شديد وحام قادر .

ويعنى الأزهر فيما يعنى الجامعة العالمية التى يؤمها الطلاب من كل أرض ومن كل جنس ومن كل لون ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، لا يبغون من وراء ذلك مالا ولا جاها ولا شهرة .

ويعنى الأزهر فيما يعنى الخانقاة التى آوت العباد والزهاد والوعاظ وحفظة القرآن وحملة البركة .

ويعنى الأزهر فيما يعنى القاعدة الروحية التى كان يخشاها المستعمرون فحاولوا سرا وعلنا أن يدمروها ليتقوها ، فلما استيأسوا

(*) نص المحاضرة التى ألقيت فى قاعة المحاضرات الكبرى للجامعة الأزهرية .

من تدميرها أو إضعاف تأثيرها سالفوها ونافقوها. ثم جهدوا أن يستميلوها ليستغلوها

ويعنى الأزهر فيما يعنى، الصرح الوطنى الذى أجج الثورات على الفساد، وخرّج القيادات للجهاد، وقام من نهضة العرب الحديثة مقام الرأس واليد، يمدها بالروح ويرفدها بالقوة. ثار على الغزو الفرنسى بقيادة ستة من علمائه، وثار على الطغيان التركى بقيادة شيخه عبدالله الشرقاوى، وثار على الظلم الخديو بقيادة ابنه أحمد عرابى، وثار على الاحتلال البريطانى بقيادة ابنه سعد زغلول.

كل أولئك يعنيه لفظ الأزهر، وأكثر من أولئك يلازم معنى الأزهر، ولكنى بسبيل الحديث عن نصيب اللغة العربية من فضل الأزهر فلا أخوض فى حديث غيره.

إن فضل الأزهر على اللغة العربية مستمد من فضل القرآن الكريم عليها؛ وبعض فضله أنه كسبها عذوبة فى اللفظ ورقة فى التركيب ودقة فى الأداء وقوة فى المنطق وثروة فى المعانى. وكان سببا فى استحداث العلوم الشرعية والأدبية التى حفظت مادتها بالقواعد وفى المعجمات، ووسعت دائرتها بالألفاظ والمصطلحات، كالنحو والصرف والاشتقاق لدفع اللحن عنه، والمعانى والبيان والبديع لتقرير الإعجاز فيه، وعلى اللغة والأدب لتفسير غريبه وتوضيح مشكله، والحديث والأصول والفقه والتفسير لاستنباط أحكام الشرع منه، وهو الذى وحدها على كل لسان، ونشرها معه فى كل مكان. وحفظها أربعة عشر قرنا إلا قليلا لا تفسد ولا تجمد ولا تتغير مصداقا لقول الله تعالى: «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» وحفظ القرآن يستلزم حفظ لغته، والناظر فى تاريخ الأديان السماوية والأرضية لا يجد دينا حملته لغته التى أنزل بها أو كتب فيها إلى أقصى الشرق وأقصى الغرب فى مدى ١٣٨٠ سنة ثم بقيت محافظة على قوتها وجدتها ووحدتها وطبيعتها إلا دين الإسلام ولغة العرب. أما سائر الأديان فلا نقرأ كتبها الأصلية إلا فى لغة البلد الذى ظهرت فيه. فإذا نقلت إلى بلد آخر عن طريق الدعوة قرئت مترجمة إلى لغته، واختص بمعرفة الأصل طائفة قليلة من رجال ذلك الدين، فمدونة الأسفار البوذية المسماة بالسلات الثلاث لا يقرأها أتباع هذه الملة فى الصين واليابان إلا منقولة إلى الصينية واليابانية، والتوراة والإنجيل - وهما كتابان منزلان - لا يقرآن فى العالم المسيحى إلا فى لغة كل قطر من أقطاره، لذلك ظل تأثيرهما فى الآداب الأخرى ضئيلا حتى ترجما إلى اللاتينية واليونانية القديمة فظهر أثرهما قويا فى الآداب الأوربية.

وليس كذلك الحال فى القرآن ، فإن المسلمين اعتقدوا بحق أن لغته جزء من حقيقة الإسلام . لأنها كانت ترجمانا لوحى الله ولغة لكتابه ومعجزة لرسوله ولسانا لدعوته ، ثم هذبها النبى الكريم بحديثه ونشرها الدين بانتشاره وخلدها القرآن بخلوده . فالقرآن لا يسمى قرآنا إلا فيها ، والصلاة لا تكون صلاة إلا بها ، لذلك سارعوا إلى تعلمها والتكلم بها والتأليف فيها والتعصب لها والدفاع عنها والدعوة إليها حتى حلت محل الفارسية فى العراق والرومية فى الشام والقبطية فى مصر والبربرية فى المغرب ، وأصبحت فى عصر بنى العباس وهو عصرها الذهبى لغة الدين والأدب والعلم والسياسة والإدارة والحضارة فى أكثر الدنيا القديمة ، وأصبح المسلم على اختلاف جنسه ينتقل من قطر إلى قطر فى عالمه الإسلامى كما ينتقل من بلد إلى بلد فى وطنه الأصلى ، لا يجد مشقة فى التفاهم ، ولا صعوبة فى التعامل ، ولا شدة فى المعيشة . ثم شغل المسلمون - عربهم وعجمهم - بالقرآن وفرغوا له ، فكان دعاءهم فى المسجد ، ونظامهم فى البيت ، ومناهجهم فى العمل ، ودستورهم فى الحكومة ، فسرى هديه منهم مسرى الروح ، وجرى وحيه فيهم مجرى الطبع ، وأثر فى ألسنتهم وأفئدتهم وأنظمتهم تأثيراً لم يؤثره كتاب سماوى آخر فى أهله .

ومن هنا كانت ثقافة الإسلام قائمة على ركنين أساسيين هما الدين بعلومه المختلفة واللغة بفنونها المدونة ، وهذان الركنان يشد أحدهما الآخر ويمسكه ، فالإسلام بغير العربية ينبهم ويضمحل ، والعربية من غير الإسلام تنكمش وتزول ، واللغات السامية مدينة ببقائها للدين ، فلولا اليهودية ما بقيت العبرية ، ولولا المسيحية ما بقيت السريانية ، ولولا الإسلام ما بقيت العربية ، ولكن الفرق بين بقاء العربية وبقاء العبرية والسريانية هو الفرق بين الروح والذماء أو بين العين والأثر . والأزهر وهو وارث النبوة وحامى العقيدة وناشر الدعوة لا يمكن أن تقوم رسالته إلا على هذين الركنين ، وقد أداها بتأييد الله وتوفيقه تأدية أحلته من العالم الإسلامى كله محل الزعامة .

على أن فضله على علوم القرآن وعلوم اللسان قد يشاركه فيه بالكثير أو بالقليل طائفة من المدارس والجوامع أنشأها السلاطين فى القاهرة ودمشق وحلب وبغداد والنجف وقرطبة والقيروان والزيتونة ، كالناصرية والقمحية والصلاحية والمؤيدية والمنصورية والشيخونية والظاهرية والكاملية والنظامية ، ولكن هذه المدارس التى عفى على أكثرها الزمن لم تستطع فى حياتها منفردة أو مجتمعة أن تطاول الأزهر فضله

الخالد على اللغة العربية فى بقائها لسانا للعلم ورباطا للمسلمين إلى اليوم .

* * *

تحيفت الخطوب السود لغة القرآن فى محنتين أشفت فيهما على الموت لولا أن تداركها الله بفضله : محنة الغزو المغولى فى منتصف القرن السابع حين انتكث فتل العباسيين فى العراق بتنافس الفرس والترك ، وتحارب الشيعة والسنة ، وذهاب جلال الخلافة من النفوس ، فقوض هولاكو عرشها سنة ٦٥٦ هـ ، وتضعضع أمر الأمويين فى الأندلس بتغلب البربر والموالى على ملكهم وتقسيمه بينهم إلى دويلات سهل على الفرنج ازدرادها قطعة قطعة حتى ابتلعوها لقمة سائغة سنة ٨٩٨ هـ . . . ودالت دولة الفاطميين فى مصر والشام فوقعتا فى أيدى الأيوبيين ، ثم صارتا إلى المماليك وظلتا تحت سلطانهم حتى دخلتا فى حكم الأتراك العثمانيين سنة ٩٢٣ هـ ، فأتى على العرب ستون وخمسمائة عام لم يكن لهم فيها سلطان ولا ملك ، فأصبحت ديارهم وآثارهم نهبا مقسما بين المغول والترك والفرس والجركس ثم الأسبان بعد قليل ، وكان أكثر هؤلاء الأعجام وحشيين أميين فخربوا الدور وهتكوا الخدور وجمعوا اللغة وآدابها وعلومها بتحريق المكاتب وتعطيل المدارس وتقويض المراصد وتقتيل العلماء . ناهيكم بما فعله التتار فى بخارى وبغداد ، والصليبيون بالشام ، والفرنج بالأندلس ، فلو أن الزمان عفى على اللغة العربية وألحقها بأخواتها السامية لما كان ذلك خارقا لطبيعة الأشياء ولا بدعا فى منطق التاريخ ، ولكنها بقيت على الرغم من هذه الخطوب لسانا للدين والعلم ، ولغة للحكومة والأمة فى بلاد المغرب ومصر والشام وبلاد العرب والجزيرة ، ولولا نعرة الترك وعصبية الفرس لكانت لغة المسلمين كافة .

والفضل فى بقائها بعد إدبار الزمان والسلطان عن أبنائها ، إنما كان لهذا الأزهر الجليل الذى اختصه الله بمزايا تميز بها على غيره ، منها صبغته العربية الخالصة بحكم نشأته وبيئته ، وموقعه الوسط بين الشرقين الأدنى والأوسط ، فكان ملتقى المسلمين من هنا ومن هناك ، ومنها قربه من الحجاز فكان طريق الحجاج والرحالين من علماء إفريقية والأندلس ومنها تخريجه طائفة كبيرة من أعلام الفقه وأعيان الأدب جمعوا شتات اللغة والعلوم والآداب فى أسفار أشبه بدوائر المعارف ، ومنها مكانته التى بلغت من قلوب المسلمين والحاكمين مبلغ القداسة وكان لها أثر بالغ فى حل بعض المشكلات السياسية والاجتماعية ، ومنها كفايته الأساتذة والطلاب مؤونة العيش بأن كفل لهم الغذاء والكساء والمأوى والكتاب ، ومنها إيواؤه الناجين بحياتهم ودينهم وعلمهم

وأدبهم وكتبهم من غارة المغول حين اكتسحوا خراسان والفرس والعراق، فكان من مهاجرة هؤلاء العلماء من الشرق والغرب إلى القاهرة من البحث والابتكار ما كان لمهاجرة علماء المسيحية من القسطنطينية إلى روما من البعث والازدهار. ومنها مناصرة الأيوبيين له بالمال والتعضيد؛ لأنهم وإن كانوا أكرادا قد تكلموا بلغة العرب وتأدبوا بأدب العرب ونبغ من بينهم الشاعر والعالم والمؤرخ، كالملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء، والملك الأفضل علي بن صلاح الدين، وكان هذا الملك ضعيف الرأي كثير الغفلة فغلبه عمه العادل أبو بكر وأخوه العزيز عثمان على ملك الشام ومصر، فكتب إلى الخليفة الناصر العباسي كتابا يشكو إليه فيه ذلك وقد بدأه ببيتين من الشعر أجاد في نظمهما كل الإجادة وهما :

مولاي إن أبا بكر وصاحبه
عثمان قد أخذا بالسيف حق علي

فانظر إلى حرف هذا الاسم كيف لقي
من الأواخر ما لاقى من الأول

يريد بأبي بكر عمه، وبعثمان أخاه، وبعلي نفسه، فأجابه الخليفة الناصر بقوله :

وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا
بالصدق يخبر أن أصلك طاهر
غصبوا عليا حقه إذ لم يكن
بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فإن غدا عليه حسابهم
وابشر فناصرك الإمام الناصر

والجزالة ظاهرة في شعر الملك الكردي ظهور الركاكة في شعر الخليفة العربي !.

كذلك أقول في المماليك فقد أيدوه وأمدوه؛ لأنهم اتخذوا مصر وطنا، والإسلام دينا، والعربية لغة، وكان من بينهم شعراء عالجوا القريض وأجادوه كالسلطان الغوري، هؤلاء المماليك قد عضدوا العلماء وقربوا الأدباء، وشدوا أزر المعلمين والمؤلفين، حتى خرج الأزهر في ظلهم أولئك الأئمة الذين استودع الله صدورهم ذخائر العلم والحكمة فأودعوها الكتب، وأخرجوها للناس : كجمال الدين بن منظور، وجمال الدين بن هشام، وشمس الدين النويري، وابن فضل الله العمري، وشمس الدين الذهبي، والحافظ بن حجر العسقلاني، وأبي العباس القلقشندي، وتقي الدين المقريزي، وبدر الدين العيني، وسراج الدين البلقيني، وبدر الدين الدماميني وشمس الدين السخاوي، وكمال الدين الدميري، وجلال الدين السيوطي، وتقي الدين القشيري المعروف بابن دقيق العيد.

لهذه المزايا انتهت إلى الأزهر في القرون الثلاثة السابع والثامن والتاسع زعامة الثقافة

فى جميع البلاد العربية والإسلامية ، لحفظ وجود اللغة ، ورفع سقوط الأدب ، وجمع شمل العلم ، ولولاه لانقطع ما بين الأدبين القديم والحديث .

أما المحنة الأخرى التى امتحنت بها العربية وكان للأزهر الفضل فى وقايتها وسلامتها فهى محنة الغزو التركى فى أوائل القرن العاشر حين استولى السلطان سليم على مصر والشام سنة ٩٢٣هـ فاصبحت الخلافة عثمانية لا عباسية ، وعاصمة الإسلام القسطنطينية لا القاهرة ، واللغة الرسمية التركية لا العربية ، ومكث الغازى سليم فى مصر بعد الغزو ثمانية أشهر سلبها فيها أنفس أعلاقها من الكتب والتحف والآثار لنوابغ الفنانين والمؤلفين الذين تخرجوا فى الأزهر وأنتجوا فى مصر مدى القرون الثلاثة التى سبقت الغزو العثمانى ، وأخذ الغزاة يغلبون لغتهم على اللغة العربية فى الدواوين ، ويطاردونها فى المدارس ، حتى كانوا يعلمون قواعد اللغة العربية باللغة التركية فى الشام والعراق ! ففشا فى اللغة العامى والدخيل ، وذهبت أساليبها من النظم والنثر ، وخيم الظلم والظلام على النفوس فخمدت القرائح ، وضعفت رغبة الحكام فى العلم . وانقطعت أسباب الطلب له ، واستطاع الترك أن يتركوا كل شىء فى مصر من سياسة وإدارة وتعليم وجيش إلا الأزهر ، فقد راعتهم ما أحسوا من جلاله وما عهدوا عن مجده ، فوقفوا على أبوابه خاشعين يقتبسون منه العون على ما ينجم من أحداث ، والرأى فيما يشكل من الأمور .

والسلطان سليم نفسه قد زاره مرارا فصلى فيه وتبرك به . ومن قبل قد غزا الأزهر بلاد الأتراك بعلمه وأدبه وكتبه فعرب طائفة منهم تعلموا العربية وتكلموا بها وألفوا فيها كالفيروزابادى وأبى السعود والفنارى وملا خسرو والجامى والخيالى وخوجه زاده وملا مسكين وملا لطفى وحاجى خليفة وطاشكيرى زاده وابن كمال باشا . وكان سلاطين العثمانيين أنفسهم يدرسون العربية وآدابها كما كانوا يدرسون التركية وآدابها ، ومنهم من قرض الشعر العربى ورواه كالسلطان أحمد الأول فقد رووا له قصيدة غزلية مطلعها .

ظبي يصول ولا وصول إليه
جرح الفؤ بصارمى لحظيه

ولم تضعف عناية علماء الترك بالعربية إلا فى عهد السلطان محمود الثانى وابنه السلطان عبد المجيد الأول حين أحييا اللغة التركية وقربا مواردها وبسطا قواعدها وسمياها اللغة العثمانية . فأنتم ترون أن اللغة العربية قد أتى عليها ستة قرون قضتها بين الاحتضار والموت ، ثلاثة منها فى العصر المغولى ، وثلاثة أخرى فى العصر العثمانى ، امحت فيها من الهند وخراسان والعراق وبلاد الروم والأندلس ، وبقيت

فى الأقطار العربية بقاء المريض أشرف على الموت ولم يبق منه إلا رمق ، ذلك الرمق هو الذى كفله الأزهر وتعهده فغذاه وقواه ورعاه ، حتى إذا انجاب عن مصر قتام الحكم العثمانى وأراد الله لشمس الحضارة أن تشرق مرة أخرى على وادى النيل زايل اللغة الوهن وسرت فيها الحياة ، فى الأزهر كان ملاذها وغياثها ، وفى الأزهر كان بقاؤها وانبعاثها .

كان الأزهر بعد انتهاء تلك الغمرة باحتلال نابليون ، وابتداء هذه النهضة باستقلال محمد على ، قائد الشعب فى الكفاح ورائد الحكومة فى الإصلاح . تمثلت قيادته فى شيوخه الأجلاء خليل البكرى ، وعبدالله الشرقاوى ، ومحمد المهدى وسليمان الفيومى ، وحسن العطار . وتجلت ريادته فى طلابه النجباء الذين أرسلوا إلى أوربا ليستفيدوا ويستزيدوا ، كابراهيم النبراوى ، وأحمد حسن الرشيدى ، ومحمد على البقلى ، ورفاعة الطهطاوى ، وعلى مبارك ، وتلك يد أخرى لهذا المعهد الجليل على اللغة العربية ، ساعدها على النهوض ، كما حماها من قبل دون السقوط .

* * *

هاتان هما المحنتان اللتان عانتهما العربية فى عهدين متواليين ، ثم جعل الله نجاتها منهما بفضل الأزهر حفظا لكتابه وصونا لدينه .

وهذه محنة ثالثة تجتازها اللغة اليوم وتوشك أن تبلبل اللسان وتعطل القرآن ، وتقطع الدين عن أصله ، وتفصل العربى عن أهله ، وتهبط بالأدب من جبل الوحى وهيكل عطارد حيث الترفع والسمو والنبل ، إلى حضيض المادية حيث التسفل والتبذل والفحش .

تلك هى محنة الإباحية اللغوية التى تغلب العامية على الفصحى ، وتؤثر أدب العامة على أدب الخاصة ، وتفضل الموضوع المثير على الموضوع المنير . وتريد أن يكتب الكاتب وينظم الشاعر كما يشاء ، لا يتقيد بقاعدة من نحو ولا قياس من صرف ولا نظام من بلاغة ولا وزن من عروض ولا مثال من خلق . ولهذه المحنة أو المشكلة أصلان : الاستعمار والجهل .

أما الاستعمار فلأنه رأى أن الرابطة بين المسلمين على اختلاف أقطارهم وتباعد ديارهم هى الدين واللغة ، وما دامت أمة محمد روحا واحداً بالإسلام ، ولسانا واحداً بالعربية ، فإن استغلالها موقوت وإن طال ، وإن استقلالها آت وإن تأخر ، لذلك سعت فرنسا سعيها الدائب فى الجزائر لفتنة البربر عن دينهم بإصدار الظهير المعروف ، وقطع العرب عن لغتهم بطردها من المدارس والدواوين . ولكن دين الله كان أقوى من ظهير فرنسا ، ولغة المصحف كانت أمضى من لغة السيف . واكتفت انجلترا على عادتها من الدهاء

والكياسة بمحاربة الفصحى فدعت إلى العامية بلسان موظفيها ومبشريها ومستشرقيها ؛ لأن اللغات العامية تختلف فى البلاد العربية اختلافا شديداً يكاد يجعل من كل لهجة منها لغة مستقلة . وإذا انهزمت أمامها اللغة المشتركة وهى الفصحى استحال التفاهم وضعفت العقيدة وانقطعت الصلة وتفرقت الوحدة وتبددت القوة واستطاع المستعمر أن يلتقمها لقمة لقمة فلا يغص ولا يشجى . ولكن هذه الدعوة فشلت بضعف الاستعمار فى الشرق ، وقوة الوعى فى العرب . وأما الجهل وهو الأصل الآخر لمحنة اللغة العربية فقد خلف الاستعمار فى هذه الدعوة المجرمة ، والمراد بالجهل جهل أبناء العربية بها ، وعزوفهم عن علومها وأدبها ، وهو جناية المدرسة المدنية الحديثة ، فقد فشلت بعد طول الزمن وكثرة التجارب فى تخريج القارئ الذى يقرأ بفهم ، والكاتب الذى يكتب عن علم ، والمفكر الذى يفكر عن أصالة ، وليس أدل على هذا الفشل من أن الطالب يتعلم النحو عشر سنين دأبا ثم لا يستطيع بعد ذلك أن يعبر عن فكره تعبيراً صحيحاً لا بلسانه ولا بقلمه ، فإذا دفعه استعداده الأدبى إلى الكتابة آثر العامية على الفصحى ودعا إلى التحلل من القواعد والقيود ليجعل الفوضى نظاما والخطأ مذهبا والعجز شركة . كانت علوم العربية تدرس فى الأزهر ودار العلوم ومدرسة القضاء الشرعى وفيما يجرى على منهجه من معاهد لبنان وسورية والعراق والمغرب دراسة عميقة تمكن الطالب المجتهد المستعد من فهم ما يقرأ وفقه ما يعلم وتعليل ما ينقد وتحليل ما يذوق . فإذا اتصل النظر بالعمل واقترن الحكم بالتطبيق وصادف ذلك استعدادا فى المتعلم ظهر الكاتب الذى يكتب فيجيد ، والشاعر الذى ينظم فيبدع ، والناقد الذى يحكم فيصيب ، أما إذا فتر الاجتهاد وضعف الاستعداد ظهر الأديب العالم الذى يهيئ الوسائل ويقرب المناهل ويوجه المواهب ويسدد الخطى ، ومن هاتين الفئتين تستمد الحركة الأدبية عناصرها الحيوية فتقوى لتزدهر وتنمو لتنتشر وتسمو لتخلد . وكان من خريجى هذا المنهج القديم أولئك الأدباء الأصلاء الذين حفظوا تراث اللغة وجددوا شباب الأدب وأسسوا هذه النهضة الأدبية الحديثة ، ولا يزال من هذه الطبقة الكريمة فئة قليلة فى أقطار العروبة تستبطن لغتها وتتعمق أدبها وتعرف لماذا تكتب الجملة على وضع دون آخر ، فإذا خلا المجتمع بعد أجل طويل أو قصير فهل يخلف من بعدهم خلف يحملون أمانة اللغة ويبلغون رسالة الأدب ؟

الجواب عن هذا السؤال عند الأزهر وحده ، فهو بحكم طبيعته وعلة وجوده معتصم

اللغة ومنجاها فى الماضى والمستقبل . أما المعاهد الأخرى فكل شىء فيها يبعث على التشاؤم : منهج تطبيقى بكاد يخلو من القواعد ، وتعليم سطحى مقتضب لاهدف له إلا اجتياز الامتحان العام بأية وسيلة . فالمطولات تختصر ، والمختصرات تختزل ، فلا يبقى بعد ذلك فى ذاكرة الطالب إلا رموز على معان عائمة غائمة لا هى مستقرة ولا هى واضحة . ذلكم إلى زهادة فى الجدى النافع من ثقافة اللسان والقلم تقعد النشء عن تعمق الأصول وتقصى الفروع ، وتقنعهم بالقدر الذى ينقلهم من سنة إلى سنة أو من شهادة إلى شهادة ، فإذا ما تخرج الناشئ بهذا الحظ المنكود من اللغة وكان فى نفسه ميل إلى الأدب ، وفى طبعه استعداد للكتابة ، انصرف عن كنوز الأدب العربى ؛ لأن مفاتيحها ليست عنده ، وأقبل على روائع الأدب الغربى يحاكيها ويستوحيها حتى إذا امتلأ ذهنه وفاض شعوره وأراد أن ينتج شيئا يفيد الناس وجد فى نفسه الملكة التى تخلق وفى حسه الصورة التى تمتع ، ولكنه لا يجد فى لسانه اللغة التى تعبر ، ولا فى قلمه الأسلوب الذى يؤثر ، فيضيق ويسخط ويثور ، ويزعم أن قواعد اللغة غصة لا تساغ ، وأن إعراب الكلمة عقبة لا تذلل ، ثم يتطرف فيدعو إلى إطلاق الحرية للكاتب فيكتب كما يشاء .

تلك حال المتخرج الأديب بطبعه أما المتخرج العادى فانه يعود أميا كما بدأ ، لا يقرأ إذا قرأ إلا السهل ، ولا يطلب هذا السهل إلا فى قصة عامية تخدر الشعور ، أو فى مجلة فكاهية تنبه الشهوة ، حتى نشأ من إفراط القراء فى هذا الطلب ، إفراط الكتاب الخفاف فى عرض الأدب اللذيذ الذى لا ينفع ، أو الأدب الماجن الذى لا يرفع ، ذلكم إلى طغيان الأدب الأوربى بمذاهبه ونزعاته وترهاته على عقول الناشئين الذين ثقفوا هذه الثقافة الأدبية الهشة فمنتهم عن أدبهم وصرفتهم عن تاريخهم ، فالمتفرنسون منهم يعرفون هوجو ولا يعرفون المتنبى ، ويدرسون فولتير ولا يدرسون الجاحظ ، ويقرءون لامرتين ولا يقرءون البديع ، ومن هنا نشأت هذه التبعية التى فرضها الشباب على أدبنا لأدب الغرب ، فأساليبهم الكتابية اليوم هى أساليب الكتابة فى الغرب ، ومذاهبهم الأدبية هى مذاهب الأدب فى الغرب ، ومقاييسهم النقدية هى مقاييس النقد فى الغرب ، حتى الرمزية وهى بنت الأفق الغائم والنفس المعقدة واللسان المغمغم يريدون أن تتبناها العربية بنت الصحراء المكشوفة والشمس المشرقة والطبع الصريح . وحتى الوجودية وهى بنت الخلق المنحل والذوق المنحرف والغريزة الحرة ، يحاولون أن تتقبلها العربية لغة الرسالة الإلهية التى كرمت الإنسان

وفضلته من سائر الحيوان بحدود من الدين والخلق لا يتعداها وهو عاقل ، ولا يتحداها وهو مؤمن .

ليس الأمر فى الأدب كالأمر فى العلم ، الأدب للنفس والعلم للناس ، الأدب مواطن والعلم لاوطن له ، الأدب روح فى الجسد ودم فى العروق يكون شخصية الفرد فيحيا مستقلا بنفسه ، ويبرز شخصية الشعب فيحيا متميزا بأفراده ، الأدب جنس ولغة وذوق وبيئة وعقلية وعقيدة وتاريخ وتقاليد. والعلم شىء غير أولئك كله ، فإذا جاز طبعا أن نأخذ من غيرنا مايكمل نقصنا من العلم ، فلا يجوز قطعا أن نأخذ من هذا الغير ما يمثل أنفسنا من الأدب .

إن دراسة العربية على النهج الصحيح المنتج بعد المدرسة لا يكلف المتأدبين من الجهد والزمن أكثر مما تكلفهم دراسة الفرنسية والانجليزية : ولكنهم فى عصر السرعة يطلبون القريب ويتوخون السهل ويتخطفون العلم ويتعجلون الإنتاج ، ثم يحقدون على من يلزمونهم التأنى ويحشمونهم الدرس ويقولون لهم إن أحداً لا يعرف فى تاريخ الآداب القديمة والحديثة من بعد فى لغته كاتبا أو شاعرا أو قصاصا أو مؤلفا ، وهو لا يعرف من قواعدها الأساسية ما يقيم لسانه وقلمه . وإذا كان الناس يقرءون الصحيفة أو الكتاب ولا يقعون فيها على الخطأ الذى يفضح المستور ويكشف الغش . فالفضل لأولئك الجنود المجهولين من الأزهريين الذين يرابطون ليل نهار فى دور الصحافة والنشر ويسمونهم المصححين ، فإنهم يمرون بأقلامهم الحمر على المعوج فيستقيم ، وعلى المعجم فيعرب ، وعلى الركيك فيقوى .

لا بأس أن ييسر النحو والصرف والبلاغة على الطلاب : ولكن البأس كله فى المدى الذى بلغه هذا التيسير ، لا بأس أن نخفف على غير المتخصصين من عبء التقديرات والتعليلات التى فلسف بها النحاة النحو ، ومن حفظ وجوه الإعراب التى بقيت فى اللغة أثراً لاختلاف اللهجات فى الجاهلية فهو شت القواعد وجعلت كل خطأ صوابا وكل صواب خطأ ، ولكن البأس كله فى أن تجرد علوم العربية من خصائص القوة والخصوبة والبراعة لتصبح أشبه بالهيكل العظمى . فيه الخفة والبساطة والشكل ، وليس فيه العضل والعصب والروح .

إن ما يبقى من هذه العلوم بعد النقصان ، وما يبقى من هذا المنقوص بعد النسيان ، لا تحيا به لغة ولا يبقى عليه أدب ، فإذا استطاع يوما أن يجيز امتحانا أو ينيل شهادة فلن يستطيع أبدا أن يخرج أمثال من خرجهم الأزهر بشيوخه وكتبه ، كمحمد عبده ، وسعد زغلول ، والمنفلوطى ، والبشرى ،

وطـــه حسين ، ولا أمثال من خرجتهم دار العلوم كشاويش ، والمهدى ، والخضرى والسكندرى والجارم ولا أمثال من خرجتهم مدرسة القضاء الشرعى . كأحمد أمين وعزام والخـولى . ولا أمثال من خرجتهم دار المعلمين العليا ، كالمازنى وشكرى وأبوحديد . ولا أمثال من خرجتهم كتب الأزهر كالعقاد ، والرافعى ، وشوقى ، وحافظ فى مصر . وكالبستانيين واليازجيين والشدياق ومطران والخورى فى لبنان . وكالمغربى والشهابى ، وجبرى ، والطنطاوى ، فى سورية . وكالرصافى ، والزهاوى وكاشف الغطاء ، والشبيبى ، والأثرى ، فى العراق ، وكالنشاشيبى والسكاكينى فى فلسطين .

إنى أدعـو إلى التوفيق بين الفصحى والعاميـة ، ومذهبى فى مجمع اللغة العربية إمداد الفصحى بما تزخر به العامية من ألفاظ الحضارة وتراكيبها التى دخلت فى الحيـاة العامة حتى تضيق مسافة الخلف بين اللهجتين وينتهى بهما الأمر بفضل الصحافة والإذاعة والتعليم إلى لغة واحدة عامة فيها من الفصحى السلامة والجزالة والبلاغة والسمو ، وفيها من العامية الدقة والطبيعية والحيوية والتجدد والوضوح . أيما أن تكون لغتنا كلغة الهمج لا تقوم على قواعد ، ولا تجرى على أنظمة ، ولا تشعرنا بجمال ، ولا تحفزنا لكمال . ولا تربطنا بماض ، ولا تصلنا بمستقبل ، ولا تجمعنا فى وحدة ، فذلك مذهب لا يقول به رجل وهو جاد ، ودعوة لا يستجيب لها إنسان وهو عاقل .

فإذا تركنا الأمور تجرى كما تجرى انتهت بنا إلى تغلب العامية لأن أساليبها غالبة على السمع ، وقواعدها جارية على الطبع ، فلا يحتاج تحصيلها إلى كتاب ومعلم ومدرسة ، وإنما يحتاج إلى بواب وخادم وشارع . وتغلب الأساليب العامية معناه كما قلت فصل الأدب عن الدين وقطع الحاضر عن الماضى وتوهين الصلات بين العرب . وفى يقينى أن أمر العربية لا يصلح آخـره إلا بمـا صلح به أوله : فقه أسرارها كل الفقه ، وفهم قواعدها أدق الفهم ، وحفظ أدبها أشـد الحفظ ، وذلك يستلزم الجهد والجد فى إعداد المعلم ، والعلم والخبرة فى وضع المنهج ، والمنطق والذوق فى تأليف الكتاب ، والكتاب الأزهرى الذى تخرجنا عليه وما زلنا نرجع إليه كنز من المعارف لا يعوزه إلا سهولة مأخذه وحسن تنسيقه وجمال عرضه ، فالفرق بينه وبين الكتاب الحديث فى العرض كالفرق بين حانوت من حوانيت العطارة فى الغورية ، وبيت من بيوت التجارة فى قصر النيل ، قد يكون فى الحانوت القديم ما ليس فى المتجر الحديث من السلع النوادر والطرف النوادر ، ولكن

احتفاءها فى ركن غير ظاهر ، وعرضها فى معرض غير لائق ، يضعف الإقبال عليها ويقلل الاستفادة منها . فإذا عرضت الكنوز الأزهرية عرضا جميلا مشوقا فى الدروس والمحاضرات والمذكرات والكتب كان ذلك عسيا أن يدنى قطوفها من الطلاب على غير مؤونة ولا كد ذهن .

• • •

إن رسالة الأزهر قائمة كما قلت على ركنين من دين ولغة ، ولكن الأمر فى تأديته إياها جد مختلف . الدين كامل لأنه من عمل الله ، واللغة ناقصة لأنها من عمل الإنسان ، والكامل الإلهى لا يتأثر بالمكان ولا بتغير بالزمان ولا يضيق بالحضارة ولا يرم بالعلم ، فهو جديد أبدا ، صالح أبدا ، ثابت أبدا . أما الناقص فهو عرضة للفساد والجمود والتخلف ، وموضع للزيادة والتجديد والتطور ، لذلك كان الاجتهاد فى اللغة وعلومها أمرا تحتمه الضرورة وتقتضيه الطبيعة ، لأن اللغة لا يمكن أن تثبت ثبوت الدين ، ولا أن تستقل استقلال الحى ، فهى ألفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، والأغراض لا تنتهى ، والمعانى لا تنفد . والناس لا يستطيعون أن يظلوا خرسا ، وهم يرون الأغراض تتجدد والمعانى تتولد ، والحضارة ترميهم كل يوم بمخترع ، والعلوم تطالبهم كل حين بمصطلح ، ولا علة لهذا الخرس إلا أن البدو المحصورين فى حدود الزمان والمكان لم يتنبأوا لحدوث هذه الأشياء ، ولم يضعوا لها ما يناسبها من الأسماء .

نشأ من إنكار حق الوضع اللغوى على المولدين وحصره فيمن يعتد بعربيتهم من عرب الأمصار حتى آخر المائة الثانية ، أو أعراب البوادى حتى آخر المائة الرابعة ، أن طغت اللغة العامية طغيانا جارفا حصر اللغة الفصحى فى طبقات العلماء والأدباء والشعراء والكتاب يكتبون بها للملوك ، ويؤلفون فيها للخاصة ، وسيطرت على حياة الأمة فى شئونها العامة وأغراضها المختلفة ، لأن العامية حرة تنبو على القيد ، وطبيعية تنفر من الصنعة ، فهى تقبل من كل أنسان ، وتستمد من كل لغة ، وتصوغ على كل قياس . والناس فى سبيل التفاهم يؤثرون السهل ، ويستعملون الشائع ، ويتناولون القريب . وتخلف اللغة عن مسايرة الزمن وملاءمة الحياة معناه الجمود . والنهاية المحتومة لجمود اللغة اندراسها بتغلب لهجاتها العامية عليها وحلولها محلها ، وقد تنبه مجمع اللغة العربية لهذا الخطر فقرر فيما قرر استجابة لاقتراح عرضته ، فتح باب الوضع اللغوى للمحدثين بوسائله المعروفة من الاشتقاق والتجوز والارتجال ، وإطلاق القياس ليشمل ما قيس من قبل وما لم يقس . وتحرير السماع من قيود الزمان والمكان

ليشمل مايسمع اليوم من طوائف المجتمع كالبنائين والنجارين وغيرهم من أرباب الحرف والصناعات ، واشتقاق الألفاظ المولدة وتسويتها بالألفاظ القديمة ، وجعل هذه المبادئ وغيرها وضع معجمه الوسيط الذى سيظهر قريبا .

أما الاجتهاد فى الدين فقد فتحت أبوابه أول الأمر لمن تجهز بجهازه واعتد له بعدته، حتى إذا زخر الفقه الإسلامى على اختلاف مذاهبه ومدى عصوره بالآراء المحكمة والوجوه المحيطة ، وجد فيه المسلمون جوابا شافيا عن كل سؤال يخطر على الذهن ، وحلا جامعا لكل إشكال يعرض فى المجتمع ، وحكما عادلا فى كل قضية ترفع إلى القضاء ، فاستغنوا بغزارته وإحاطته عن الاجتهاد فيه، وانصرفوا إلى اجتهاد من نوع آخر هو الاجتهاد فى اختيار الرأى المناسب ، وترجيح الحكم الموفق . جاء فى كتاب الولاة والقضاة للكندى أن قاضيا شافعى المذهب كان بمصر فى عصر الإمام الطحاوى وكان يتخير لأحكامه ما يرى أنه يحقق العدل من آراء الأئمة ولا يتقيد بمذهب من المذاهب ، وكان مرضى الأحكام لم يستطع أحد أن يطعن عليه فى دينه ولا فى خلقه ولا فى حكمه ، سأل هذا القاضى الإمام الطحاوى عن رأيه فى واقعة من الوقائع فقال الطحاوى : أتسألنى عن رأيى أو عن رأى أبى حنيفة ؟ قال القاضى : ولم هذا السؤال ؟ قال الطحاوى ظننتك تحسبنى مقلدا فقال القاضى : لا يقلد إلا عصبى أو غبى . هذه ثروة الفقه الضخمة لم يحجبها عن الناس إلا أسلوب التأليف القديم ، واليوم وقد تطورت المدنية وتغيرت العقلية ينبغى أن يطابق التعليم والكتاب مقتضيات العصر .

هذه هى المحنة الثالثة التى تعانيها اللغة العربية اليوم .

وهى لا تختلف عن سابقتيها إلا فى أن موقف الأزهر منها يجب أن يكون إيجابياً : يقابل العمل بالعمل ، ويرد الكيد بالكيد ، ويقاوم الدعاية بالدعاية ، ويقف بالمرصاد لكل من يسول له جهله أو هواه أن يبعث بلغة الإسلام، ويوهن رابطة العرب. والأزهريون الذين حملوا أمانة الله ، وبلغوا رسالة نبيه أكثر من عشرة قرون يستطيعون أن يدرءوا خطر هذه الإباحية عن اللغة والدين متى صدقوا الجهاد وذكروا أنهم جند الله يرمى بهم العدو فى كل وقت وفى كل أرض وعلى أى صورة ، فيعيشون للموت كالجنود ، ويعملون للحياة كالقادة ، ويعزفون عن الدنيا كالرسل ، والله سبحانه وتعالى قد ضمن للعربية بقاء البيان ببقاء القرآن وعلى أيدى أبناء الأزهر المؤمنين برسالته صدق الله وعده ، إن الله لهو خير الصادقين ؟

أحمد حسن الزيات

شهر القرآن

للأستاذ محمد محمد المدني

١ ـ رمضان هو ذكرى بلوغ الانسانية مرحلة الرشد العقلي .

٢ ـ على جميع أرباب العقول أن يتدبروا القرآن .

القرآن الكريم هو المنحة الإلهية الخالدة للبشر بعد بلوغهم مرحلة النضج العقلي ، وصلاحيتهم لأن يتلقوا آخر رسالة من السماء ، لا تحتاج مع هذا النضوج إلى رسالات أخرى .

فقد كانت الرسل تبعث ، والكتب تنزل ، قبل رسالة الإسلام ، تعهداً للناس بين الحين والحين بهداية السماء ، وأخذاً لهم بأسلوب التدرج والتنقل من تشريع إلى تشريع ، ومن رسول إلى رسول ، رفقاً بهم أن يدفعوا إلى الخطة الكاملة دفعاً قبل أن يتهيئوا لها ، وملاحظة لظروفهم الزمانية والعقلية في عصورهم الأولى ، فلما نضجت البشرية واستوت وحصفت بما مر بها من تجارب طويلة ، وما أنزل عليها من رسالات هادية ، وما كشفته من آيات الدلالة الكونية وآنست السماء منها الرشد ، بعث الله خاتم النبيين بخاتمة الشرائع ، وأنزل عليه آخر الكتب فكان هذا الحادث العظيم الفذ في تاريخ الإنسانية نقطة تحول وانبعاث إلى حياة جديدة يعتمد فيها الناس على أنفسهم في هدى ما أنزل إليهم من ربهم ، دون أن يترقبوا رسالة سماوية أخرى .

لذلك ربط الله تعالى بين القرآن الكريم ورمضان ، فجعل من هذا الشهر الذي نزل فيه كتابه عيداً وموسماً لهذا الكتاب ، أو لهذا الرشد البشري الذي يؤذن به ختم الرسالات بهذا الكتاب ، يذكر به ، ويعيد أمام المؤمنين تاريخهم الأول يوم كان الرسول فيهم ، وكتاب الله تعالى ينزل عليه ، وأصحابه رضي الله عنهم يسمعونه منه ، ويوم كان هذا الكتاب مصدر عقيدتهم ، ومصدر تشريعهم وهدايتهم ، والنور المبين الذي يعتمدونه عليه في سلوك سبل الحياة المعقدة المظلمة .

ولم يرد الله تعالى أن يكون هذا الربط بين القرآن وشهر رمضان مجرد مرور هذا الشهر وتذكر الناس بمروره أنه هو الشهر الذي نزل فيه القرآن ، ولكنه أراد أن يكون التفاتهم إليه قويا فجعل هذا الشهر ظرفا لعبادة روحية عظيمة الأثر في التربية النفسية ، وعلى خلاف العادة في الشهور كلها . وهي عبادة الصوم من أول يوم إلى آخر يوم فيه ، فلا يمكن بعد ذلك أن ينسى رمضان ولا أن يمر بالناس مروراً فاتراً وله هذا الأثر الواضح في نظام حياتهم ، ولا بد أن يفكر الناس

فى الرابطة بينه وبين كتاب ربهم ، وفيما يجب عليهم من الانتفاع بعبرته التاريخية ، وأن يقيموا عليه شأنهم فى جميع أحوالهم ، كما كان عليه سلفهم من قبل .

لذلك كان المسلمون وما زالوا . يعتبرون شهر رمضان هو موسم القرآن ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه ، وكان جبريل يدارسه إياه فى رمضان من كل عام ، وكانت صلاة التراويح فرصة جمع عمر ابن الخطاب بها المسلمين على قارئ واحد ، فكانوا يستمعون إليه فى صلواتهم طوال الشهر وظل المسلمون كذلك إلى يومنا هذا ، وكانت مجالس القرآن فى رمضان هى الطابع المميز لهذا الشهر ، فالناس يستمعون إليه فى البيوت والمساجد ويستمعون إلى دروس تفسيره ويتفهمون عبره ومغازيه .

وملاحظة لهذه المناسبة ، يحسن بنا أن نعطى قراء هذا العدد الذى يصدر فى أول رمضان فكرة مركزة عن موضوع من موضوعات الدراسة القرآنية ، هو تفسير القرآن بالرأى .

فقد وردت روايات تدل على حرمة الاقتحام على القرآن ، والتكلم فى معانيه بغير علم . وألفاظ هذه الروايات موهمة أنه لا يجوز تفسير القرآن بالرأى . مع أن هناك كثيراً من الأدلة يفيد جواز النظر فى القرآن بل وجوبه ووجوب التدبر فى آياته .

فأما الروايات التى قد يفهم منها عدم جواز التفسير بالرأى . فمثل ما رواه الترمذى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من من النار) وما رواه أيضا عن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ) . ومن مثل ما روى عن أبى بكر الصديق من أنه سئل عن تفسير (الأب) فى قوله تعالى : « وفاكهة وأبا » فقال: أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى إذا قلت فى القرآن برأيى .

وهذه الروايات محمولة عند المحققين من العلماء على أن الرأى المذكور فيها هو ما كان صادرا عن الهوى ، أو ما كان من قبيل الخواطر التى ترد على الذهن دون تحقيق لها ، وتأمل فيها لمعرفة صحتها أو فسادها ، فإن هذا اقتحام للقرآن وتسور عليه ، فلو فرض أن صاحبه أصاب كبد الحقيقة فهو مخطئ من جهة أنه أقدم على ما لم يستعدله ولم يدخل فيه على بصيرة ، على حد (رمية من غير رام) .

وأما الأدلة الدالة على وجوب النظر فى القرآن والتدبر فيه فكثيرة .

١ — منها قوله تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » فقد أفادت هذه الآية ترتيب أمرين اثنين على إنزال الذكر .

أحدهما : تبيين الرسول للناس ما أنزل إليهم ، وهو التفسير بما ورد عن الرسول صلى الله

عليه وسلم ؛ ويدخل فيه جميع الأحكام التشريعية التي جاء بها القرآن الكريم ولحق بها بيان من النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك كإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان ، فكل ذلك ورد به القرآن على سبيل الإجمال ، وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله ، فكان بيانه تفسيرا للمراد به وشرحا شرعيا لمعناه .

والثاني من الأمرين اللذين رتبا على إنزال الذكر : رجاء تفكر المؤمنين المفهوم من قوله تعالى : « ولعلهم يتفكرون » ، والمراد تفكرهم في الذكر وما جاء به من تشريع أحكام ، وبيان سنن وضرب مثل ، ولفت نظر ، وإشارة إلى حقائق أو معارف وغير ذلك . وهذا هو تفسير القرآن الكريم بالرأي أي بما يراه المتفكر المتدبر فيه ، ويلحق بذلك كل ما استنبطه العلماء من كتاب الله في ميادين العلم والنظر والتشريع اعتمادا على ما يقيده الكلام بعبارته ، أو بإشارته ، أو بدلالته ، حسب اصطلاحاتهم الأصولية وهذا هو الإمام الشافعي يقول : لقد تطلبت دليلا على حجية الإجماع فظفرت به في قوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » . وكذلك يقال في استنباط الحكم بشرعية القياس الأصولي من قوله تعالى : « فاعتبروا يا أولي الأبصار » . وفي الاستدلال بالآيات على أحكام الدين عامة .

٢ - ومنها أن عائشة رضي الله عنها قالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من كتاب الله إلا آيات معدودات علمه جبريل إياهن .

ولا بد أن يكون المقصود من التفسير في هذا الذي قالته عائشة ما وراء بيان الأحكام الشرعية التي تضمنها القرآن ولحقها تفسير من الرسول بفعله أو قوله .

فإذا لاحظنا هذا علمنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يحرص على أن يعطي الأمة تفسيراً عاما للقرآن الكريم ، بالمعنى الذي للتفسير ، وبتعبير آخر لم يحرص على أن يضع أمام الأمة معنى لكل لفظ ورد في القرآن ، أو لكل عبارة تركيبية جاءت فيه ، كما حاول بعض المفسرين أن يفعلوا حين أرادوا أن يفسروا كل تركيب برواية مأثورة ، فجاء التفسير بالمأثور بحراً خضما متلاطم الأمواج فيه كثير من الأقوال عن الصحابة والتابعين ، ولا يمكن أن يكون ذلك كله مرويا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لما قالته عائشة من أن تفسيره قليل ؛ ولما يوجد في هذه الأقوال كثيراً من تخالف وتضارب ، فلو كان مصدرها السماع لرجع بعضهم إلى بعض ، ولا يتصور أن يكون الرسول قد قال الشيء وخلافه ، وبذلك يتبين أن أصحاب هذه الأقوال إنما قالوا ما استنبطوه بآرائهم وما ظهر لهم وفي ذلك يقول الغزالي والقرطبي : لا يصح أن يكون كل ما قاله الصحابة في التفسير مسموعا

من النبي صلى الله عليه وسلم . (وروى البخاري في صحيحه عن أبي جحيفة قال : قلت لعلي هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله ؟ قال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن) .

وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) قال القرطبي: فإن كان التأويل مسموعا كالتنزيل فما فائدة تخصيصه بذلك ؟.

وقد ورد الحث الشديد في الكتاب والسنة على تدبر القرآن والتفكر في معانيه ومقاصده وأهدافه .

ومن ذلك قوله تعالى: « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » . ففي هذه الآية توبيخ شديد على ترك التدبر وإظهار الذين لا يتدبرون القرآن بمظهر الذين وضعت على قلوبهم الأقفال فهم محجوبون عن أن تتفتح قلوبهم لهدايته . وأن يدركوا أسراره ، وما أبلغ قوله : « أم على قلوب أقفالها » حيث جعل الأقفال خاصة بالقلوب، وليست أقفالا للقلوب وغيرها فكأنها نوع من الحجب خصصت به قلوب الذين لا يتدبرون .

وفي الحديث عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه) ومعنى (أعربوا القرآن) أقيموه على نهجه العربي فلا تميلوا به وتحرفوه عما عهده العرب اتباعا لفطرهم الصافية ، ومآثرهم ومثلهم الرفيعة ، وذلك من معنى قوله تعالى : « ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون . قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون » . فقوله: « لعلهم يتذكرون » حث على النظر والتدبر ، وقوله: « قرآنا عربيا غير ذي عوج » . هو منهج إجمالي للأسلوب الذي يجب اتباعه في تفهم القرآن والتذكر به ، وهو أن يلاحظ أنه قرآن عربي ليس فيه انحراف ولا اتجاه إلى ما لا يعرفه العرب الذين أنزل عليهم وجعلوا حملته ورافعي لواء دعوته ، وقوله : « لعلهم يتقون » . هو توجيه لهم في التمسك بطابعه ، وتحذير من الالتواء عنه ، وذلك أيضا معنى قوله تعالى: « وكذلك أنزلناه حكما عربيا ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا واق » .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : (والتمسوا غرائبه) ففيه دلالة على أن القرآن ذو غرائب وأسرار، وأن الأمة كلها ،وفي جميع عصورها، مخاطبة بذلك ، مكلفة بأن تلتمس هذه الغرائب ولا يكون ذلك إلا عن طريق التدبر والتفهم وطول النظر وإعمال الفكر .

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال : حدثنا من كان يقرئنا من الصحابة أنهم كانوا يأخذون من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات ، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل .

وقال على بن الحسين رضى الله عنهما : آيات القرآن خزائن ، فكلما فتحت خزينة ينبغى لنا أن ننظر مافيها .

ولذلك قال العلماء : إن تدبر القليل من القرآن أفضل من قراءة الكثير بغير تدبر .

وهذا كله يدل على أن الله تعالى يبيح لكل قارئ أن يتفهم المعانى ؛ لأن الناس مطالبون بقراءة القرآن متدبرين لافرق بين العامة والخاصة وفى ذلك يقول الله تعالى : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » أى أن القرآن ميسر للذكر ، وكل إنسان يستطيع أن يقتبس منه على قدر فكره وقوة عقله ، والله تعالى ينص على ذلك بقوله : « فهل من مدكر » . فلا ينبغى أن يحال بين أحد وبين أن يتدبر فى كتاب الله تعالى .

وقال الغزالى : إن من موانع الفهم للقارئ أن يكون قد قرأ تفسيراً واعتقد أن لامعنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد ، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى فهذا من الحجب العظيمة .

ولقد علمنا أن الله تعالى وعد بحفظ كتابه الكريم بقوله : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . وهذا وعد متحقق لاشك فيه ، وهو منسحب على جميع العصور والأزمان ، فلنا أن نقول : مافائدة هذا الحفظ والتخليد إذا لم يبح للمتأخرين أن ينظروا فيه كما نظر المتقدمون ؟ أو إذا لم يبح لهؤلاء وأولئك أن ينظروا فيه إلا عن طريق ما روى لهم وماسمعوه؟ إن الفائدة حينئذ تتمحض فى مجرد تلاوته والتبرك به ونحو ذلك . ولكن كتاب الله تعالى إنما أنزل ليكون هدى للناس فى مختلف شئون حياتهم العملية والعلمية من عقائد وتشريع وآداب وإشارات إلى سنن الله فى الكون ونحو ذلك ، وهذا كله لايكون إلا بتدبره ، والتأمل فيه ، ومحاولة التعمق فى استخراج ذخائره ، وقد ورد أن القرآن لاتنقضى عجائبه ، فإذا كان التفسير بالمأثور فقط كانت عجائب القرآن محدودة منقضية ؛ لأن الروايات ختمت ولم يعد هناك جديد يرشد إلى عجائب جديدة ، فلم يبق إلا أن القرآن تظهر منه بالتدبر والتأمل كل يوم عجائب ؛ لأن العقول تتفاوت ، والأيام تتقلب ، ويبدو للناس فى زمان ما لم يكن قد بدا لهم فى زمان آخر .

وإذن فالرأى الصواب هو : جواز تفسير القرآن بالرأى . ولكن لمن كان مستعداً لذلك متهيئا له بعلمه وعقله ومعرفة لغة العرب وما لهم من أساليب فى كلامهم ، وبشرط أن يكون نظره غير مشوب بالهوى أو التعصب وألا يتبع مايرد عليه من الخواطر دون درس لها وتأمل فيها ، لمعرفة مدى قوتها ، ومناسبتها للقرآن الكريم .

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

نفحات القرآن

ضراعة الأخيار شفاعة للمذنبين

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

(ا) « واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا .
(ب) فلما أخذتهم الرجفة قال : رب ! ! لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى ! !
(ج) أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟ ؟ إن هى إلا فتنتك ، تضل بها من تشاء ، وتهدى من تشاء . . أنت ولينا فاغفر لنا ، وارحمنا ، وأنت خير الغافرين » .

١ — من شعب القصص عن موسى عليه السلام طلبه — أولا — ثم طلب قومه ثانيا — رؤية الله تعالى شأنه رؤية عينية . وآيات الكتاب الكريم تفيدنا أن طلب الرؤية حصل مرتين .

الأولى — فى الميقات الذى كان موعوداً لموسى أن يتلقى فيه التوراة .

الثانية — كانت بعد نزول التوراة وحدوث فتنة السامرى بصناعة العجل من الذهب ، واتخاذه إلاها يعبدونه فى غيبة موسى عنهم .

وحديثنا عن الأولى من باب توفية الموضوع وأما الثانية فهى التى نتجه إليها بشىء من الايضاح والتعليق .

٢ — حينما حضر موسى إلى الوادى المقدس « طوى » فى طور سيناء ، ومكث المدة المحدودة أربعين ليلة يتعبد فيها ، وحان موعد المناجاة مع الله ، وتجلى فضل الله بمكالمته طمع موسى فى المزيد من تكريم الله له ، فتعلق أمله برؤية الله كما سمع كلامه على الوجه الذى يعلم الله وحده صفته ، فقال : « رب أرنى أنظر إليك » .

فكان الجواب تلطفا بموسى ، وتعليما له أن هذا طموح فى أمر لا يتعلق به الأمل ، ولا تطيقه أنت « لن ترانى ، ولكن انظر إلى الجبل ، فإن استقر مكانه فسوف ترانى » .

وهذا إشعار لموسى أن شأن الرؤية خطير ، وأن ما يبدو لك من الجبل يكفيك إقناعا بمقدار ماطلبته ، ويضعفك عن احتماله بجانب

الجبل الذى هو أضخم شىء ترونه ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقا ، ومعنى تجلى ربه للجبل :

تكشف الله للجبل تكشفاً جزئيا ، تدريجيا بقدر ما تقضى به الحكمة الإلاهية ، فلم يتحمل الجبل رهبة التجلى ، ومهابة القدسية لعظمة الله تبارك شأنه .

صار الجبل دكاً ، بمعنى ساخ فى الأرض ، وتطامن حتى لم يصر جبلا شامخا . . وعندئذ سقط موسى مغشيا عليه من هول ما رأى . . وأيقن أن طلب الرؤية كان تعلقا بأمل فوق احتمال البشرية .

ولما أفاق موسى من غشيته ، وتنبه إلى تلطف الله به ، ورعايته بالخير له : « قال سبحانك إنى تبت إليك وأنا أول المؤمنين » .

لم يكن موسى مذنبا فى طلب الرؤية ، بل كان طامعا فى المزيد من فضل الله عليه بالرؤية لذاته على أى صفة ، كما سمع كلامه العلوى على أى نظم شاءه الله .

وإنما بادر موسى بتسبيح الله وتنزيهه عن كل شبه ، وبادر بالتوبة من تسرعه فى الطلب دون أن تكون الرؤية موعوداً بها مع المكالمة التى كانت على وعد سابق ، وأعلن موسى إيمانه ، بل أنه أول المؤمنين فى وهن ، لا لأنه كان جريئا فيما طلب .

وعبرتنا فى هذا الموقف أن تكون وجهتنا إلى الله ، وجهة صالحة كما كانت وجهة موسى ، وأن تكون آمالنا دائما فى غير إسراف ، وأن تكون ألسنتنا دائما رطبة بالاستغفار ، والتوبة والدعاء بالخير .

(ب) الموقف الثانى - فى طلب الرؤية - وهو موضوعنا - لم يكن من موسى نفسه ، وقد سبقت له العبرة من شأن الجبل . . بل كان من قومه بعد انزلاقهم فى فتنة السامرى وعبادتهم لعجله الذى صنعه وعبدوه .

١ - أمر الله موسى أن يختار من معه طائفة يحضر بها إلى موقف المناجاة فى طور سيناء ، ليعتذروا ، ويتوبوا إلى الله من عبادة العجل ، فاختار موسى سبعين رجلا من خيارهم فى اعتباره ، ولما بلغوا الميقات وسمعوا بآذانهم نجوى موسى لربه لم يتجهوا إلى الاعتذار كما جاءوا ، ولا حرصوا على التوبة من جريمة قومهم التى جرفتهم ، بل تمردوا على موسى ، وتحدوه ، وقالوا « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة !! » .

فماذا يكون شأن أولئك المتناقضين ؟ ؟

٢ - لهم سابقة فى طلب الآلهة يعبدونها من دون الله ، ولهم سابقة فى عبادة العجل ، رغم أن هارون وعظهم وأنكر عليهم ، وأن موسى عاتبهم على فعلتهم ، ووبخ السامرى فى شدة ، وهدده بعذاب الله ثم هذه

سابقة جديدة بعدولهم عن التوبة إلى التحدى بطلب الرؤية لذات الله .

لو كان إيمانهم بالله إيمانا متأصلا فى قلوبهم ، أو لو كان تصديقهم لموسى عن طمأنينة لما تعثروا فى هذه الكفريات ، ولا تهافتوا على تلك السفاسف ، ولكن إيمانهم من أول الأمر إيمان اللاجئ من فرعون وجبروته ، والمحتمى بموسى ريثما ينقذهم من مذلة الاستعباد .

فإذا ما ابتعدوا عن سلطان فرعون فى مصر ، واطمأنوا إلى حياة آمنة فى سيناء عاودهم التمرد ، وبدا فيهم لؤم الطبيعة ، وخساسة الأنفس ، ونقضوا ما تعاهدوا عليه فى ساعة ضعفهم ، وفى وقت طواعيتهم للرسول ، وماذا يستحق هؤلاء فى موقفهم هذا ؟

٣ — أخذتهم صاعقة محرقة . مدوية ، ارتجف لها الجبل ، وماتوا بها مغضوبا عليهم من الله ، فكيف استقبل موسى هذه الفاجعة لمن كانوا فى صحبته . وقومه يعلمون أنه ذاهب بهم ليتوبوا . وأنهم عائدون معه آمنين ؟

خشى موسى — أولا — أن يكون هذا التمر مجتاحا للآخرين الذين لم يذنبوا بعبادة العجل ، والذين لم يتحدوه بطلب الرؤية لله تعالى .

وخشى — ثانيا — أن يساء به الظن من أهليهم الذين لا يعلمون تمردهم عليه ، وهنا تتجلى عاطفة الخير من جانب موسى عليه السلام ، فيتدارك الموقف بضراعته إلى الله ، وبدعواته الطيبات ، ويستعطف ربه فيقول « رب !! لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى » يعنى يا رب : ليتك أهلكتهم وأهلكتنى معهم قبل حضورهم معى إلى هذا المكان ، وقبل مشاهدتى لهذا الهول ، وقبل تعرضى لاتهام القوم ، « أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ؟ » هل تكون نقمتك علينا جميعا بسبب ما فعل السفهاء منا ؟ لا تجعل بلاءك عاما لنا ، والطف بنا فى محنتنا هذه .

« إن هى إلا فتنتك ، تضل بها من تشاء ، وتهدى من تشاء » .

ما هذه المحنة إلا اختبار منك ، يتميز به المؤمن الحق عن غير المؤمن ، ويتكشف لنا به ما خفى من أمورنا ، فيثبت به على الدين من صدق فى دينه ، ويرضى بما جرى من قضاء الله فى خلقه ، وينحرف إلى الفتنة من كان مزعزع الإيمان ، فيتضح هذا من ذاك ويكون المنحرفون مستحقين للنقمة « ليمحص الله الذين آمنوا ، ويمحق الكافرين » وفى هذا التوسل من موسى إشارة إلى ما سبق فى المناجاة حين نزول التوراة من قول الله سبحانه « إنا قد فتنا قومك من بعدك ، وأضلهم السامرى » .

فتلك الفتنة هى الاختبار الذى يتعلل به

موسى فى طلب التجاوز من جانب الله عن إهلاك الجميع .

وكأنه يقول : يارب ! ! هذا اختبار اقتضته حكمتك ، ولا يمكن أن يكون عبثا ، بل لا بد له من نتيجة ، وهى نجاة البعض من النكوص فى الكفر ، وإخفاق البعض ممن علمتهم غير ثابتين على عهدك ؛ فلا نعترض على نظامك ، ولكننا نرجو النجاة من غضبك بسبب جريمة من أجرم ، بل نسألك اللطف بالجميع ، فأنت اللطيف بعبادك ، « أنت ولينا ، فاغفر لنا وارحمنا ، وأنت خير الغافرين » .

أنت المتولى أمور الجميع ، فاغفر لنا بسترك الجميل ما يعلق بنا من شوائب المخالفة حتى نكون أطهاراً من وصمة المعصية ، وأهلا لتكريمنا بلطفك ورضوانك وإن تقصيرنا فى طاعتك لا يغالب عظيم فضلك يا خير الغافرين ، ويا أرحم الراحمين .

٤ — هذا : وإنك يا قارئى ! ! لتعهد فى ذوى العطف من رحماء الناس ألا يضيق صدرهم بإساءة المسىء ، بل ينتظرون الهداية وينظرون إلى مرضاة الله فيتجاوزون عن المساءة رجاء فى صلاح الحال .

فما بالك بالأنبياء ، وهم أرحم عباد الله بعباد الله ؟ ؟

تراهم يتراحمون على المخالفين ، ويسألون لهم الهداية ، وكما يطلبون لأنفسهم الخير يطلبونه للجميع : إلا إذا أذن الله لهم بغير ذلك ، كما دعا نوح على قومه أخيرا .

وحينما دعا موسى بما دعا كان قوى الرجاء فى الإستجابة ، واثقا أن الله ذو رحمة على العالمين ، ولذلك لم يكتف بطلب الغفران والرحمة ، بل توسع فى ضراعته فقال : « واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا إليك ! ! » يعنى حقق لنا جميعا حسنة فى الدنيا وهى الهداية ، ونعم الحياة ، وحقق لنا فى الآخرة حسنة وهى القبول والرضوان ونعم الجنة . . ويقول « إنا هدنا إليك » يعنى رجعنا إليك باعتذارنا عما فرط من بعضنا .

ولكن الله يجيب موسى بما يفيد عدالة الله فى جزاء عباده فيقول سبحانه : « عذابى أصيب به من أشاء ، ورحمتى وسعت كل شىء » يعنى عذابى ليس شاملا بل هو لمن أشاء تعذيبه من خلقى ، وهم الكافرون الذين لم يستجيبوا لدعوة رسلى ، والعصاة الذين لم يتوبوا ولم أغفر لهم .

أما رحمتى فقد وسعت فى الدنيا كل شىء حتى شملت المخالفين من عبادى ، فهم يتمتعون فى الدنيا بأرزاق وأموال وبنين ، وبصحة وحياة وغير ذلك ، وهذه الرحمة مظهر فضلى على عبادى جميعا وإن لم يشكرونى جميعا ، والله يعطى الدنيا لمن يحب ، ولمن لا يحب .

ولكن العدل الإلهى يقتضى تفاوت الناس فى حظهم من رحمة الله فى الآخرة التى هى دار الإقامة والخلود على الحالة التى قسمت لهم فيها.

والعدل الإلهى يأبى التسوية بين من أسلم وجهه لله وهو محسن ، وبين من حارب الله بعصيانه غير مكترث بما جاءه من النذر والآيات .

وإزاء هذا تكون الرحمة فى الآخرة حظوظا مقسومة ، يتفاوت الناس فيها كما تفاوتوا فى الدين ، وفى الإخلاص فى الأعمال .

وتكون رعاية الله للأخيار من عباده متجلية فى رحمة خاصة بلا زائدة على سواهم ممن لم يبلغوا شأوهم ، بل السابقون إلى طاعته سابقون غيرهم فى منازل الجنة ونعيمها .

وهذا هو قوله تعالى : « فسأكتبها للذين يتقون ، ويؤتون الزكاة ، والذين هم بآياتنا يؤمنون » فلا يتخلفون عن دين الله ، ولا يكذبون بما جاءهم من عند الله حاضرا وغائبا ، فهؤلاء هم المؤمنون بالغيب والشهادة ومن آمن بالغيب بما جاء من عند الله فقد أوفى على الغاية .

وفى هذا الجواب غنية لموسى عن طلب جديد فى هذا الصدد ، وتحديد لمطامع الناس فى المغفرة .

هذا جانب من القصص عن موسى عليه السلام ، عرفناه من طريق كتاب الله الكريم على لسان رسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه

ومنه نتعلم ـ أولا ـ ألا يشتط المرء فى طلبه كما اشتط بنو إسرائيل فى طلب الرؤية لله تعالى ونتعلم ثانيا ـ أن المرء يعتبر بما جرى لغيره حتى لا يذهب ضحية المجازفة كما ذهب بنو إسرائيل بالصاعقة ، ونتعلم ثالثا ـ أن أفعال السفهاء شؤم على سواهم ، وأن دعاء الطيبين قد يخفف من غضب الله على السفهاء كما دعا موسى لقومه ، ونتعلم ـ أخيرا ـ وهو آكد ما نتعلمه ـ أن الله ذو فضل على بنى آدم وإن كانوا يهودا لم يتركوا موبقة إلا انغمسوا فيها ولا عهداً إلا نقضوه ولا يزالون يطلعون مع كل يوم بأقبح الأعمال ، وشر الأحداث والله يزيد فى طغيانهم ، ولكنه بالمرصاد لهم .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

الحقوق والواجبات فى الإسلام

للدكتور محمد يوسف موسى

١ - الواجب قبل الحق

« كل حق يقابله واجب » ، هذه قاعدة مطلقة ، لا استثناء فيها ، وهى تحكم علاقة الإنسان بربه سبحانه ، كما تحكم علاقات الإنسان العديدة المختلفة بغيره من الناس على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية . ولكونها قاعدة يرضاها المنطق والعقل السليم ، نرى الشرائع السماوية التى شرعها الله لعباده قد اتفقت عليها فى كل زمان ومكان .

وكذلك نرى القوانين الوضعية التى وضعها الإنسان فى قديم الزمان وحديثه ، وفى الشرق والغرب على السواء ، قد اتفقت عليها أيضاً .

وهكذا رسمت الشرائع الإلهية والقوانين الأرضية للناس طريق الحياة ونظام السلوك ، وبينت ما يجب على كل إنسان أداؤه لنفسه ولغيره ، ليكون مواطنا صالحا ، كما بينت ماله من حقوق ، وبذلك لا يعتدى أحد على أحد ، ولا يظلم الناس بعضهم بعضا .

وإذن فليس من العدل ولا من المنطق أن يطلب إنسان حقا من حقوقه عند الناس إلا إذا كان قد أدى ما يقابله من الواجب ، وبذلك تقوم العلاقات المختلفة بين الناس جميعا على أسس سليمة ، وقواعد ثابتة عادلة ، وبذلك يسعد الفرد والمجتمع والأمة .

وإذا كان الأمر هكذا ، فإن الإسلام يتكلم عن الواجبات أكثر مما يتكلم عن الحقوق ، ويجعل القيام بالواجب أساسا لطلب الحق والحصول عليه . ونرى مصداق ذلك فى القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة ، كما نرى مصداق ذلك أيضا فى الحياة العملية التى نحياها .

فى القرآن يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، ويقول : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » ، ويقول : « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » .

هنا نجد بعض ما لله سبحانه وتعالى من واجبات فى الطرف الأول ، ونجد فى الطرف الثانى بعض ما تفضل الله به علينا ، ووعدنا به من الخير ، وسماه حقا لنا . فإذا

كان منا الإيمان بالله حق الإيمان الذى يؤدى إلى العمل ، وإذا نصرنا شرائعه بالعمل بها والدفاع عنها - إذا كان منا ذلك ، كان حقا علينا أن نرجو النصر على الأعداء وتثبيت الأقدام عند اللقاء .

وإذا أدينا ما علينا فى أموالنا من حق معلوم للسائل والمحروم ، وأنفقنا منها فى سبيل الله ، كان لنا أن نرجو أن يتحقق لنا ما وعد الله به من الأجر الكبير والثواب العظيم ؛ ومن أوفى بعهده من الله ، ومن أصدق منه قيلا !

وبعد ذلك يقول عز وجل فى سورة الليل: «فأما من أعطى ، واتقى ، وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى» كما يقول فى سورة أخرى: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ؛ يعبدوننى لا يشركون بى شيئا» .

فى آيات سورة الليل نرى تقابلا بين واجبات علينا - بلا ريب - أداؤها لله وللمجتمع الذى نعيش فيه ونفيد منه ، وبين ما نسميه حقوقا لنا إذ تفضل الله سبحانه وتعالى فوعدنا بها ؛ بين واجب البذل من المال للمعسرين وذوى الحاجات وفى سبيل الله ، واتقاء حرمات الله وما نهى عنه من المعاصى ، والتصديق بالخلف من الله وحسن الجزاء على ما نعمل من خير - نجد تقابلا بين هذا كله ، وبين ما جعله الله حقا لمن يقوم بهذه الواجبات من تيسير دخول الجنة وتمتعه بما فيها من نعيم مقيم .

وكذلك فى الآية الأخيرة ، التى ذكرناها آنفا ، نجد التقابل بين واجب الإيمان بالله وعمل الصالحات ، وبين ما يكون جزاء عن ذلك من نصر المؤمنين والتمكين لهم فى الأرض وتأمينهم بعد خوف على دينهم وأنفسهم وأموالهم ، وذلك إذا قاموا بما يجب عليهم لله القوى العزيز .

وإذا كان الأمر هكذا فى القرآن العظيم أداء للواجب أولا ، ثم فوزا بما نسميه حقا ثانيا ؛ فإن الأمر كذلك فى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى حديث صحيح رواه مسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم من رجال الحديث : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ؛ ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ؛ ومن ستر مسلما ، ستره الله فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه) .

فى كل فقرة من هذا الحديث الجامع لكثير من ضروب الخير ، نجد التقابل واضحا بين

الواجب وبين الحق، بين الواجب الذي يجب أداؤه أولا ، وبين الحق الذي يكون ثانيا . وشتان بين هذه الواجبات التي من اليسير القيام بها على الإنسان ، وبين ما يناله عن كل منها من الجزاء العظيم في الدنيا والآخرة !.

وكذلك من هذه الناحية أيضا ، ما جاء عن الرسول من قوله : (من سره أن يبسط له في رزقه ، وأن ينسأ له في أجله ، فليتق الله وليصل رحمه) ، وقوله : (من توكل على الله كفاه) ، وقوله : (من اتقى الله وقاه كل شيء) ، وقوله : «من تواضع لله رفعه الله». إن في هذه الأحاديث ، وأمثالها كثير ، حثا لنا من الذي لا ينطق عن الهوى على القيام أولا بما علينا من واجبات لله ولإخواننا في الدين والوطن والإنسانية ، وحينئذ يكون لنا الحق في أن نفوز بما نرجو من البسطة في الرزق ، والفسحة في الأجل ، ووقاية الله لنا من السوء ، وعونه لنا في كل حال .

وفي سياسة الأمة بصفة عامة نجد الأمر كذلك أيضا ، هذا هو سيدنا أبو بكر رضي الله عنه يقول في أول خطبة له بعد أن ولي الخلافة : (أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم) . وهذا معناه أن للخليفة حق الطاعة على الأمة جميعا ، ولكن هذا الحق العام الذي لابد منه مشروط بأن يقوم هو أولا بما يجب عليه نحو الله والرعية فإن خرج عن أمر الله ورسوله ، وأمر بما هو معصية لا ريب فيها ، ولم يحكم في الرعية بالعدل ، لم يكن له أن يطلب حقه ، وهو أن تسمع له الرعية وتطيع .

وبناء على هذا الأصل العام ، يعني أن الواجب قبل الحق ، يروى أبو عبيدة القاسم ابن سلام ، في كتابه القيم (الأموال) ، أن رجالا من البادية سألوا واليهم أبا عبيدة ابن الجراح أن يرزقهم من مال الأمة الذي تحت يده ، فقال : لا ، حتى أرزق الحاضرة ، فمن أراد بحبحة الجنة فعليه بالجماعة .

ويفسر هذا التصرف الحكيم قول سيدنا عمر بن عبدالعزيز لعماله : مر الجند بالفريضة وعليك بأهل الحاضرة ، وإياك والأعراب ، فإنهم لا يحضرون محاضر المسلمين ، ولا يشهدون مشاهدهم .

يريد رضي الله عنه أن لأهل البادية العون في أوقات الشدة ، ولكنهم ليسوا كأهل المدن الذين تجب لهم فرائض مالية ثابتة في كل حال ، وذلك لما يقدمون من خدمات وعون دائم للأمة إذ يعيشون بين الناس ، لا كأهل البوادي الذين لا يعنيهم أمر غيرهم كالأولين .

٢ — نحو الله سبحانه وتعالى :

إن القاعدة التي افتتحنا بها هذا البحث

كل حق يقابله واجب . وأن الواجب ينبغى أن يؤدى قبل الحق ، تحكم ما بين الناس من علاقات ، كما تحكم كذلك ما بيننا وبين الله سبحانه وتعالى من علاقات أيضا .

إن الله العليم الحكيم هو الذى يقول فى محكم كتابه : «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان» ويقول : «إنما تجزون ما كنتم تعملون» ، ويقول بصفة عامة : «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره» ، «ومن أصدق من الله حديثا» .

ومن البدهى أن الله هو الذى أوجدنا من العدم ، وسوانا وجعلنا فى أحسن تقويم وآتانا من ضروب النعم مالا نستطيع له عدا ، وإذا ، يكون فى الذروة من الواجبات التى علينا ما يكون منها لله سبحانه وتعالى .

فهو جل وعز الذى يحس المؤمن أنه بجانبه فى كل حال من العسر واليسر والشدة والرخاء ، وهو الذى يعينه إن نزل به ضيق ، ويشد أزره إن ألم به ضعف ، ويرشده ويسدده إن زلت به القدم .

وهو الذى يربط على قلبه ويواسيه ويجزل له الأجر إن حلت به مصيبة فذكر الله وصبر على ما أصابه ، ويبعث الأمل والرجاء فى نفسه إن طاف به اليأس ، ويغفر له إن أذنب ثم تاب إليه وأناب ؛ وهو الذى ، كما جاء فى كتابه الكريم «يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء» .

وإذا كانت نعم الله علينا ليس إلى إحصائها من سبيل ، فإن واجباتنا نحوه سبحانه وتعالى ليس لإحصائها أيضا من سبيل ، وأول هذه الواجبات هو الإيمان به حق الإيمان ؛ إيمانا يملأ النفس والقلب حتى لا يعيش المؤمن إلا به وله ، ويدفعه إلى العمل الصالح فى كل حال وذلك لخير المؤمن نفسه ، والمجتمع الذى يعيش فيه ، والأمة التى ينتسب لها .

وأساس هذا الإيمان أن يسلم المرء وجهه لله ، وأن يخلص له فى عبادته كأنه يرى الله الذى يراقبه ، وألا يرجو غيره ، أو يخاف سواه ، فإن من أمارات الإيمان الصحيح الرجاء والخوف منه سبحانه وتعالى .

الرجاء الذى لا يدعو إلى اليأس من مغفرة الله وواسع رحمته ، فإنه لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الخاسرون ؛ والخوف الذى لا يكون سبيلا إلى التفريط اعتمادا على أن رحمته تعالى وسعت كل شىء . فإن من لا يخاف حرى بأن يقع فى كثير من الذنوب والآثام .

إن من الناس من يرى أنه مؤمن بالله تعالى ولكنه مع هذا يخاف رئيسه مثلا أكثر من خوفه من الله مالك الأمر كله ، ومن بيده ناصية الناس جميعا . وإن منهم من يرفع رجاءه إلى بعض ذوى الجاه والنفوذ ويعتقد أنه إن وصل إلى واحد من هؤلاء

فقد وصل إلى ما يرجوه . هو أن واحدا من هؤلاء لا يملك لنفسه شيئا ولا يضر ولا ينفع ، ويعلم أن الواحد من هؤلاء الذين يتقرب الناس كذبا إلى الله أو إلى خلقه ، والذين يعتمدون فيما يرجون على أمثالهم من عبيد الله أكثر مما يعتمدون على الله ، ليسوا مؤمنين حق الإيمان بالله ، وليسوا من الذين يقومون كما ينبغي بما يجب عليهم لله الذي بيده ملكوت السموات والأرض وما بينهما .

إنه ليس للمؤمن بالله أن يعتز بغيره ، أو يستند إلا إليه ، أو يستعين إلا به ، أو يقدم لأحد غيره ـ مهما يكن سلطانه ونفوذه وقوته ـ شيئا من ضروب العبادة التي يجب أن تكون خالصة لله مالك الملك وحده .

ولهذا يقول الله في كتابه الكريم : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة » ، كما يقول : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » .

إن الله افترض علينا الفرائض المعروفة ، وإن مناط اعتبارها وتقديرها منه سبحانه وتعالى هو الإخلاص فيها ، فلا نكون أدينا واجب عبادته إلا إذا أقمناها كما ينبغي ، وأخلصنا في أدائها ، وقصدنا وجه الله وحده فيها .

وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) وجاء في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، أي ذلك في سبيل الله ؟ فقال : (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) .

ومن الواجب علينا لله سبحانه وتعالى ، بعد تقواه ومراقبته ، أن نستقيم في كل ما نقول ونعمل . ولذلك أمر الله رسوله بقوله : « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك » ، وقال في سورة أخرى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون » .

وبجانب هذا ، يروي الإمام مسلم في صحيحه أن رجلا من الصحابة قال للرسول : يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك ، فقال : (قل آمنت بالله ثم استقم) .

وبعد ، تلك بعض الواجبات التي علينا لله سبحانه وتعالى ، وبأدائها وإخلاصنا فيها نكون حريين بعون الله ورعايته وإحسانه في كل حال ؛ فهو الذي يقول وقوله الحق ووعده الصدق : « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » . ويقول : « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه » ، ثم يقول : « ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ، ذلك أمر الله أنزله إليكم ، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا » .

(الحديث موصول بإذن الله) .

الدكتور محمد يوسف موسى

إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ

للأستاذ محمود الشرقاوى

كرّم الله شهر رمضان وخصه بالمنزلة العظيمة فلم يذكر فى القرآن سواه من الشهور باسمه الصريح : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »(١) . ومَيّزه بالمكانة التى لا تقارَب ولا تدانى فبدأ فيه نزول القرآن الكريم ، كما تقول الآية .

وكرمه المسلمون منذ هداهم الله بهداية الإسلام فجعلوه موسم الصلاة والعبادة وتلاوة القرآن . كما جعلوه موسم البر والمودة والمعروف ، اقتداءاً بالنبى الكريم : (كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس . وأجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل . وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة)(٢) .

ومن حق العابدين الصائمين أن يعرفوا العبادة المقبولة ليحرصوا على أدائها . فما كلّ عبادة يقبلها الله فيثيب عليها .

وقد فصل ذلك الحارث المحاسبى فى بيان صادق فقال :

« وإنما الوجه الذى هو أشد الرياء وأعظمه إرادة العبد العباد بطاعة الله عز وجل ، لا يريد الله عز وجل بذلك . كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : (أن تعمل بطاعة الله تريد الناس) ... وكذلك يروى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : (إن الله تبارك يقول : أنا أغنى الأغنياء عن الشريك ، من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء وهو الذى أشركه) . فأبان بذلك أن من الرياء إرادة الله عز وجل وإرادة خلقه .

« وقال طاووس : (جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله الرجل يتصدق ويحب أن يحمد ويؤجر ، فلم يدر النبى صلى الله عليه وسلم ما يقول ، حتى نزلت هذه الآية : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » ، فأنزلها الله عز وجل جواباً لقول السائل ، إذ سأل : من أراد الله عز وجل وأراد حمد المخلوقين .

(١) ١٨٥ سورة البقرة

(٢) رواه ابن عباس : صحيح البخارى ص : ١٩٨ الجزء ٤ ـ الأميرية

وقال عمر رضى الله عنه لمعاذ بن جبل ورآه يبكى : ما يبكيك ... ؟ قال : حديث سمعته من صاحب هذا القبر ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، سمعته يقول : (إن أدنى الرياء : الشرك) . والحديث الذى يروى : « يسير الرياء شرك »[1].

والصدقة من أقرب القربات إلى الله فى رمضان وفى غيره . ولكن الصائمين العابدين يعرفون أن للبر فضائل وآدابا وأن هذه الفضائل والآداب قد تكون مقدمة على العمل الآلى المادى من البر . لأن العمل نفسه قد تكون له دوافع من الأثرة والأنانية والتظاهر .

تأمل قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب ، فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا ، والله لا يهدى القوم الكافرين »[2].

فقد نعلم من هذه الآية الكريمة أن الفضائل والآداب التى تلابس الصدقة والبر وبذل المال ، هى أهم وأفضل من المال المبذول نفسه - على حب النفس للمال وحرصها عليه - فستر الصدقة واصطحابها بالكلمة الطيبة

(١) ملخصا عن ص : ١٣٦ - ١٣٧ من : « الرعاية لحقوق الله » للمحاسبى . وهو شيخ الامام الغزالى

(٢) ٢٦٤ سورة البقرة .

المواسية ، أو بالصمت الرقيق المهذب العطوف ، مقصد أسمى تدعو إليه وتأمر به هذه الآية الكريمة عند بذل الصدقة وتقديم العون والمعروف . أما من يصحب بذله بالمن والأذى فمثله كما صورت الآية الكريمة .

ونتيجة عمله أنه لم يكسب ثوابا ولم يعمل خيرا ولا معروفا . مع أنه أنفق وبذل وتصدق . وهذا تحديد للصدقة المقبولة . وتربية ، أى تربية ، الضمير والإحساس . وتهذيب ، أى تهذيب ، للخلق .

والصلاة - فريضة وتطوعا فوق الفريضة المكتوبة - من أقرب القربات إلى الله ، ولكنها الصلاة التى يعرف لها صاحبها حقها ، من الخشوع والخضوع والإخلاص . الصلاة التى وصفها الله بأنها : تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وبعض الصلاة - صلاة المرائين المنافقين - قال الله إنه لا خير فيها : « لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس »[1] .

وجاء فى الحديث الشريف : (إن العبد إذا صلى فأحسن الصلاة صعدت ولها نور ، فإذا انتهت إلى أبواب السماء فتحت أبواب السماء لها ، وتشيع لصاحبها ، وتقول : حفظك الله كما حفظتنى ، وإذا أساء فى صلاته فلم يتم ركوعها ولا سجودها ، ولا حدودها صعدت

(١) ١١٤ سورة النساء .

ولها ظلمة ، فتقول : ضيعك الله كما ضيعتنى ، فإذا انتهت إلى أبواب السماء فتحت دونها ، ثم لفت كما يلف الثوب الخلق ، فيضرب بها وجه صاحبها » (١) .

والتوجه إلى المشرق والمغرب فى الصلاة ليس وحده براً ما لم يقترن بالإيمان والبذل والوفاء والبر والصبر وغيرذلك من الفضائل : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب . ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال - على حبه - ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس . أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » (٢) .

والصائمون العابدون الذين يرجون أن يقبل الله صومهم وعبادتهم ، يجب أن يذكروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن : « المفلس » وأن هذا المفلس من عمل الخير ومن الثواب يوم القيامة ، قد تكون له صلاة يظنها مقبولة وهى مردودة : (عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون ما المفلس ... ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . قال : إن المفلس فى أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته . فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه . ثم طرح فى النار) (١) .

والصائمون العابدون الذين يرجون أن يقبل الله صومهم وعبادتهم يجب أن يذكروا ويتدبروا حديث رسول الله عليه السلام الذى يقول : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) (٢) وحديثه الذى يقول : (رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع . ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر) (٣) .

وأن يذكروا ويتدبروا أن بعض الصلاة المقبولة التى يعرف لها صاحبها حقها ويلتزم جوهرها وآدابها وغايتها ، خير من صلاة كثيرة يتطوع بها صاحبها ولكنه لم يعرف لها حقها ولم يلتزم جوهرها وغايتها :

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الشعب من حديث أنس رضى الله عنه .

(٢) ١٧٧ البقرة .

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب .

(٢) أخرجه البخارى عن أبى هريرة : صحيح البخارى ، كتاب الصوم .

(٣) أخرجه ابن ماجة عن أبى هريرة : ابن ماجة ، كتاب الصوم .

(عن أبي هريرة قال : قال رجل : يارسول الله : فلانة ، يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها . غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها قال : هي فى النار . قال : يا رسول الله : فإن فلانة : يذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها وأنها تصدّق بالأثوار [1] من الأقط[2] ولا تؤذى جيرانها بلسانها . قال : هى فى الجنة) [3] .

فالعبرة ليست بالعدد والكثرة ، بل بالإحساس والضمير والوازع .

فتلك امرأة كثيرة الصلاة والصيام والصدقة وهى مع ذلك من أهل النار ؛ لأن عبادتها هذه لم تهذب نفسها ولم تحجزها عن أذى جيرانها . وهذه امرأة أخرى قليلة صلاتها وصيامها وصدقتها ، وهى من أهل الجنة . لأن هذا القليل من العبادة عصمها عن أذى الجار .

° ° °

بل هناك أمر يتصل بأصل الإيمان نفسه ، وهو هذه الآية الكريمة من سورة الماعون : « أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين »[1] فهى تجعل الذى يدع اليتيم ويزجره ويؤذيه؛ والذى يبخل على المسكين فلا يحض على إعطائه ويعطيه . لا تجعله الآية رقيق الإيمان ولا مذنبا ولا عاصيا . بل تجعله مكذبا بالدين . ثم تذكر الآية الكريمة أن قوما يصلون ، ولكن الويل لهم - مع صلاتهم هذه - لأنهم ساهون عنها ، ولأنهم قد اتصفوا باثنتين من صفات الرذيلة : المراءاة وحبس المعونة عمن يحتاجها : « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويمنعون الماعون »[2] وفى الآيات الكريمة

( ) فى : « النهاية من غريب الحديث والأثر » . التور : إناء من صفر أو حجارة قد يتوضأ منه . وقد يشرب فيه . يشير الحديث إلى أنها كانت تتصدق بالشيء القليل

(٢) الأقط : أو الأقط : شيء يتخذ من اللبن المخيض . وهو من ألبان الإبل خاصة ، أو المعز .

(٣) مسند أحمد ، الجزء ٢ ص ٤٤ .

(١ و ٢) : ٣ و ٤ الماعون . ويقول الإمام الشيخ محمد عبده فى تفسير هذه السورة : « إن كثيرا من الناس ، بل الأغلب فيهم ، يقولون إنهم يعتقدون بالدين ويصدقون بالله وبما جاء به رسله وبالحياة الآخرة ، وينتحلون لأنفسهم المزايا على غيرهم ، ويظنون أنهم المخلصون ، وأن من يخالفهم قد حقت عليه كلمة الشقاء . ويكتفون فى هذه الدعوى ببعض أعمال رسمها الدين وإن لم يكن لها فى قلوبهم أثر كالصلاة وما يشابهها مما لا ينقص مالا ولا يجشم مشقة .

« وسواء كان المحتقر للحقوق ، البخيل بالمال والسعى ، مصليا أم غير مصل . فصلاته لا تنفعه ولا تخرجه من صف المكذبين بالدين » .

ثم يقول الشيخ عبده بعد ذلك كلاما أوضح وأصرح لا نريد أن نطيل الاقتباس بذكره . فليرجع إليه من يشاء : [ص ١٦٣ - ١٦٤ من تفسير جزء عم ، الأميرية سنة ١٣٢٣ هـ] .

من أدوات التوكيد ما ترى . وقد صاغها الله في أسلوب لا نجد أبرع منه ولا أقوى تأثيراً في الضمائر ووقعاً على القلوب .

ومن ذلك حديث النبي عليه السلام الذي يقول : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (١) والذي يقول : (ليس المؤمن بالذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه) (٢) وذلك الذي يقول : (وأيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله تعالى) (٣) .

* * *

نريد من الصائمين العابدين أن يكونوا من عباد الله الذين نسبهم إلى رحمته فسماهم « عباد الرحمن » : « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما » (١) .

وأن يحرصوا على أن يكونوا من عباده المؤمنين : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » (٢) .

« ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا » (٣) .

« إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور » (٤) .

صدق الله العظيم ، وتقبل من المتقين .

محمود الشرقاوي

سكرتير التحرير

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان . حديث : ٧١ وفي رواية « لجاره » بدل يحب « لأخيه » .

(٢) عن ابن عباس . الجامع الصغير ص ٢١٧ ، الجزء ٣ .

(٣) مسند أحمد ، الجزء ٢ ص ٤٠٤ .

(١) ٦٣ ـ ٦٤ الفرقان ، إلى آخر السورة .

(٢) ٦١ الأنفال .

(٣) الإسراء : ٢٥ .

(٤) فاطر : ١٠ .

رمضان فى تاريخ مصر الإسلامية

للأستاذ محمد رجب البيومى

تحتفل الدول الإسلامية جميعها بشهر رمضان احتفالا تأنق به البهجة ، وتغمره البشاشة ، فالمسلمون يتهيئون إلى لقائه فرحين مغتبطين ، ويأخذون فى إعداد لوازمه وواجباته قبل أن يأزف موعده، فإذا أشرق هلاله وجد الاستقبال الحافل ، والترحيب الجزيل ، ومصر كانت ولا تزال من أسبق الشعوب إلى الاحتفاء بمقدمه ، والتنويه بجلاله ، منذ أشرق عليها نور الإسلام إلى عهدها الراهن، وقد تدرج احتفالها به تدرجا طبيعيا وفق قانون التطور والارتقاء ، فهو فى أيامها الأولى عقب الفتح العربى كان هادئا وقوراً ، تظهر دلائله فى المساجد المضاءة ، والصلوات المتتابعة ، والأذكار المخلصة، دون أن تتخذ له مواكب حافلة تملأ الطريق ، إلا ما كان من الذهاب إلى المقطم يوم الرؤية للتأكد من طلعة الهلال ، ثم الرجوع ثانية إلى المساجد ، ولم تلك مصر بدعا فى وقارها الهادئ إذ ذاك ، فقد كانت المدينة عاصمة الدولة الإسلامية فى عهد الخلافة الراشدة تكتفى بالاحتفال النفسى لا الرسمى، فالقلوب متجهة إلى السماء ، والمشاعر مخلصة فى التسبيح والصلوات والنفوس مستبشرة بما أتيح لها من صيام وقيام وزكاة . وقد كان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أول من أضاء المساجد طوال الليل بالمدينة ، وعنه سرى هذا التقليد الحميد إلى شتى العواصم ، حتى قال على كرم الله وجهه : (نوّر الله على ابن الخطاب فى قبره كما أنار مساجد الله) ومصر من بين العواصم التى رحبت مبدئيا بهذا التقليد المشرق، ثم بالغت فيه بعد ذلك مبالغة جعلت جميع المنازل والميادين تموج بالنور وكأن ليلها فى رمضان نهار وضاء !

وقد قدر لها أن يحكمها فى بعض سنواتها الزاهية أحمد بن طولون ، وكان رجل خير ، يجمع إلى الحزم والبطولة صفاء النفس ورقة الفؤاد ، وإخلاص الضمير ، وقد نظر إلى شهر رمضان نظرة عميقة مخلصة فرآه حقلا خصيبا لاستثمار الفضائل ، وإنماء المكارم ، فهو فى لبابه مظهر التعاون الإنسانى بين الناس، ومجال البر والخير والتراحم والتواد ، فليس الحرمان به عن الطعام هدفا مقصودا لذاته ، ولكنه وسيلة قوية إلى تضامن النفوس ، وتحاب القلوب، وإذ ذاك أمر بدعوة الأغنياء والحكام فى مختلف الأقاليم إلى منزله فى أول

يوم منه ، ثم قدم إليهم موائد الإفطار حافلة آهلة ، وجمع إليها حشدا من الفقراء والمستورين ، ! ! وما فرغ المفطرون من طعامهم حتى وقف ابن طولون وأعلن أنه دعا الأمراء والحكام لينظروا إلى ما يجب عليهم من السخاء طيلة أيام الشهر ، فهم مسئولون أمامه عن إطعام الفقير وتعهد المسكين ، ثم أصدر بذلك قرارا وزعه على البلاد المتفرقة فى القطر الواسع ، وتهدد من لا يمتثل أمره بأشد العقاب والنكال ، فصار رمضان لعهده فى أكرم صوره وأنبلها ، وأصبح على يديه مثابة خير ومورد إحسان ، حتى إن بعض الحكام كان يبعث أعوانه إلى بيوت الفقراء ليحملوهم بالقوة إلى موائده ثم يثوبوا بعد الإفطار وقد شغلوا أيديهم بما يطعم الأبناء والنساء ، وقد مر أول يوم من أيام رمضان بعمال البناء فى مسجده ، فرآهم يشتغلون حتى يؤذن المغرب ، فتألم لذلك وقال : متى يتمكن هؤلاء الضعفاء من شراء الطعام لأسرهم وإعداده ؟ ثم أمر بصرفهم جميعا حين يؤذن العصر ، فكانت سنة جديدة يحتذيها من حكم البلاد من بعده ، وسطرت له مع غيرها بأحرف من نور . . . رحمه الله .

وجاءت الدولة الفاطمية ، وهى من الترف والنعمة والثراء بمحل لا يوصف ، حتى اشتهر المعز لدين الله بذهبه ، وضرب به المثل فى الكثرة فقيل : (ذهب المعز وسيفه) . ثم تدفقت بين يديه خيرات الوادى الخصيب سيلا لا ينضب كنوزه الدفينة بطوفان يفيض ولا يغيض . فرأى أن يستمر بالمواسم الدينية الحفلة التى تظهر به أبهة الخلافة وجلال السلطان وبهجة الإسلام . وكان لرمضان من هذه المباهج الفاتنة حظ أى حظ : فقبل أن يأذن ميعاده تقفل أبواب الحانات . ويحرم بيع المسكرات ، وتأخذ المساجد فى أسباب التجميل والزينة ، فتطلى الجدران ، وترمم الصدوع وتفرش البسط الفاخرة ، وتعد القناديل والشموع والمجامر ، ثم يطوف القضاة بأنفسهم على بيوت الله فيشاهدونها بعد أن أخذت زينتها وبهاءها ، ويضعون عنها تقريراً أمينا يرفع إلى دار الخلافة ، فإذا كانت ليلة الرؤية خرج الخليفة من باب الذهب متحليا بأجمل اللباس ، وحوله الوزراء بملابسهم المزركشة . وخيولهم المطهمة ، ذات السروج المذهبة ، وقد أشرعت الرماح المحلاة ، والسيوف المزينة ، ورفرفت الأعلام والرايات ، ومن ورائهم فرق الجند المختلفة تصدح بالموسيقى العذبة ، ويتلوها كبار الوجهاء من علماء وقضاة وأدباء ، وكتاب وتجار ، وصيارفة وصاغة ، وقد تنافس الناس فى إقامة الزينات فى البيوت والشوارع والمصانع ، فأنارت الأنوار ، وتوهجت الشربات ، وتطلعت النساء من الشرفات يحيين الموكب الحاشد بالزغاريد والأغنيات ، ويمر المحفل

بين القصرين إلى أن يخرج من باب الفتوح ، ثم يدخل باب النصر عائدا إلى باب الذهب ، حيث يجلس الخليفة فى قصره ، فيستمع لآيات الكتاب الكريم يرتلها أشهر القراء ، ثم يوزع الصدقات والهدايات ، ويكتب إلى الولاة وحكام الأقاليم مبشرا بقدوم الشهر الكريم .

وفى أول يوم من أيام الشهر توزع الأعطيات الثمينة على الأمراء والحكام ، فتهدى إليهم أطباق الحلوى تتوسطها صرر الذهب ، ويدعو الخليفة كل يوم فريقا من رجال الدولة قبيل الغروب ، فيستمعون قليلا إلى المرتلين والمنشدين ، حتى إذا أذن المغرب دارت أكواب لزبيب والتمر والتين فيشربون مفطرين ، ثم ينهضون إلى صلاة المغرب جماعة فيسرعون فى أدائها ، ويرجعون إلى أماكنهم ليجدوا موائد الإفطار قد زينت بطاقات الزهر ، ووضعت عليها المآكل والفواكه وأنواع الحلوى على هيئة صور ، وتماثيل ، وقصور ، فإذا انتهوا من إفطارهم جاء الخدم فحملوا ما بقى من الطعام - وإنه لكثير - ووزعوه على طوائف الفقراء والمساكين فنالهم أكثر مما يشتهون .

ثم ينتقل الحاضرون بعد الإفطار إلى بهو القصر ، وهو فسيح متسع ، يشرف على الحدائق الظليلة ، فيتمتعون بسمر شهى رائق حتى تؤذن العشاء ، فينهض الجميع إلى صلاة القيام ، ويعودون إلى مجلسهم بين يدى الخليفة وفى كل ليلة يبدأ القراء فيتلون بعض السور الكريمة ، فى ترنيم ساحر ، وترتيل أخاذ ، فإذا انتهوا من قراءتهم نهض المؤذنون فأخذوا يكبرون ويهللون ، ويشيدون بفضائل الشهر وبركاته ، خاتمين لحونهم بالدعاء للخليفة والثناء عليه . ثم يفسحون المجال للوعاظ ، فيتحدثون عن فضائل الصيام ويفسرون آيات القرآن ، ويرددون الرقائق من الأحاديث النبوية والروائع من العظات الدينية ، فإذا فرغوا من واجبهم نصبت حلقات الذكر ، فنهض إليها الكبراء من العلية مسبحين ذاكرين ، فإذا انتصف الليل تهيأ القوم للسحور ، فأكلوا واستطابوا ، ووزعت عليهم الحلوى والفطائر ليحملوها إلى منازلهم مسرورين ، ومن يسعده الحظ بالجلوس على مائدة الخليفة فى السحور ذاق من أطايب المآكل والمشرب ما يظل سمر حديثه بين الرفاق ، ثم يرجع إلى أهله وقد حمل أطيب ما يقدم والد لأبنائه من تحف وألطاف . وتستمر ليالى الفاطميين على هذا المنوال الرائع عدة ليالى الشهر الكريم .

أما مصر الأيوبية فقد شاء لها القدر أن تضطلع بعبء الدفاع عن البلاد الإسلامية أمام الجيوش الصليبية الزاحفة فى حملاتها المتتابعة ، فلم يجد صلاح الدين من وقته وماله ما يبذله فى الاحتفال بسهرات هذا الشهر الكريم ، وإذا كان الجهاد يجيز للمسلم أن يفطر فلا يصوم فإنه من باب أولى يحتم عليه

أن يهمل كل احتفال بشهرات رمضان وليالية فاقتصر الأمر على إضاءة المساجد والمآذن وقد ظن بعض المؤرخين أن الدولة السنية الجديدة بمصر ، ترى ما كانت تصنعه الدولة الشيعية المنقرضة من أبهة الاحتفالات بالمواسم الدينية حراما محظوراً ، فتجنبته لحرمته ، ولم تشأ أن تتورط فيه ، وهذا وهم لا يسنده الواقع ، إذ أن كثيراً من الأيوبيين حكاما وقادة ، كانوا يحتفلون بهذه المواسم حين يفرغون بعض الشيء من غارات الصليبيين فالملك المظفر صاحب إربل وزوج أخت صلاح الدين كان أعظم ملك احتفل بالمولد النبوى الشريف[1] . وحسام الدين لؤلؤ قائد الأسطول الحربى لعهد صلاح الدين الأيوبى ، كان يحتفل بشهر رمضان احتفالا مشهوراً ، فيملأ ثلاث سفن كبيرة بالطعام كل يوم ، ويدخل الفقراء إليه فى صفوف منتظمة وهو قائم مشدود الوسط ، وبيده مغرفة وأطباق ، فيعطى كل صائم حظه من السائل والجاف ، ويبدأ بالرجال فالنساء فالغلمان دون أن يتزاحم أحد عليه لاطمئنان كل فرد إلى وصول حقه إليه ، مستمراً على عادته تلك طيلة أيام رمضان !! فلو كانت الدولة الأيوبية ترى تحريم هذه الاحتفالات الدينية ما نهض بها ملك عظيم من خلصائها ، وقائد خطير من كبار رجالها كما قد قيل . ولكن الحرب الطاحنة قد شغلت المسلمين عن كل شيء وأيسر الأمر أن تشغلهم عن المواكب والاجتماعات.

على أن دولة المماليك قد تاركت ما تركه الأيوبيون من أبهة واحتفاء ، فى ليلة الرؤية يخرج قاضى القضاة ، ومعه القضاة الأربعة للمذاهب الشرعية ، ووراءهم رؤساء الطوائف والصناعات من تجار وحدادين وسباكين وحائكين وشماعين لرؤية هلال رمضان من فوق منارة قلاوون ، فإذا ثبتت الرؤية أضيئت الأنوار على المتاجر والدكاكين والمآذن والمنارات ، وسار قاضى القضاة فى موكب رائع يجمع علية القوم فى المقدمة ، وجمهرة العامة فى الوسط والنهاية . تحف بهم الشموع والفوانيس ، ويتقدمهم الجند وجملة المشاعل والمباخر ، حتى يصلوا إلى ميدان القلعة . فيروا السلطان فى سرادقه المنصوب ، وإذ ذاك يتقدم إليه الخليفة وقاضى القضاة بالهنئة ، ثم ينهض السلطان ليستعرض أحمال الدقيق والخبز والسكر وطوائف الغنم والبقر المخصصة لصدقات رمضان ، وتمر من أمامه بعد أن يتم عرضها من قبل فى مختلف الشوارع والدروب ، بين تصفيق المشاهدين . وزغاريد الحاضرات . وقد كانت دروس الدين تلقى بالمساجد بين المغرب والعشاء أيام الأيوبيين على غير سنن مرسوم ، فختم المماليك على كبار العلماء قراءة صحيح البخارى بالجامع الأزهر

---

(1) لنا حديث شامل عن هذا الملك العظيم بمجلة الهلال سبتمبر سنة ١٩٥٩ .

من أول ليلة إلا أن تختم أحاديثه ليلة العيد فى احتفال مهيب يحضره السلطان والخليفة وقضاة المذاهب ثم توزع الخلع والهبات على العلماء والفقهاء والطلبة داخل المسجد ، وعلى الأيتام . والأرامل والمرضى ، والمهاجرين خارجه ، فيكتمل لليلة العيد من السرور والبهجة ما يجعل يومها التالى عيداً بروحه ومعناه قبل أن يكون عيداً بتاريخه وساعاته.

ولعل من الطريف أن نذكر أن الأوقاف على رمضان لم تعرف قبل العصر المملوكى ، فالمماليك أول من رصدوا فى حجج أوقافهم العقارات والأطيان الزراعية لتنفق غلاتها فى إقامة الشعائر الدينية ، وتوزيع النفحات المالية ، طوال أيام رمضان ، ! وذلك لن يكون إلا عن عناية حافلة واهتمام أكيد .

وقد اطردت العناية بهذا الموسم الجليل بعد العصر المملوكى . ففى أيام محمد على لم يهتم المصريون بالاحتفال الرسمى الذى يتصدره المحتسب والقاضى حين ينهضان مع الجند والأتباع إلى رؤية الهلال ثم يذيعان النبأ !! ولكن الشعب يؤلف موكبه بنفسه ، فكل أصحاب حرفة من الحرف كالطحانين والخبازين والجزارين والزياتين والعطارين ، يلتفون حول شيخ الحرفة ، ويتتابعون فى موكب شعبى يطوف بالشوارع الهامة ، وأمام كل حرفة ما يميزها عن غيرها ، لتعرف بدلائلها وأوصافها فلا يتفقدها أحد من المشاهدين ، ويتحول اللهو الخفيف بعد العصر من أيام رمضان ، إلى سوق عامرة مكتظة . إذ أن القاهريين فى القرن الماضى كانوا يرون زيارة مسجد الإمام الشهيد كل يوم قبيل المغرب منسكا يختتم به الصوم ، والجائلون من الباعة يرون ازدحام الناس بالميدان الحسينى فيزيدونه تكدسا بعرباتهم المثقلة ، وسلعهم المختلفة ، حتى يؤذن المغرب فيسرع كل صائم إلى منزله ، ويخلو الميدان المكتظ فجأة من أهليه ، وما هى غير ساعة حتى يعود كسابق عهده قبل الغروب ، فتغص المساجد بالمصلين ، والشوارع بالمارة ، والمقاهى بالسامرين .

أما الريف فقد كان ولا يزال المظهر المحتشم لاستقبال رمضان ، فإضاءة المساجد والمآذن تسبق اليوم الأول من الشهر معلنة قدومه ، وطواف المسحر فى الأزقة والحارات بطبلته ومصباحه تقدم صورة أخرى من تقاليد رمضان ، وكذلك استمرار الذبائح يومياً بالقرى بعد أن كانت لا تشهدها إلا فى المواسم المتفرقة مرتين أو ثلاثا فى العام الطويل ، وإلقاء العظات الدينية بالمساجد عصراً وبعد صلاة الغروب ، والتفاف الأطفال جماعات حول المئذنة ينتظرون الصيحة الأولى من الآذان ، فإذا دويت فى الفضاء تبعها صياح وضجيج ، ثم قراءة القرآن قبل الإفطار فى مجالس عامة تعقد فى منازل الأغنياء وذوى

اليسار ، وتسمى « التعصيرة » ويؤمها المستمعون والمتطلعون إلى الإفطار من ذوى الحاجة وأبناء السبيل ، فإذا أديت العشاء عقدت مجالس القرآن مرة ثانية فى المنازل ، وتوافد الزائرون من كل ناحية يستمعون ويشربون البارد أو الساخن وفق الزمن والطقس ، حتى يحين وقت السحور فيقدم صاحب المنزل مائدته لمن يريد ثم يتجه المجتمعون إلى صلاة الفجر بالمسجد ، وتزدحم الشوارع الضيقة بالمارة ، حتى لكأن النهار قد سبق ميعاده بساعات ، ولفجر رمضان فى القرى من الروعة والجلال ما لا يبلغه الوصف ، فالمسجد آهل غاص ، والترتيل موقع منسق ، والصلاة تكتسب من الخشوع والإقبال روعة لا توجد فى غير فجر الصيام وتراويحه بعد العشاء ، فإذا كادت أيام الشهر أن تنصرم وزعت زكاة الفطر على الفقراء فى عطف وتواد ، واحتفل باليوم الأخير (وقفة العيد) احتفالا تضاعف فيه الذبائح وترتفع الأجور أو تنخفض وفق الإقبال والإعراض ، وما زال الريف فى الجمهورية العربية المتحدة مغرس الإيمان ، ومنبت الخشية والصلاح ، وقد كادت هذه المظاهر الجميلة تزول بعض الشئ من القاهرة والريف ، لتقعد أسباب الرفاهية ، وانصراف الصائمين فى رمضان إلى المذياع يقطعون معه سهرانهم الطويلة ، التى تبتدئ بعد الإفطار مباشرة ، وتستمر حتى يصلى الفجر بالمسجد ، على أن الإذاعة تقدم فى برامجها الخائنة السمين والغث . فهى تعمد كثيراً إلى إذاعة المسلسلات الهابطة ترفيهاً عن المستمعين من أغنية تافهة أو تمثيلية ضاحكة ، وأحرى بها أن ترتفع فى أكثر ما تذيعه بالسامعين ، لا أن تكون فى أكثر ساعاتها مدعاة لهو وفراغ . وأذكر أنها عمدت فى رمضان الأسبق إلى كتاب عيسى ابن هشام فمسخته مسخاً يبرأ منه المؤلف ، ويرحب به السوقى اللاهى وكان فى عرضه على حقيقته إعلاء للسامع ، ورعاية لمكانة الصوم وتقدير للوعى الناهض ، وقد حمدنا لها أن قدمت كل يوم بعض الفصول الروحية من الحديث ، وندعوها هنا أن تتوسع فى هذه الناحية بحيث يكون الطابع الروحى أكثر من غيره ، ولها فى فصول المراغى وشكيب وشلتوت والرافعى والزيات وفريد وجدى وعزام والعقاد مدد لا ينقطع ، وذخيرة تغنى وتلهم وتدعو إلى سبيل الحق بالحكمة والموعظة الحسنة .

وبعد : فإذا كان الاحتفال برمضان فى عهدنا الأخير قد وكل فى أكثر أحواله إلى الإذاعة العربية - والتليفزيون أخيراً - فإننا نطمع أن يجد لديهما سعة الأفق ، وكمال التوجيه ، ورائع التقدير .

محمد رجب البيومى

فريضة الصيام وتطورها في المجتمعات الإنسانية

للدكتور جمال الدين الرمادي

أقبل شهر رمضان في هيبته ووقاره ، يتهادى على الدنيا ، ويتيه بين الشهور والأيام ويحرص المسلمون على الصيام في هذا الشهر المبارك تقربا إلى الله عز وجل ، وتأدية لفريضة هامة من فرائض الإسلام .

وللصيام حلاوته وعذوبته . ومنفعته وأهميته ، ولقد حرصت شعوب الأرض منذ نشأة الخليقة على الصيام ، ولكن تعددت أشكاله باختلاف الأمم والشرائع ، وكان عندهم في أغلب الأحوال تهذيباً للنفس وترويضا للحس وعاملا على السمو والارتقاء .

ولعل الكف عن الكلام هو أغرب أنواع الصيام ، وقد ذكر العالمان سبنسر وجيلين في كتابهما عن سكان استراليا الوسطى حالات كثيرة من هذا القبيل ، منها أن المتوفى عنها زوجها يجب أن تظل مدة طويلة تبلغ أحيانا عاما كاملا صائمة عن الطعام ، ويظهر أن بعض الديانات القديمة كانت تسوغ مثل هذا الصيام بدليل قوله تعالى في سورة مريم : « إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا . فأشارت إليه » .

الإمساك عن الطعام :

والإمساك عن الطعام والشراب يقع على وجوه شتى فمنه المطلق الذي يشمل جميع المأكولات والمشروبات كصيام الصابئين والمانوية والمسلمين ، ومنه المقيد الذي يتم بالكف عن بعض أنواعها كبعض أنواع الصيام عند المسيحيين ومن المتصوفة المسلمين من يصومون طيلة حياتهم عن الطعام والشراب ، ولا يفطرون إلا عند الغروب ، ويعتقدون أن الصوفي من صفا من الكدر ، وامتلأ من الفكر ، وانقطع إلى الله عن البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر .

مناسبات الصوم :

ويصوم بعض الشعوب في مناسبات عديدة منها حدوث ظاهرة غريبة تستهوي الناس وتحير العقول ، وتذهل النفوس . مثل حدوث الكسوف أو الخسوف ، أو ثوران البراكين ، أو حلول الزلازل . لقد كان الإنسان يعتقد أن حدوث مثل هذه الأمور يعتبر غضبا إلهيا منصبا على الدنيا . ومن فيها وما فيها ، فكان يتقرب إلى الله تعالى

عن طريق الصوم ، كما أن بعض الشعوب يصوم إذا ما توفى عزيز لديها أو انتزع من أهله انتزاعا ، ويصوم بعض الشعوب ابتغاء التكفير عن الذنوب المقصودة أو غير المقصودة ، أو التحلل من بعض الواجبات أو الالتزامات الدينية التى لا يتمكن بعضهم من أدائها على الوجه الأكمل ، وكم صامت شعوب من أجل التقرب إلى الله تعالى حتى يمس الإنسانية برحمته من جراء وباء خطير ، يحصد النفوس حصدا أو طوفان غزير يدمر المدائن والقرى أو قحط شديد أو حريق هائل يأتى على الأخضر واليابس .

وقد يتخذ الصوم تمهيدا لعبادة أخرى لجعلها مقبولة أو عنصرا هاما من عناصرها ومن ذلك الصوم الذى يسبق أو يصاحب تقديم القربان ، أو إيتاء بالنذور ، أو الوفاء الزكاة وإخراج الصدقات .

وكثير من الديانات الهندية المؤسسة على تقديس الشمس توجب على متبعيها الصيام كل يوم من غروب الشمس حتى شروقها ، ورؤية جرمها بالسماء ، فإن حجبتها السحب عند طلوعها وجب مواصلة الصيام حتى تبزغ ومن الغريب أن هذا النوع من الصيام متبع عند عشائر السناتيموك Snatsimuk من قبائل الساليش Saliches وهى إحدى قبائل الهنود الحمر التى يتألف منها السكان الأصليون لأمريكا الشمالية .

وقد فرضت ديانة البوذيين الصيام من شروق الشمس إلى غروبها فى أربعة أيام من كل شهر قمرى هى أيام اليوبوزاثا Uposatha وتقع فى مبدأ كل منزلة من منازل القمر الأربع كما أوجبت الراحة التامة ، وحرمت مزاولة أى عمل حتى إعداد طعام الإفطار ، ويصوم الخرسانية والكلدانيون والصابئة أحد وعشرين يوما فى تشرين الثانى « نوفمبر » منها تسعة أيام لرب البخت ، ويفتون فى كل ليلة الخبز ، ويخلطون معه الشعير والتين واللبان ، ويرشون عليه الزيت .

والصوم عند المسيحيين هو الانقطاع عن الطعام والشراب مدة محدودة من النهار ، ثم يتعاطى الصائم مأكولات خالية من الدسم ؛ تذليلا للنفس والجسد ، وتنويراً للعقل ، وله فوائد منها أنه يشعرهم بحالة المحتاجين لكى يرثوا لحالهم ، وليشعروا بخطاياهم ، والصيام أنواع عند المسيحيين ، منه صيام يوم الأربعاء من كل أسبوع ، لأنه تمت فيه المشورة على موت المسيح ، ويوم الجمعة من كل أسبوع لأنه صلب فيه ـ كما يعتقدون ـ وصوم الميلاد ومدته ٤٢ يوما ، ويمتنع الصائم فيه عن الأكل والشراب حتى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وهناك صوم نينوس ، والصوم

الكبير ، ومدته ٥٥ يوما ، وصوم السيدة العذراء ، والبرامون الذى يسبق عيدى الغطاس والميلاد إلخ .

تربية النفس :

والواقع أن الصيام عند المسلمين تربية للنفس ، وإيقاظ للدوافع الكامنة فى نفس الإنسان ، وتعديل سلوكه وميوله وغرائزه الفطرية تعديلا صالحا ، وقد شرع الإسلام الصيام تخليصاً للنفس من أدران المادة ، ورياضة لها حتى تستقيم على منهاجها السوى فتعدل عن بذل قواها لمزاحمة الغير والتسلط عليه بغير حق ، وإلى بذلها لتطهير نفسها ، والتسلط على إرادتها ، وهو فرض على كل مسلم عاقل مقيم طاهر قادر على الصوم .

وكان النبى عليه السلام وأصحابه يتناولون عند الغروب تمرات ثم يقومون للصلاة ، فإذا أدوها عادوا لتناول ما تيسر من الطعام دون إفراط . ومكثوا للعشاء فصلوها ، ثم قاموا إلى مضاجعهم أو إلى عبادتهم حتى قرب الفجر . ثم هبوا لتناول ما تيسر من الطعام ، ثم توضأوا واستعدوا لصلاة الصبح فإذا قضوها ذهبوا إلى أعمالهم حتى الظهيرة ، فيقيلون إلى نحو العصر ، ثم يقومون للصلاة منتظرين الغروب .

ولقد خصص النبى اعتكافه فى العشرة الأيام الأخيرة من شهر رمضان ، فجعله اعتكافا وثيقا ، وهو الذى للصيام وانقطع عن الزاد زاهداً متعبداً ، مايها الإيمان فى غار حراء . فكان يخدم صائما مصليا مسبحاً تاليا كتاب الله القدير ، احتراما لفريضة الصوم وإكراما لكتاب الله الذى أنزل فى هذا الشهر ، طامعاً فى التقرب إلى الله تعالى ، وكان يقول وهو خاشع متبتل من خشية الله : (المعرفة رأس مالى ، والعقل أصل دينى ، والحب أساسى ، والشوق مركبى ، وذكر الله أنيسى ، والثقة كنزى ، والحزن رفيقى ، والعلم سلاحى ، والصبر ردائى ، والرضا غنيمتى ، والفقر فخرى ، والزهد حرفتى ، واليقين قوتى ، والصدق شفيعى ، والطاعة حسبى ، والجهاد خلقى ، وقرة عينى فى الصلاة) .

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أفطر قال : (اللهم لك صمنا ، وعلى رزقك أفطرنا ، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم) وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من قال اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، وعليك توكلت ، كتب له من الأجر بعدد من سلم ذلك اليوم) وكان إذا أكل قال : (الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وأشبعنا ، وآوانا فكفانا) وكان يقول لعلى رضى الله عنه : (إذا شربت ماء فقل الحمد لله

الذى سقانا ماء عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا وكفرنا شاكرا) .

وقد ألهم رمضان الأدباء والشعراء فاعتبره بعضهم حبيبا عزيزاً ، لا يودون فراقه ، ولا يبتغون الانصراف عنه . أو التخلص منه فقال العتابى الشاعر :

شهر الصيام غـــداً مواجهنا
فليهجن رعيـــة النسك
أيامه كونى سنين ولا
تفنى فلست بسائم منك

كم قال شاعر آخر :

قد جاء شهر الصوم فيه الأمان
والعتق والفوز بسكنى الجنان
شهر شريف فيه نيل المنى
وهو طراز فوق كم الزمان
طوبى لمن قد صامه واتقى
مولاه فى الفعل ونطق اللسان

واهتم الشعراء بوصف لياليه وأسماره وتقاليده وعاداته كأكل القطايف والكنافة وما إليها وجاء ذكرها فى شعر كشاجم وابن الرومى وغيرهما ، ووصف بعضهم القطايف بحقاق العاج أو الرمائف فقال شاعر :

لله در قطايف محشوة
من فستق دعت النواظر واليدا
شبهتها لما بدت فى حجنها
بحقاق عاج قد حشين زبرجدا

وقال شاعر آخر :

وقطايف محشوة بلطائف
طافت بها أكرم بها من طائف
شبهتها نضرت على أطباقها
بوصائف قامت بجنب وصائف

وقال الجزار الشاعر فى وصف الكنافة :

ومالى أرى وجه الكنافة مغضبا
ولولا رضاها لم أرد رمضانها

وهكذا كان رمضان وكانت أطايبه ملهمة للأدباء والشعراء غير أن الصيام ليس هو الصيام عن الطعام ، فقد صدق الرسول الكريم حين قال : (كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش) وحين قال كذلك (من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) فلا بد ألا يقترن الصيام بمعصية أو يصاحبه إثم أو تحف به غيبة أو نميمة ، أو يكتنفه شر من الشرور .

الصوم حماية ودواء للمجتمع :

وقد أثبت الطب فائدة الصوم فى إراحة الجسم مما يعانيه من جهد متواصل فى العمل ووقاية النفوس من التهور واليأس من مواجهة الصعاب ـ كما يعد تدريبا لخلايا الجسم ـ ومنها خلايا المخ والأعصاب على التقشف ـ والاحتفاظ بحيويتها ونشاطها . لأن الامتناع

عن الطعام والشراب يؤدى إلى هبوط مقدار السكر فى الدم - أى مقدار الغذاء اللازم لهذه الخلايا . ويجدى فى حالات المرض وتصلب الشرايين كما ثبت أن الامتناع عن الأطعمة الدهنية الدسمة يقلل من البشرة الدهنية والإكزيما الدهنية ، والالتهاب الجلدى الدهنى كما أن الامتناع عن تناول ألوان معينة من الطعام يفيد فى معالجة أمراض زيادة الحساسية مثل الإكزيما والأرتيكاريا ، والحكة الجلدية وما إليها .

كما أثبت علم النفس أن الصوم تربية صحيحة للنفس وكبح لشهواتها ، وهذه التربية الصحيحة للنفس هى الدعامة الأولى للفضيلة كما يرى العلماء والفلاسفة فالمفكر الفرنسى الشهير جان جاك روسو يعتقد أن التربية الصحيحة هى ترقية الفضيلة فى الإنسان ولا تيأتى ذلك إلا بطرق عملية لإيقاظ القوى الطبيعية الكامنة فى النفس وترقيتها ، ويرى الفيلسوف « كانت » أن التربية سبيل لترقية الإنسان إلى درجة الكمال أما هربرت سبنسر Herbert Spencer فيرى أن التربية توجه عنايتها إلى الناحية النفسية الخلقية ، وتكوينها تكوينا اجتماعيا صحيحا يتفق والتعاليم الدينية .

ولو أننا درسنا الصوم دراسة وافية لأدركنا أنه أكبر حافز على تربية النفس وترويضها ، وخلق الإرادة الحازمة ، والصبر على المكاره وما تأتى به حوادث الأيام من الشدائد والمحن وهو ما دعا إليه الإسلام قبل أقطاب الفلسفة والتربية فى أوربا .

وما أصدق الرسول الكريم حين قال : (الصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يرفث ، ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل إنى امرؤ صائم والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما . إذا أفطر فرح ، وإذا لقى ربه فرح بصومه) .

فما أخلقنا أن نتعلق بهذه التربية الكريمة ، ونتمسك بهذا الهدى النبوى المبين ، وهذه الموعظة الربانية الحسنة ، موعظة الصوم فى هذا الشهر المبارك .

دكتور

جمال الدين الرمادى

بغداد

بغداد يا دار للسلام على الوجود ... بمجد العروبة من ديارك لن يبيد

فشبابك المقدام يقتحم السدود ... حفظ الأمانة عبر ماضيك التليد

الأستاذ الأكبر الشيخ ابراهيم حمروش

للأستاذ محمد علي النجار

نص الكلمة التي ألقيت في حفل التأبين
الذي أقامه مجمع اللغة العربية في يوم الأربعين

أعز علي بأن أقوم بتأبين الأستاذ الأكبر الشيخ ابراهيم حمروش (١) وأن أقف هذا الموقف أعدد فيه مآثره، وأعرض حياته الحافلة بكل جليل، فتزيدني ذكراه أسفا وأسى. وتبعث في من البث والحزن ما أجهد أن أنساه فلا ينسى.

ولقد حرصت أن أجنب هذا المقام فلم يقدر لي. فاللهم ارزقنا الصبر والعزاء على هذا المصاب الجلل.

ولقد تعلقت بأسبابه، ووصلت حبلي بحبله في سنة ١٩٣٧ حين عملت في التدريس في كلية اللغة العربية وكان عميدها، فأولاني من عطفه، وأخذ بضبعي، وكان لي منه الخير الكثير.

صحبته إذن، وقد استوى على صهوة المجد والشرف الباذخ. فهو من رجالات الأزهر وأولي الأمر فيه، وهو عضو في مجمع اللغة العربية، وهو حجة في علوم الدين واللغة.

كان جامعا بين الحزم في سياسة الكلية وتدبير الأمور في الأزهر، والاضطلاع بالمطالب العلمية التي يتطلبها المجمع والأزهر.

كان ساهرا على رعاية الكلية، خبيرا بما فيها، لا يشذ عنه شيء من أحوالها. حريصا على أن تتبوأ المركز اللائق بها. فكان يختار لها المدرسين الكفاة من الأزهر وغيره، وكان ينظم امتحان مسابقة لدخول الطلاب فيها، ولم يكن ذلك مسنونا في قانون الأزهر، ولكنه الحرص على أن يكون طبقة ممتازة من الطلاب.

ولقد كان يطوف بحجر الدراسة في اليوم غير مرة، ويسأل الطلبة في دروسهم، ويقف على درجة تقدمهم وتخلفهم، ويطب لكل مقام بما يقتضيه.

ولقد مرت فتن سياسية وأعاصير هوج كان الطلبة يسلكون فيها في بعض الحين مسلك الشطط والزلق، فكان يعالج الأمر بالحزم والكياسة، يخلط الشدة باللين، والمخاشنة بالمحاسنة، فيعود الطلبة طوع يديه، يأتمرون بأمره ويقفون حيث أحب.

ولقد بلغت كلية اللغة العربية أوج مجدها، وكانت غرس يديه.

وترك كلية اللغة إلى كلية الشريعة في ٢٤ من أكتوبر سنة ١٩٤٤م فأصلح من شأنها،

(١) ولد الشيخ ابراهيم حمروش: في ربيع الأول ١٢٩٧ هـ أول مارس ١٨٨٠ م — وتوفي في ٢٦ جمادى الأولى ١٣٨٠هـ — ١٥ نوفمبر ١٩٦٠م.

وقوم من أودها ، وثقف من قناتها ، وكان له فيها أثر محمود حتى استقال من رياستها فى ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٤٥ م على أثر أمور فى الأزهر لم ترضه . ولكنه بقى عضوا فى جماعة كبار العلماء .

وأسند إليه منصب مشيخة الأزهر فى ٣٠ من ذى القعدة سنة ١٣٧٠ هـ (٢ من سبتمبر سنة ١٩٥١ م) وبقى متقلداً هذا المنصب الجليل حتى يوم ٩ من فبراير سنة ١٩٥٢ م .

وكان الوطن فى أيام توليه مشيخة الأزهر فى محنة مع الإنكليز فى قناة السويس وفى حاجة إلى جمع الصفوف وتوحيد الكلمة ، فكان للشيخ السهم الموفور فى هـــذه الدعوة الشريفة » .

فتراه ينشر على الناس فى يوم ١٩٥٢/١/١٥ كتابا يقول فيه :

« أيها المصريون ، أتوجه إليكم فى هـذه الظروف التى غشيتكم فتنتها ، وحزبتكم شدتها ، أن تكونوا إخوانا فى الوطن متآخين متحابين ، رائدكم الإخلاص لبلادكم وأنفسكم « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

« وإن شر ما تبتلى به الأمم فى محنتها أن تتفرق كلمتها ، وأن تنحل وحدتها ، وتنقطع أواصر المودة بين جماعاتها ، فيشق العدو الطريق إليها ، وينفذ بسهامه إلى صدور أبنائها » .

« وهذه مصر ، بلادكم العزيزة ووطنكم المحبوب تناديكم جميعا ، شيبا وشبانا ، رجالا ونساء ، أقباطا ومسلمين ، أن تكونوا سهاما مسددة نحو عدوها ، وأن تلقوا الغاصب صفا واحداً كأنكم بنيان مرصوص ، بقلوب لاتعرف إلا الوطن والدفاع عن حوزته » .

« وأذكركم - حتى لايغيب عن أذهانكم - تاريخ هـذا الغاصب الرابض فى داركم ، وما اعتاده من سياسة التفريق طالبا للسيادة ورغبة فى السلطان وبسطا للنفوذ ، لمصلحته هو لا لمصلحة أحد سواه . وأذكركم جميعا مسلمين وأقباطا بماضيكم المجيد . فقد قمتم كتلة واحدة تطالبون باستقلال البلاد واستكمال حريتها . وتبوئها مكانة سامية بين الأمم . وأشهدتم العالم كله على وحدتكم وائتلافكم » .

« وإنى أعيذكم بالله من التفرق واختلاف الكلمة ، فتضيع جهودكم الكبيرة التى بذلتموها فى سبيل عزتكم وعزة بلادكم » .

« واعلموا أن النصر المؤزر لقضيتنا رهن باتحاد صفوفنا واجتماع كلمتنا ، ووقوفنا جميعا فى وجه عدونا ، حتى تظفر بلادنا بما تصبو إليه من السيادة والحرية والاستقلال ، ويتمتع أهلها جميعا بالأخوة الصادقة والاطمئنان على أموالهم وأنفسهم » .

وحين اشتد حنق الإنكليز فى القنـــاة والإسماعيلية فأنزلوا عذابهم على القرى

الآمنة أصدر الشيخ منشورا جاء فيه :

« إن شعب وادى النيل الباسل فى كفاحه السلمى لإخراج المغتصبين المحتلين من بلاده لم يجاوز حقه الشرعى فى الدفاع عن عقيدته والمطالبة بحريته ، ولكن هذا الدفاع لم يرق فى أعين المحتلين من الإنجليز ، فعملوا بكل الوسائل العدوانية على توهين وحدته ، واندسوا فى صفوفه ، يشيعون الأراجيف لتفريق كلمته . فلما واجههم الشعب وحدة متراصة ، وقام فى وجوههم على قلب رجل واحد يطالب بحقه فى الحياة الحرة طاشت أحلامهم ولجئوا إلى القوة الغاشمة يسلطونها على الآمنين فى ديارهم ، وعلى النساء فى خدورها ، وعلى الأطفال فى مهادها » .

« وكلما زاد الشعب تمسكا بحقه وصبرا على هذا العنت زاد عسفهم ، وتعددت مظالمهم ، حتى خرجوا على كل شرعة ، وبزوا كل ما عرف من أعمال التنكيل التى اشتهرت بها محاكم التفتيش ، وما قام به النازيون من أعمال وحشية ، فأزالوا القرى الآمنة من الوجود بدباباتهم ، وهدموا البيوت بمدافعهم الثقيلة ، وشردوا النساء والأطفال الأبرياء . وانتهكوا كل الحرمات ، واعتدوا على المساجد والكنائس ، ولم يبق جرم إلا ارتكبوه ، ولا شناعة إلا فعلوها . ولم تقف شناعتهم عند حد ، فراحوا يطلقون النار على حفظة الأمن ورجال الشرطة ، ويقتلونهم تقتيلا فى رائعة النهار ، ويأسرون من نجا منهم ... » .

« وإنى باسم الأزهر علمائه وطلابه لأعلن استنكارى لهذا الإجرام الفظيع الذى انتهكت فيه الأعراض ، واستبيحت الأموال واعتدى على حرية الإنسان وحقه المشروع فى أن يطالب بحريته واستقلاله ، وأحتج بشدة على هذه الأعمال العدوانية التى تنافى جميع الشرائع والأديان . وأهيب بالضمير العالمى أن يثور على هذا الوضع المهين لكرامة الإنسان ، وأن يهب لوقف هؤلاء المستبدين عند حدهم ، ليعلموا أن فى العالم ضمائر تتحرك لنصرة الحق ، ونفوسا تثور للأخذ بيد العزل المكافحين لنيل حرياتهم .. » .

وليعلم الإنجليز أن هذه الفظائع التى يصبونها على رءوس أبنائنا لن تلين للشعب قناة ، ولن ترده عن المطالبة بجلائهم الناجز عن وطننا العزيز ، وأن وادى النيل كله لن يسكت بعد اليوم على ضيم يراد به ، ولن يفرط فى حق من حقوقه ، مهما ابتلى بالشدائد ومهما ضحى من أرواح غالية ... » .

« وإنى إذ أستمطر رحمة الله ورضوانه على شهدائنا الأبرار أتوجه إلى أبناء الوطن جميعا مناشداً إياهم أن يشدوا من عزائمهم ، وألا يجعلوا لهذه الأحداث أثراً فى نفوسهم ، فلا يهنوا ولا يحزنوا ولا يضعفوا ، وهم

الأعلون إن شاء الله . فلا بد للجهاد من تضحية وللحرية من ثمن «يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون» .

وإن النيل من الإنجليز وجههم بالغليظ من القول فى ذلك العهد لم يكن بالسهل الهين ، ولا يقاس به عهدنا الحاضر الذى نعمنا فيه بجلائهم وذهاب سلطانهم عنا . فقد كان الإنكليز لا يزال لهم من السلطان على صاحب القصر ورجاله الشىء الكثير ، وكان القدح فيهم لا يطور به من ذوى المناصب إلا من لا يتمسك بمنصبه . ويؤثر الحق على زينة السلطان وجلاله الكاذب ، وأكبر الظن أن إقالته من المشيخة ترجع إلى هذا المنزع السياسى الذى ضاق به الإنكليز .

وإنى أقص هنا سيرة الشيخ ونشأته حتى استوى سيد اجليلا .

ولد الشيخ فى قرية الخوالد التابعة لمركز إيتاى البارود من أعمال مديرية البحيرة فى العشرين من شهر ربيع الأول ١٢٩٧ هـ (أول مارس ١٨٨٠ م) ونشأ فيها فحفظ القرآن الكريم حين بلغ الثانية عشرة من عمره ، وأرسله والده إلى الأزهر ، وكان يحكى أن والده إذ ودعه حين ذاك أوصاه أن يحافظ على الصلاة لأول وقتها ، وحافظ الشيخ على هذه الوصاة طوال حياته ، فإذا دخل الوقت كان أكبر همه أن يؤدى الصلاة ، وفى يوم وفاته قدر له أن صلى العصر ، ولم يلبث أن وافاه الحمام .

وجاور الشيخ فى الأزهر فأخذ عن الشيوخ المنتفعين الذين كان الأزهر ملآن بهم . وكان الشيخ ذكيا ثقفا لقفا عرف بالذكاء والزكانة طول دهره ، فحصل تحصيلا عجبا ، وفطن لدقائق العلوم ، واستحكمت عنده الملكة الأزهرية .

وقد تلقى الفقه الحنفى عن الشيخ أحمد أبى خطوة واختص به ، وكان يثنى عليه كثيراً ، وأخذ عن الشيخ محمد بخيت وأخذ النحو على الشيخ على الصالحى المالكى . ولزم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده فى دروسه فأخذ عنه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز والبصائر النصيرية فى المنطق . وقد يرجع إلى تلمذته للشيخ محمد عبده الفضل فى تحرر فكره واتساع أفقه وحسن التصرف فيما يعلم .

وكان إلى جانب اشتغاله بعلوم الدين واللغة يشتغل بالعلوم الرياضية ، وكان رياض باشا رحمه الله قد أعد مكافآت مالية لمن يفوز فى امتحانات الرياضة ففاز الشيخ فى هذه الامتحانات غير مرة .

وقد أتم تحصيله فى سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦) وتقدم لامتحان شهادة العالمية وكان صغير

السن بين أقرانه فى ذلك الحين . وكان امتحان العالمية فى أصول الفقه يكون فى مسألة من مسائل مقدمة جمع الجوامع . ورأى شيخ الأزهر الشيخ عبد الرحمن الشربينى تجاوز المقدمة والامتحان فى مسألة أخرى حتى لا يقصر الطلبة جهودهم على المقدمة ، فعيّن مسألة للامتحان فى القياس فتخلف عن الامتحان كثير ممن جاء موعد امتحانهم ، فأبيح التقدم لمن بعدهم وتقدم الشيخ فمازه فى امتحان دقيق كان شيوخنا يحدثوننا عن عسره وكان الطالب يقضى فى الامتحان سحابة نهاره ، ولكن الشيخ لم يتجاوز ثلاث ساعات ، وكان الامتحان فى أربعة عشر علما.

وعقب تخرجه نظم فى سلك مدرسى الأزهر فى ٢١ من نوفمبر سنة ١٩٠٦ . وكان رحمه الله أحيانا يتحدث بما أفاء الله عليه من النعمة ، وما كان عليه الأزهر فيقول : كان مرتب المدرس فى الأزهر خمسة وسبعين قرشاً فى الشهر ، ولقد كان أول ما تسلمته بعضا من هذا القدر إذ كان دخولى فى التدريس فى أعقاب الشهر ، ولقد كان فرحى بهذا المال الذى هو أول مال اكتسبته من الأزهر عظيما : إذ كان فيه وصل لحبلى بحبال علماء الأزهر . وقد اختير لتدريس الرياضة بعد ، وكان يتقاضى على ذلك خمسين ومائة قرش فى الشهر ، وهو مع ذلك يدرس العلوم الدينية واللغوية . ويذكر بعض من تلقى العلم عنه فى هذه المدة فيقول : كان الشيخ جميل السمة موثقها غير متزمت فى هديه ، يلقى الدرس فى ترتيب عجيب وسياق لطيف يأخذ بألباب السامعين ، يبعد عن الحشو والتطويل واللغو من القول ، ولا يطيل فى المباحث اللفظية ، له نغمة حلوة فى الإلقاء تجذب الطلاب .

وفتحت مدرسة القضاء الشرعى فى ذلك العهد ، وكان على أمرها عاطف بركات رحمه الله ، وكان يختار لها من الأزهر المبرزين الفوقة ، فذكر له الشيخ فاختاره ، وكان ذلك فى سبتمبر سنة ١٩٠٨ فبقى فيها إلى ١٢ يونية سنة ١٩١٦م . وقام فيها بتدريس الفقه وأصول الفقه ، فتخرج عليه الثقات الكفاة الذين تقلدوا مناصب القضاء ، والإفتاء ، أذكر منهم الشيخ فرج السنهورى ، والشيخ حسنين مخلوف ، والشيخ حسن مأمون . والشيخ علام نصار ، وغيرهم كثير.

وولى بعد المدرسة منصب القضاء الشرعى ، فكان القاضى الفاضل الذكى البصير بالأحكام ومكايد الخصوم . الصادع بالحق ، الناطق بالفضل ، وكان أخوه الشيخ أحمد حمروش قاضيا ، وكذلك كان عمه الشيخ عبد الحميد حمروش قاضيا ، فهو من أسرة تأثل فيها هذا المنصب الرفيع . ولقد عرفه فى ساحة القضاء الشيخ المراغى رحمه الله ، فلما ولى مشيخة الأزهر نقله إلى الأزهر يستعين به

فى أمره . فكان له فى الأزهر اليد الطولى فى شئونه وتقلب فى مناصبه حتى صار شيخا لكلية اللغة العربية فى ١٣ يونية سنة ١٩٣١ .

وتتوج حياته العلمية فى الأزهر بدخوله فى جماعة كبار العلماء فى ٢٨ من صفر سنة ١٣٥٣هـ (١٠ من يونية سنة ١٩٣٤م) . وقد قدم لنيل هذه الدرجة رسالة جليلة فى « عوامل نمو اللغة » تدل على تحقيق ودقة نظر فيما تناول من المسائل ، يقول فى مقدمتها :

« وبعد : فإن اللغة العربية بفضل عواملها المتعددة رحب صدرها . واتسع نطاقها ، وكثرت مادتها ، وتنوعت أبنيتها ، وصار لها جمال المنطق وجلال الدلالة وحسن الديباجة ولطف العبارة ، وقد وسعت بتلك العوامل علوم اليونان والفرس وغيرهما ، وصارت لغة العلم والدين » .

« وقد كتبت كلمة فى التوليد بالزيادة والإبدال والقلب والاشتقاق والترادف والاشتراك والمجاز والنحت والارتجال والتعريب » .

وأذكر هنا مبحث التعريب فى ختام الرسالة ليكون نموذجا لمباحثها . وعنوان البحث : « أثر التعريب » : « فى التعريب زيادة مادة اللغة بالألفاظ الدخيلة فيها . وقد أجرت العرب على بعضها أحكام الألفاظ العربية من القلب والاشتقاق وغيرهما ، وقد جرى العلماء على تسمية ما أدخله العرب بالمعرب ، إلى أن اختلطت العرب بغيرها وفسدت اللغة وما أدخله غير العرب بعد فساد اللغة والاختلاط بالأعاجم سموه مولدا ، وهناك قسم آخر يسمى بالعامى ، وهو ما أخذ من غير مادة عربية ، أو من مادة عربية ولكن بتحريف وتبديل لا تجيزه قواعد اللغة » .

« بقى الكلام الآن فى أمر هو محل نزاع الباحثين وموضع اهتمامهم ، وهو أن المعانى الجديدة ، والمستحدثات العصرية كثرت وتعددت بعد أن وقف التعريب ، وأصبحت اللغة العربية لا تنهض بالدلالة على تلك المعانى ولا تقوم بحاجة التعبير عنها ، فهل الموجودين أن يعربوا ألفاظ المعانى والمستحدثات تمشيا مع الحاجة ، ودفعا للضرورة ورفعا لعيب نقص اللغة العربية عن الاضطلاع بحاجة أبنائها » ؟ .

« ذهب فريق إلى التعريب ، وقال : إن اللغة كائن حى كسائر الموجودات وكل موجود حى يتدرج فى الرقى ، وكما تدرج أهل اللغة يجب أن تتدرج اللغة ، وإن التعريب يؤدى إلى اتحاد لغة العلم ، ويحفظ للمخترع اسمه ، ويبقى له ذكره » .

« وذهب فريق إلى أنه لا حاجة إلى التعريب وأن اللغة العربية يمكن أن تنهض بالدلالة على المعانى الجديدة باتخاذ الوسائل المؤدية إلى ذلك ، فعندنا مهجور فى اللغة لا يستعمل الآن ، وبنقله إلى المعانى الجديدة يقوم بالدلالة

على بعضها ويتداول بين الناس فتحيا به اللغة العربية . وعندنا المجاز ، وهو يدل على غير الموضوع له بواسطة العلاقة والقرينة وعلاقاته كثيرة متعددة ، وعندنا المشتق ومنه قسم مطرد » .

« وبهذه الوسائل يمكن اللغة العربية النهوض بالدلالة على المعانى الجديدة » .

« على أن فى التعريب فشو الكلمات الدخيلة فى اللغة ، وهو يودى باللغة الفصيحة ، ويذهب بجمالها ورونقها . وفى ضياع اللغة الفصيحة تعطيل الأداة الصالحة لفهم القرآن والحديث ، وهما عماد الدين وإليهما يرجع المسلمون » .

« وفى جواز التعريب ضياع أخص ميزات الجنس العربى ، لأن الجامعة الجنسية لا تكون بغير اللسان العام الذى يتفاهم به الجميع على السواء . فلو تساهل كل شعب فى استعمال ألفاظ أعجمية لضاعت روابط الجنسية ، وأصبح لكل شعب لسان خاص » .

« وأما أن التعريب يوحد لغة العلم ويحفظ للمخترع اسمه فكلام لا يلتفت إليه ، فإن اتحاد لغة العلم إنما يكون إذا اتحدت أبجديات الأمم وهى مختلفة جداً . وحفظ اسم المخترع لا نبالى به إذا كان فى عدم الالتفات إليه صيانة اللغة العربية » .

« هذا حاصل كلام الفريقين باختصار . وأرى أنه إذا أمكن باتخاذ الوسائل المتقدمة أو باتخاذ وسائل أخرى غيرها أن تنهض اللغة العربية للدلالة على جميع المعانى والمستحدثات العصرية فلا نقدم على التعريب حفظا للغتنا العربية التى هى أداة فهم القرآن والحديث اللذين هما أساس الدين وعماده . وإن لم يمكن أن تقوم اللغة بعد اتخاذ الوسائل بالدلالة على جميع المعانى أقدمنا على التعريب بقدر الحاجة فقط ، مع المحافظة على اللغة الفصحى ، بأن نذكر اللفظ ونذكر بجانبه معناه ، وأنه مما عرب للدلالة عليه ، ونبين تاريخ التعريب ، فيكون ما وضعه المتقدمون معروفا ، وما ألحق باللغة معروفا ، فتتحقق المحافظة على الموروث عن السلف » .

وأرانى قد ألممت ببعض حياته فى الأزهر ، وسألم ببعض حياته فى المجمع .

دخل الشيخ — رحمه الله — المجمع لأول نشأته فى سنة ١٩٣٤ م فاختير فى معظم لجانه ، وشارك فى بحوثه ، وكان من الرعيل الأول الذين أرسوا قواعد المجمع وأقاموا عمده . وكان له فيما يعرض فى اللجان ومجالس المجمع ومؤتمره الرأى السديد والبصر النافذ واللحظ الناقد والبحوث المستفيضة فى الشئون العلمية .

ومن آرائه أن اللفظ المولد إذا اشتهر يستعمل فى غير اللغة والأدب .

وعرض المجمع فى بعض جلساته لرسم المصحف وطلب إلى الشيخ أن يكتب رأيه ، فكان رأيه الوقوف عند الرسم المعهود له ، ولا ينبغى كتابته بالرسم العادى ، لأنه عرضة للتغيير والتبديل فى كل عصر ، فلو أبيح هذا

لتعدد رسم المصحف ، وكان مظنة لأن يعزى إليه الاختلاف لحفظ القرآن وصونه يقضى بابقاء رسمه على الكتبة الأولى .

وقدم أحد الأعضاء المراسلين بحثا فى كلمة « الضرر » رأى قصره على الزمانة وفقد البصر وأنه مصدر لفعل لازم على زنة فرح ، وإن لم يجىء هذا الفعل فى المعاجم ، وأنه لا يقال : أصاب فلانا الضرر فى ماله أو فى حميمه مما ليس بداء لازم وخطأ الجوهرى فى جعله الضرر اسما بمعنى الضر ، وارتاب فى الحديث : لاضرر ولاضرار ، وأثار مسألة الاحتجاج بالحديث فى اللغه فقدم الشيخ بحثا رد به حجج هذا الباحث وأورد من الشواهد مالا يقبل الجدل ، كقول جرير :

فإن تسعهم فمن يرجون بعدكم
أو تنج منها فقد أنجيت من ضرر

وقول أبى تمام :

لو كان فى البين إذ بانوا لهم دعة
لكان فقدهم من أعظم الضرر

وله بحث قيم فى التضمين ونيابة بعض الحروف عن بعض ، وبحث فى الاشتقاق الكبير .

وكان الشيخ - رحمه الله - عجيب الاستحضار لما يقرأ ويسمع ، كثير المحفوظ من الشعر ، حسن الاستشهاد به فى المقامات المناسبة ، جرى مرة فى لجنة الأصول الحديث فى التضمين ، وأنكر بعض الحاضرين أن يضمن فعل متعدّ معنى فعل آخر متعد ، فقال الشيخ : أذكر قول الشاعر :

علفتها تبنا وماء باردا

وقد قال اللغويون : إن علف هنا مضمّن معنى أطعم ، وكلاهما متعد .

وكان بيته محجة أولى العلم ينهلون من مورده العذب ، ويجدون ما طاب من حديث فى دقائق العلم ممزوجا بفكاهة حلوة وطيب سمر ، وكان الشيخ طيب النفس بعيدا عن التزمت مؤنسا للجليس لا يمل مجلسه . وفى يوم الجمعة الذى توفى بعده اجتمع الشيوخ عنده عقب الصلاة فجرى البحث فى تفسير قوله تعالى : « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض » . وأفاض الشيخ فى الحديث فيها ، وكان الشيخ يفسح الكلام لمن يتكلم ويعقب برأيه السديد .

وكان رحمه الله عطوفا على ذوى الحاجات يسعى فى قضاء حاجهم بما له من جاه عند أولى الأمر لا يدخر وسعا فى ذلك ، ولقد رعى أسرا عضها الدهر بنابه ، وأناخ عليهم بكلكله ، حتى استقام أمرها ، وبان رشدها .

وإن الأزهر والمجمع ليبكيان فيه التقى والصلاح والعلم الجم والفضل الغزير ، فرحمه الله رحمة واسعة ، ورزقنا العزاء والأجر على التأسى بفقده ، وأسكنه فى جنات النعيم ؟

محمد على النجار

المسلمون فى الهند

للأستاذ أبو الحسن على الندوى

كنت فى رحلتى فى الشرق الأوسط أواجه سؤالا يتكرر ويوجه فى كل مجلس وفى كل مناسبة ما عدد المسلمين فى الهند ؟ فأجيب إنهم أربعون مليونا ، وهناك يندهش الناس ويندفع بعضهم قائلا ياسلام . . ! أربعون مليونا ، فلولا ثقتهم بالضيف ولولا الجد فى الجواب والصرامة لسارعوا إلى التكذيب أو الشك على الأقل ، لأنهم كانوا ينتظرون أن يكون المسلمون فى الهند ، بعد ما سمعوا من موجات الهجرة الكبيرة وعدد النازحين الضخم ، أنهم سيكونون مليونا واحدا فضلا عن أربعين مليونا ، إذن فلا غرابة فى استغرابهم .

لقد كانت هذه مفاجأة لا تفارقنى أينما حللت ونزلت ، مفاجئة للطرفين ، مفاجئة المسلمين عن عدد المسلمين فى الهند ومفاجئة للعجيب لاستغرابهم .

وهناك مفاجئات أخرى فيما يتصل بالمسلمين فى الهند ، فالذين كانوا يعرفون أن فى الهند عددا كبيرا من المسلمين - على قلة هؤلاء - كانوا يعتقدون أن المسلمين لا شأن لهم فى هذا القطر العظيم ، ليست لهم حضارة خاصة ولا ثقافة واسعة ولا آداب سامية ، ولا مؤسسات علمية ولا نشاط ولا إنتاج فى العلم والأدب ، إنما هم كالرعاع أو أمة قد أفلست فى كل مقومات الحياة وفى كل ما تعتز به أمة من علم وأدب ، ودين واجتماع ، وأخلاق ومروءة .

بل كان بعض الإخوان يسأل هل فى الهند مساجد ؟ هل فيها مدارس دينية ؟ هل عندكم علماء ؟ هل يوجد هناك من يحسن أن يقرأ القرآن ؟ هل هنا من يفهم العربية ؟ أسئلة تدل على أن معلومات إخواننا العرب عن المسلمين فى الهند بسيطة جدا ، وتدل كذلك على أنه قد أثير تقع كبير حول المسلمين فى الهند .

ويدل كذلك على تقصير علماء الهند فى القيام بمهمة التعريف بهذا القطر العظيم وبهذه الأمة الإسلامية العظيمة التى مثلت دورا رائعا فى تاريخ الإسلام وتاريخ العلم العام . وأضافت ثروة ذات قيمة عظيمة إلى مكتبة الإسلام

العامة . وأتحفتها بطرف غالية تتجمل بها المكتبة العربية وتزدهي على سعتها وغناها ، وتفردت ببعض العلوم الإسلامية ، التي كانت ولا تزال فيها الهند زعيمة العالم الإسلامي وحاملة لواءها عدة قرون كعلم الحديث والفقه وأصوله في القديم ، والسيرة النبوية وعلم الكلام وشرح النظام الإسلامي في هذا العصر .

وأنجبت رجالا شهد لهم علماء العرب بالفضل وعكفوا على كتبهم ومؤلفاتهم ينقلون ويقتبسون ، ويستدلون ويحتجون ، كالإمام الصغاني اللاهوري صاحب العباب الزاخر ، والسيد مرتضى البلكرامي الزبيدي دفين مصر صاحب تاج العروس ، والشيخ أحمد السرهندي صاحب الرسائل الخالدة في الحكم الشرعية والإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشيخ ولي الله الدهلوي صاحب حجة الله البالغة .

وهنالك كتب أفاد منها العلماء في الأقطار العربية واعترفوا بفضلها ، ككتاب تيسير الرحمن وتيسير المنان للشيخ علي الهاشمي وكنز العمال للشيخ علي المتقي ، وكشاف اصطلاحات الفنون للشيخ محمد علي التهانوي ، أما الفتاوى الهندية فلا تزال معروفة في دوائر القضاء الشرعي وأوساط المشتغلين بالفقه الحنفي والإفتاء .

وقد أنجبت كذلك علماء يندر نظيرهم في الذكاء وسيلان الذهن والابتكار العلمي ، كالشيخ محمود الجونبوري والسيد غلام علي آزاد البلكرامي ، والشيخ عبد العزيز الدهلوي والشيخ رفيع الدين الدهلوي والشيخ إسماعيل ابن عبد الغني الدهلوي ، والملا نظام الدين اللكهنوي ، ومولانا عبد العلي بحر العلوم والشيخ محمد قاسم النانوتوي .

وأنجبت كذلك علماء لا يضارعون في كثرة المؤلفات والإنتاج ، كالأمير السيد صديق حسن خان والشيخ عبد الحي اللكهنوي ، والشيخ أشرف علي التهانوي .

وقد أنتجت من الملوك رجالا يتفردون في حسن سياستهم وتنظيمهم للدولة وسن القوانين العادلة كشيرشاه السوري وأورنك زيب عالمكير ، وفي الصلاح والعدل كناصر الدين محمود غياث الدين بلبن ، وفي حماية العلم والعلماء كاسكندر بن بهلول اللودهي والسلطان إبراهيم الشرقي . وفي كثرة الفضائل العلمية والخلقية كالسلطان مظفر الحليم الكجراتي والسلطان محمود الكجراتي . ومن الوزراء الجامعين لأشتات الفضائل كعبد العزيز آصف خان ، ومحمود كاوك ، وعبد الرحيم خان خانان .

ولا تزال الهند مأهولة بشعب مسلم قوي في دينه ، غني في علمه ورجاله ، مخصب في عقله ، متوقد الذهن نشيط ، مصمم على الإقامة في وطنه الذي خدمه ألف سنة وأغناه في العلم والحضارة والدين والاجتماع ، وكانوا من صانعيه .

إن من الجفاء أن تبقى هذه البلاد الغنية برجالها وأعمالها ، وماضيها وحاضرها مجهولة عند أصدقائها فى الخارج مطمورة فى صفحات التاريخ ، ولكن التبعة فى ذلك على أبنائها قبل أن تكون على أصدقائها ؛ لأنهم فرطوا فى تقديم هذه البلاد وما تمتاز به من فضل وعلم وحياة ونشاط إلى الناطقين بلغة الضاد ، وانطووا على نفوسهم ، وعاشوا فى عزلة عن العالم .

ولكنى إذا ذكرت أبناء الهند بالتقصير فى جنب بلادهم الأم ، فإنى أعتذر إلى روح مؤرخ الهند الكبير الذى خلف لأبناء البلاد العربية مكتبة كاملة فى تاريخ الهند ووصفها وقام وحده بما تقوم به المجامع العلمية فى أوربا برجالها وعدتها ، ألا وهو العلامة السيد عبد الحى الحسنى ، مدير ندوة العلماء الأسبق ، الذى ألف فى تراجم أعيان الهند كتابه : « نزهة الخواطر » فى ثمانية مجلدات كبار تشتمل على نحو خمسة آلاف ترجمة ، وفى تاريخ الهند العلمى والتعليمى كتابه : « عوارف المعارف » ، وفى خطط الهند وآثارها كتابه : « جنة المشرق » ، فإنه قد قضى ما عليه وزاد ، جزاه الله عن المسلمين فى الهند خير ما يجزى العاملين المخلصين .

أرانى قد قسوت بعض الشىء مع إخوانى الكرام فى الأقطار العربية العزيزة ، الذين لم تمكنهم شئونهم الخاصة من دراسة تاريخ الهند وحاضر المسلمين وغابرهم ولكنى - والحق يقال - وجدت فيهم عدداً لا يستهان به من المتتبعين لأحوال الهند والمطلعين على آثارها الإسلامية ، الذين لا يزالون يشيدون بفضلها فى بعض العلوم الإسلامية وحراستها لأمانة الحديث الشريف بعد ما ركدت ريحه فى البلاد العربية .

وقد رأيت حرصا كبيراً فى كل بلد عربى على معرفة الهند وتطلعا إلى أحوال المسلمين فيها وعناية خاصة بشئونهم ، وانجذابا إليهم بحكم الدين والثقافة الإسلامية ، بسبب ما عرف به المسلمون فى الهند قديماً وحديثاً ، من الغيرة على الإسلام والتعصب للعلوم الإسلامية العربية ، والحرص على الوحدة الإسلامية .

كل ذلك يدفعنى إلى أن أتحدث إلى إخوانى فى الشرق الأوسط عن الهند الحبيبة إليهم ، وعن إخوانهم المسلمين فيها قديما وحديثاً ، ويتناول هذا الحديث نواحى شتى فى الحياة العلمية والاجتماعية والدينية .

ما أضافوه إلى ثروة البلاد وما أدخلوا عليها من إصلاحات :

سأتحدث عما حمله المسلمون إلى هذه البلاد الحبيبة مع دخولهم فيها كدعاة مرشدين ، أو غزاة مجاهدين ، أو ملوك فاتحين ، أو علماء

محققين ، من خيرات وحسنات ، وتحف وطرف ، وعن بعض ما أضافوه إلى ثروتها الدينية والعلمية ، والخلقية والاجتماعية ، والصناعية والمدنية فى عهدهم الطويل الجميل الزاهر

دخل المسلمون فى هذه البلاد بدافع دينى مجرد من كل مصلحة ومنفعة ليحملوا إلى أهلها رسالة الإسلام الرحيمة العادلة وليخرجوا الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها ، وليضعوا عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، كما فعل أولئك الدعاة المخلصون الذين ارتمى فى أحضانهم مئات ألوف من الأشقياء المعذبين ، وأحبوهم أكثر من آبائهم وأولادهم . كالسيد على الهجويرى ، والشيخ معين الدين الأجميرى ، والسيد على بن شهاب الهمدانى الكشميرى ، ودخلوها حيناً آخر كغزاة فاتحين ، وملوك طامحين ، كالسلطان محمود الغزنوى ، وشهاب الدين محمد الغزنوى ، وظهير الدين بابر التيمورى ، وقد كانوا مؤسسى دولة عظيمة ازدهرت مدة طويلة ، وخدمت البلاد ، وتقدمت بها فى نواحى الحياة المختلفة .

وكان كل من هؤلاء وأولئك مصمما على الإقامة فى البلاد أو على الاتصال بها اتصالا مباشراً مستمراً ، معتقدا أن الأرض لله يورثها من يشاء ، وأن كل ما كان لله فهو للمسلم عن طريق الخلافة والوصاية العالمية التى كلف بها المسلمون . وكانوا يخدمونه بكل ما أوتوا من ذكاء ونبوغ وقوى ومواهب ، وكانوا يعتقدون أن كل ما يضيفونه إلى ثروتها إنما يضيفونه إلى ثروتهم ، ويحسنون إلى أنفسهم وأجيالهم القادمة ؛ لأنهم أهل البلاد وأمة المستقبل ، وكان نظرهم إلى البلاد يختلف بطبيعة الحال عن نظر الأوربيين المستعمرين الذين يجلبون خيراتها إلى بلادهم الخاصة ، ويحلبون البلاد كبقرة مستعارة لا تقيم عندهم وسوف لا يجدون إليها سبيلا ، ذلك سر عناية المسلمين بهذه البلاد وحرصهم على تقدمها ورفاهها .

دخل المسلمون فى الهند وهى تعتز بحضارة أصيلة عريقة فى القدم وفلسفة عميقة وعلوم رياضية دقيقة ، وخيرات عظيمة من حبوب وثمار وفواكه ومواد خامة ، ولكنها كانت على كل ذلك تعيش فى عزلة قد فصلتها عن العالم المعمور الجبال فى جانب ، والبحار فى جانب آخر ، وكان آخر من دخلها من العالم المتمدن هو الإسكندر الكبير ، وهكذا انطوت هذه الأمة العظيمة على نفسها وعاشت قروناً طويلة فى عالم محدود محصور ، لا تستورد شيئاً من الأفكار ، والديانات ، والنظم ، والصنائع ، والعلوم من الخارج ، ولا تصدر إليه شيئاً .

دخل المسلمون فى الهند وهم أرقى أمة

فى الشرق بل فى العالم المتمدن المعمور فى ذلك العهد يحملون ديناً جديداً سائغا معقولا سهلا سمحا . وعلوما اختمرت وتوسعت ، وحضارة تهذبت ورقت حواشيها ، يحملون معهم محصول حقول كبيرة كثيرة ، ونتاج حضارات متنوعة متعددة ، يجمعون بين سلامة ذوق العرب ولطافة حس الفرس وبساطة الترك ، وكانوا يحملون للهند وأهلها غرائب كثيرة وطرفا غالية ، وكان أغرب ما كانوا يحملونه فى الدين توحيد الإسلام النقى الذى لا يرى الوساطة بين العبد وربه فى العبادة والدعاء ، ولا يعترف بتعدد الآلهة والمظاهر والظلال وحلول الله جل وعلا فى بعض البشر وظهوره ويؤمن بالإله الواحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، له الخلق والأمر ، وله الكبرياء فى السموات والأرض .

أما فى الاجتماع فكان أعجب ما حمله المسلمون معهم هى المساواة الإنسانية التى لم يكن للهند عهد بها . فلا نظام طبقات ، ولا منبوذ ولا نجس بالولادة ، ولا جاهل يحرم عليه التعلم ، ولا تقسيم أبدى للحرف والصناعات ، فالناس يعيشون معاً ويأكلون معاً ، ويتعلمون سواء ، يختارون ما يشاءون من الحرف والصناعات ، وقد كان ذلك صاعقة للذهن الهندى ، والمجتمع الهندى ، ولكن لا شك أنها أفادت الهند كثيراً ، ولطفت من شدة النظام الطبقى السائد وكانت باعثاً قوياً على رد فعل ضد هذا النظام ، وحافزاً للدعاة إلى الإصلاح الاجتماعى ونسخ اللمس المنبوذ .

وكانت الثالثة احترام المرأة والاعتراف بحقوقها وكرامتها كعضو محترم من أعضاء الأسرة الإنسانية وشقيقة الرجل . وعظمة هذه الهدية فى بلاد كانت السيدات يحرقن أنفسهن بالنار على وفاة أزواجهن ولا يرين ولا يرى المجتمع لهن حقا فى الحياة بعد الأزواج أقول : إن عظمة هذه الهدية فى مثل هذه البلاد واضحة لا تحتاج إلى تحقيق .

نقل المسلمون إلى الهند علوما جديدة كذلك من أجلها وأنفعها - إذا تركنا العلوم الإسلامية التى لا تتوقع من الهند - علم التاريخ فقد كانت البلاد فقيرة فى التاريخ ، ليس فى مكتبتها كتاب تاريخ بالمعنى الصحيح ، إنما هنالك صحف دينية أو ملاحم مقصورة على حرب أو عهد كما يهارث ورامائن ، أما المسلمون فقد كونوا فى التاريخ مكتبة هائلة من أوسع المكتبات التاريخية فى العالم . ونظرة فى كتاب معارف العوارف فى أنواع العلوم والمعارف ، للعلامة السيد عبد الحى الحسنى تظهر ما كان للمسلمين من نشاط غريب وإنتاج ضخم فى تاريخ الهند وفى التاريخ العام .

وقد اكتسبت الهند من المسلمين بصفة عامة توسعا فى الخيال وجدة فى التفكير ومعانى جديدة فى الأدب والشعر لم تكن تخطر على بال لولا عملية التوليد العقلى والتلقيح الفكرى والأدبى وكان مما منح المسلمون الهند هذه اللغة الجميلة الواسعة التى أصبحت لغة التفاهم ولغة العلم فى الهند التى عرفت بكثرة اللغات واللهجات أعنى لغة أردو .

وكان تأثير المسلمين فى المدنية والصناعة وأساليب الحياة أبرز وأقوى منه فى نواح أخرى ، فقد أدخلوا فى هذه البلاد حياة جديدة تختلف عن الحياة القديمة فى هذا القطر كما تختلف الحياة فى أوربا اليوم عن الحياة فى القرون الوسطى.

كان الهنود يعيشون حياة بسيطة كأمة منقطعة عن العالم ليس عندهم توسع فى المطاعم والملابس . وأكثر لباسهم من الكرباس والقطن الثخين العادى والصوف الخام ولكن سرعان ما تقدمت البلاد فى الأطعمة والملابس وتنوعت تنوعا كبيراً . وقد حدث التاريخ أن الحاكة كانوا ينسجون القطن والصوف على ثلاثين طرازاً فى عهد الملك المغولى أكبر وهو عهد متقدم ، أما فى العصور الأخيرة فقد وصلت صناعة النسج إلى حد يستدعى العجب حتى جاء الإنجليز وقضوا على الصناعات الوطنية ترويجا لبضائعهم الأجنبية .

وكانت البلاد على رغم خصبها وغناها قليلة الفواكه والثمار وأكثرها برية لم تلق العناية اللازمة حتى جاء المغول وهم أصحاب ذوق رفيع وأبناء بلاد كثيرة الفواكه والثمار فأدخلوا فيها فواكه كثيرة وثمارا جديدة يعرفها المستقصى من كتاب « توزك بابرى » و « تزك جهانكيرى » وقاموا بعملية التلقيح والتهذيب لبعض الثمار الهندية حتى جاءت أشهى وألذ وألطف كما كان الشأن مع « المانجو » فلم يكن يوجد منه إلا ما ينبت بالبذر فلقحوه حتى جاء ما يسمونه فى الهند « قلمى » ، وكان منه أنواع فى العهد الأخير لعلها تزيد على أنواع التمر فى بلاد العرب .

وكذلك الفن الإسلامى فن ممتاز فى الهند تتجمل به الهند وتتطاول على البلاد الأخرى ولا يزال (تاج محل) آية فى الهندسة والبناء ودليلا ناطقا على ما بلغوه من رقة الذوق ولطافة الحس والإبداع فى الفن .

أما بعد : فقد كان ما اكتسبته الهند من المسلمين أعظم وأغلى مما استفاده المسلمون منها وكان دخولهم فى هذه البلاد فتحا جديدا فى تاريخها وحياتها ومكسبا عظيما .

كان المسلمون فى الهند أوفياء لوطنهم لا يتشاغلون عن خدمته والتقدم به فى ميادين

العـــلم والصناعة والمدنية ، أوفياء لدينهم وثقافتهم الإسلامية العربية لا يتخلفون عن ركبها ولا ينقطعون عنها وقد نراهم فى بعض فترات التاريخ فى مقدمة القافلة وماخذ الزمام . إن الجمع بين ثقافتين تتناقضان كثيراً وتلتقيان قليلا ، وإن الوفاء لوطنين ـ مادى وروحى ـ مهمة عسيرة معقدة لا نعرف شعباً من شعوب الإسلام نجح فيها نجاح مسلمى الهند .

إن مؤلفات المسلمين فى الهند فى العلوم الإسلامية لا تحصى كثرة ، وذلك موضوع كتاب كبير ككتاب الفهرست لابن النديم أو كشف الظنون للجليبى ، وكتاب « معارف العوارف فى أنواع العلوم والمعارف » للعلامة السيد عبد الحى الحسنى . يعرف العالم مركز الهند فى الثقافة الإسلامية ، وقسط علمائها ومؤلفيها فى حركة التأليف والنشر ، إنما أقتصر هنا فى هذا الحديث الوجيز على الكتب التى تخطت شهرتها حـــدود الهند وسارت بذكرها الركبان ، واحتفى بها علمـاء العرب وأذكر مؤلفيها .

من هذه الكتب العالمية كتاب « العباب الزاخر » ، للإمام حسن بن محمد الصغانى اللاهورى من رجال القرن السابع الهجرى الذى عد من مراجع اللغة العربية وغرس كتبها ، وقد اعتنى به أئمة اللغة قديما وحديثا واعترفوا له بالدقة والإتقان وغزارة المادة واعترفوا لصاحبه بالفضل والإمامة فى هذا الشأو ، قال السيوطى : إنه كان إماما فى اللغة والفقه والحديث . وكذلك كتابه « مشارق الأنوار » فى الحديث من الكتب المشهورة المقبولة فى العالم الإسلامى وقد ظل مدة طويلة من كتب التدريس .

ومنها كتاب : « كنز العمال » للشيخ على ابن حسام الدين المتقى البرهانيورى من رجال القرن العاشر ، وهـو ترتيب جمع الجوامع للسيوطى ، وهو من الكتب التى انتفع به علماء الحـــديث كثيراً واعترفوا لصاحبه بمجهود عظيم وفر عليهم وقتاً كبيرا وأغناهم عن مراجعات كثيرة . قال الشيخ أبو الحسن البكرى الشافعى من أئمة العلم فى الحجاز فى القرن العاشر : إن للسيوطى منة على العالمين وللمتقى منة عليه .

ومنها كتاب مجمع بحار الأنوار فى غرائب التنزيل ولطائف الأخبار للشيخ محمد بن طاهر الفتنى (٩٦٦ م) قال العلامة السيد عبد الحى فى نزهة الخواطر : جمع منه المؤلف كل غريب الحديث وما ألف فيه فجاء كالشرح للصحاح الستة وهو كتاب متفق على قبوله بين أهل العلم منذ ظهر فى الوجود وله منة عظيمة بذلك العلم على أهل الإسلام وكذلك كتابة تذكرة الموضوعات من الكتب السائرة المتداولة فى الموضوع .

ومنها كتاب « كشاف اصطلاحات الفنون » للشيخ محمد أعلى التهانوى من رجال القرن الثانى عشر وهو كتاب عظيم تلقاه المشتغلون بالعلم فى بلاد العرب بالقبول وأثنوا عليه لأنه كمعجم للمصطلحات العلمية يغنى عن مراجعة آلاف من الصفحات ومئات من الكتب وهذا موضوع لم يكن فيه كتاب كبير على شدة الحاجة إليه .

ومنها بل من أعظمها كتاب حجة الله البالغة للإمام ولى الله الدهلوى (١١٧٩م) فى أسرار أحكام الشريعة وفلسفة التشريع الإسلامى ، وهو كتاب مبتكر فى موضوعه لا يوجد له نظير فى المكتبة العربية على سعتها ، وقد أجله علماء هذا الموضوع وأعيد طبعه فى مصر مراراً ، ومما تجب الإشارة إليه أن هذا الكتاب يتسم بنصاعة العربية وقوة العبارة وانسجامها وبعدها عن السجع البارد وتقليد الحريرى الذى كان فاشيا فى عصره . وقلما نجا منه مؤلف وكاتب فى القرون الأخيرة . وهو يعد - بحق - المثال الثانى للنثر الطبعى السلسال والتعبير العلمى العامر بعد مقدمة ابن خلدون فى عصور الخطاط العربية وغلبة العجمة والصناعة على الكتاب والمؤلفين فى العالم الإسلامى ، ومنها كتاب تاج العروس شرح القاموس للسيد مرتضى بن محمد البلكرامى المشهور بالزبيدى (١٢٠٥ هـ) الذى هو أشهر من أن يعرف وهو مكتبة لغوية علمية عظيمة فى عشر مجلدات كبار وقد اشتهر أمر هذا الكتاب فى حياة صاحبه فاستكتب منه الخليفة العثمانى نسخة وسلطان دار فور نسخة وملك المغرب نسخة وطلب منه أمير اللواء محمد بك أبو الذهب نسخة ، وجعلها فى مكتبة مسجده الذى أنشأه بالقرب من الأزهر وبذل فى تحصيله ألف ريال ، ومن الكتب التى اعتنى بها العلماء فى الأقطار الإسلامية وعدوها من خيرة ما كتب فى الموضوع كتاب « إظهار الحق » للشيخ رحمة الله الكيرانوى (١٣٠٩ م) وفقه اللسان للقاضى كرامت حسين المكهنوى (١٣٣٥ م) ومعجم المصنفين للشيخ محمود حسن التونكى من رجال هذا العصر .

ومما يجب ذكره أن الهند الإسلامية أنجبت رجالا مبتكرين وعماليق فى الفكر الإسلامى والعلوم العقلية فى عصور عقمت فيها الأقطار الإسلامية الأخرى وغشيتها سحابة من الجمود والإعياء الفكرى ، فقد أنجبت فى القرن الحادى عشر الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندى ، وفى القرن الثانى عشر الإمام ولى الله الدهلوى ، وفى القرن الثالث عشر العلامة رفيع الدين بن ولى الله الدهلوى صاحب كتاب تكميل الصناعة وكتاب أسرار المحبة الذى بين فيه سريان الحب فى الأشياء كلها .

وأوضح للناس أطواره والشيخ إسماعيل بن عبد الغنى الدهلوى صاحب كتاب العبقات .

ولم يزل شعار المسلمين فى الهند منذ العهد الأول : الاعتناء الكامل باللغة العربية والتعصب لها . وقد حافظوا عليها كلغة التأليف والعلم ، وكان فيها مؤلفون كبار كالسيد صديق حسن خان أمير هوبال والشيخ محمود حسن التونكى والسيد عبد الحى الحسنى والشيخ حميد الدين الفراهى الذين ظلوا أطول عمرهم يؤلفون بالعربية ، وكان فيها شعراء مفلقون كالقاضى عبد المقتدر الكندى الدهلوى (سنة ٧٩١) والشيخ أحمد بن محمد التهانيسرى (٧٣٠) والشيخ غلام آزاد البلكرامى) صاحب السبع السيارة (١٣٠٠) والمفتى صدر الدين الدهلوى (١٣٨٥) والشيخ فيض الحسن السهارنبورى (١٣٠٣) والشيخ ذو الفقار على الديوبندى (١٣٣٣) وأدباء محققون كالأستاذ عبد العزيز الميمنى والشيخ أبو عبد الله محمد السورتى .

ولا يزال المسلمون متمسكين باللغة العربية يدرسون أمهات كتبها فى مدارسهم التى يسمونها « المدارس العربية » ويؤلفون ويكتبون فيها ، وقد خرجت دار العلوم التابعة لندوة العلماء طائفة من الكتاب البارعين فى اللغة العربية وأوجدت نشاطا أدبيا ملحوظا فى الهند ومحصولا ذا قيمة أدبية لا يجمل بمؤرخ الأدب العربى أن يغفله إذا أراد أن يستوعب الحركة الأدبية فى الأقطار الإسلامية ويذكر مدارسها المختلفة .

مظاهر نشاطهم العلمى والدينى

ومراكزه الكبيرة :

إن أكبر معهد دينى فى الهند الذى يستحق أن يسمى أزهر الهند هو معهد ديوبند الكبير وقد بدأ هذا المعهد كمدرسة صغيرة لا تسترعى الاهتمام ثم لم تزل تتوسع وتتفخم بفضل جهود أساتذتها والقائمين عليها وإخلاصهم وزهدهم فى حطام الدنيا حتى أصبحت جامعة دينية كبيرة بل كبرى المدارس الدينية فى قارة آسيا وكان افتتاحها فى قرية ديوبند من القرى التابعة لمدينة سهارنبور فى مسجد صغير سنة ١٣٨٣ هـ أسسها العالم الجليل المخلص الشيخ محمد قاسم النانوتوى المتوفى ١٣٩٨ هـ وكان الاعتماد فيها على الله ثم على تبرعات فقراء المسلمين وعامتهم ورزقت من أول يومها رجالا عاملين مخلصين وأساتذة خاشعين متقين فسرت فيها روح التقوى والاحتساب والتواضع والخدمة ولم يزل نطاق المدرسة يتسع وصيتها يذيع وشهرة أساتذتها فى الصلاح والتقوى والتبحر فى علم الحديث والفقه تطير فى العالم حتى أمتها الطلبة من أنحاء الهند ومن الأقطار الإسلامية

الأخرى حتى بلغ عددهم فى الزمن الأخير إلى خمسمائة وألف وزيادة وبلغت ميزانيتها إلى ثمانمائة ألف وخمسين ألف روبية سنويا ويقدر عدد الذين اشتغلوا فى هذه المدرسة بالعلم بأكثر من عشرة آلاف والذين نالوا الشهادة منها بنحو خمسة آلاف والذين ارتووا من مناهلها من خارج الهند كياغستان وأفغانستان وخيوا وبخارا وقازان وروسيا وأذربيجان والمغرب الأقصى وآسيا الصغرى وتبت والصين وجزائر الهند والحجاز والأقطار العربية نحو خمسمائة وكان للتخرجين من دار العلوم تأثير كبير فى حياة المسلمين الدينية فى الهند وفضل كبير فى محو البدع وإزالة المحدثات وإصلاح العقيدة والدعوة إلى الدين ومناظرة أهل الضلال والرد عليهم وكانت لبعضهم مواقف محمودة فى السياسة والدفاع عن الوطن وكلمة حق عند سلطان جائر .

وشعار دار العلوم ديوبند التمسك بالدين والتصلب فى المذهب الحنفى والمحافظة على القديم والدفاع عن السنة .

ويلى دار العلوم الديوبندية فى كثرة الطلبة والتمتع بالثقة مدرسة مظاهر العلوم فى مدينة سهاربنور التى تأسست فى سنة ١٣٨٣ أيضا وهى تشارك دار العلوم فى العقيدة والمبدأ والشعار وقد خرجت عددا كبيرا من العلماء الصالحين والرجال العاملين فى ميادين العلم والدين ولعلمائها ومتخرجيها آثار جليلة فى شرح كتب الحديث وخدمة هذا الفن الشريف وتمتاز هذه المدرسة وأساتذتها وطلبتها ببساطة فى المعيشة والقناعة بالكفاف وحسن السمت

وتقابل مدرسة ديوبند وشقيقاتها وما كان على شاكلتها من المدارس الدينية القديمة الجامعات المدنية العصرية التى أسسها المسلمون فى عليكره ودهلى وحيدرآباد لتعليم أبناء المسلمين وشبابهم العلوم العصرية واللغات الأجنبية وإعدادهم للوظائف الرسمية والمراكز الحكومية وللمساهمة فى حياة البلاد وخيراتها وإدارتها . وأشهر هذه الجامعات وأقدمها وأعظمها تأثيرا فى عقلية المسلمين وسياستهم جامعة عليكره أسسها الزعيم المسلم سرسيد أحمد خان وقد أصيب المسلمون على أثر فشل الثورة العظيمة التى قاموا بها سنة ١٨٥٧ بجمود على واجتماعى وتسرب اليأس إلى نفوسهم وفقدوا الثقة بأنفسهم ومستقبلهم وأصابتهم دهشة الفتح وأساءت الحكومة الانجليزية الظن بهم واستغنت عنهم فى وظائفها وإدارتها فأصبح المسلمون - الذين كانوا يملكون زمام البلاد فى العهد الماضى القريب - لا نصيب لهم فى سياسة البلاد وإدارتها ولا نشاط لهم ورأى السيد أحمد خان ، وكان رجلا شديد التأثر مرهف الحس - أن علاج ذلك هو تعلم

اللغة الانجليزية التى قاطعها المسلمون والظهور فى مظهر سيد البلاد فى الزى واللباس والحضارة والاجتماع وتولى الوظائف الحكومية حتى يزول مركب النقص . وقد نجحت جامعة عليكره فى رسالتها نجاحا كبيرا وأقبل عليها أبناء الأسر الشريفة الارستقراطية فى عدد كبير وتخرج منها رجال كثيرون شغلوا وظائف كبيرة فى الحكومة وتمتعوا بثقتها وقد لعبت الجامعة وأبناؤها دورا مؤثرا فى حياة المسلمين وسياسة البلاد ومنها نبعت حركة القومية الإسلامية تقابل حركة القومية الهندية والوطنية يتزعمها رجال فى الطبقة الارستقراطية من المسلمين .

وقد انفصل عن جامعة عليكره بعض أبنائها وخيرة متخرجيها أيام حركة الخلافة الوطنية وأسسوا جامعة شعبية مستقلة فى سياستها وتعليمها يتزعمها الزعيم الإسلامى الكبير مولانا محمد على وقد انتقلت من عليكره إلى دهلى واشتهرت باسم الجامعة الملية الإسلامية يمتاز أساتذتها ورجال إدارتها - وعلى رأسها الرجل التعليمى العالمى - الدكتور ذاكر حسين خان مدير الجامعة الملية السابق ومدير جامعة عليكره فيما بعد - بنزعتهم الوطنية وروح التضحية والإيثار ظلوا مدة طويلة يكافحون التيار ويعيشون فى شظف وعسر ، وكان لهم نشاط ظاهر فى ميدان الثقافة والتعليم ومحصول ذو قيمة فى الأدب والعلوم .

وتمتاز الجامعة العثمانية فى حيدرآباد أنها أول جامعة درست العلوم العصرية فى أردو لغة الهند العلمية وعنيت بنقل العلوم الحديثة وترجمة الكتب المهمة فى الفلسفة والعلوم الطبيعية والطب والسياسة والقضاء والتاريخ إلى لغة الأردو ووضع المصطلحات العلمية فيها وبذلك أدت خدمة عظيمة للمسلمين وثقافة الهند .

وتتوسط بين المدارس القديمة التى تتمسك بالقديم وترى العدول عنه ضربا من التحريف ونوعا من البدع وبين الجامعات المدنية التى تقدس الجديد وتستهين بكل قديم تتوسط بين تلك وهذه دار العلوم التابعة لندوة العلماء التى تأسست فى لكهنؤ سنة ١٣١٢ هـ بيد العالم الربانى الشيخ محمد على المونكيرى وزملائه المخلصين الذين خافوا على المسلمين من المحافظين الجامدين ومن العصريين المتطرفين ومن اعتزال العلماء عن الحياة وتخلفهم عن ركب الثقافة والعلم ، ومن العصبيات المذهبية والمشاجرات الفقهية التى قويت ونشطت فى العهد الأخير .

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع وبين الدين الخالد الذى لايتغير والعلم الذى يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التى لاتختلف

فى العقيدة والنصوص وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد فى كل عصر ومصر وأن يزاد فيه ويحذف منه بحسب تطورات العصر وحاجات المسلمين وأحوالهم .

عنيت دار العلوم بصفة خاصة بالقرآن الكريم وتدريسه ككتاب كل عصر وجيل والرسالة الخالدة وعنيت باللغة العربية التى هى مفتاح فهمه وأمينة خزائنه ووجهت عنايتها إلى تعليم هذه اللغة الكريمة كلغة حية من لغات البشر يكتب بها ويخطب لا كلغة أثرية دارسة لا تجاوز الأحجار والأسفار كما كان الشأن فى الهند وقللت قسط بعض العلوم القديمة التى لا تفيد كثيراً وأبدلتها ببعض العلوم العصرية التى لا غنى عنها للعالم العصرى الذى يريد أن يخدم دينه وأمته واجتهدت أن تخرج رجالا مبشرين بالدين الإسلامى الخالد لأهل العصر الجديد شارحين الشريعة الإسلامية بلغة يفهمها أهل العصر وبأسلوب يستهوى القلوب . أمة وسطا بين طرفى الجمود والجحود وقد نجحت فى مهمتها نجاحا لا يستهان بقيمته فأنجبت رجالا هم خير مثل للعالم المسلم العصرى لهم آثار جميلة خالدة فى الأدب الإسلامى وعلم التوحيد لأهل العصر الجديد والسيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام والتاريخ .

وقد أنشأ المتخرجون من الندوة جمعية دار المصنفين فى « أعظم كيره » وهى من المؤسسات العلمية الكبيرة فى الهند نشرت كتبا كثيرة متنوعة فى الدين والأدب والتاريخ لا تستغنى عنها مكتبة فى الهند وهى تصدر مجلة علمية راقية شهرية باسم « معارف » .

ومن المؤسسات العلمية الكبيرة فى الهند التى كان لها فضل كبير فى إحياء الكتب العلمية وبعثها من مدافنها فى المكتبات العتيقة ونشرها فى العالم الإسلامى دائرة المعارف فى حيدر آباد التى نشرت عدداً من كتب الحديث وأسماء الرجال والتاريخ عرفها العالم الإسلامى والأوساط العلمية من عهد بعيد وتسامع بها العلماء والمدرسون فكانت خدمة جليلة للعلم والدين وبرهانا على ما كان ولا يزال للمسلمين من اتصال روحى فكرى بالثقافة الإسلامية وحب عميق لها .

إذا كانت المؤسسات العلمية والنشاط الفكرى والإنتاج العلمى دليلا على حياة أمة ونموها وقابليتها للبقاء فالمسلمون فى الهند أمة حية لهم ماض معدود وحاضر مشهود ومستقبل موعود ولله الأمر من قبل ومن بعد ؟ .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

لكهنؤ (الهند)

آراء العلماء في الربا

لعالم باحث

— ٢ —

سقط مني سهواً في المقال الذي نشر في الجزء الماضي من مجلة الأزهر بعنوان (آراء العلماء في الربا) مقدار صفحتين في أمر مهم وهو (تعارض النص والمصلحة) .

والذي سقط : هو ما قرره الإمام الجليل نجم الدين الطوفي الحنبلي من (تقدم المصلحة على النص والإجماع) عند التعارض مستدلا على ذلك بأدلة من الكتاب والسنة ، وبإجماع ما عدا الظاهرية ، وقد جعل مدار تعليل الأحكام الشرعية على هذه المسألة ، ودعم ذلك بالاستدلال عليها بالنظر العقلي ، وسقط مني سهوا أيضا ما رآه فيلسوف الإسلام السيد جمال الدين الأفغاني من أن للإمام - إذا رأى المصلحة - أن يجيز الربا المعقول .

ولأن ما تكلم به هذان الإمامان في أمر (المصلحة) لم يتكلم أحد من الفقهاء بمثله ، فنحن نكتب ما سقط من كلمتنا الأولى ، ليكون تماما على ما كتبناه قبله ، وليزداد الأمر وضوحا وتحقيقاً به .

قال : الطوفي رضي الله عنه [1] في شرحه لحديث أبي سعيد الخدري (لا ضرر ولا ضرار) [2] : إن هذا الحديث يقتضي رعاية المصالح إثباتاً ونفيا ، إذ الضرر هو المفسدة ، فإذا نفاها الشرع ، لزم إثبات النفع الذي هو المصلحة ؛ لأنهما نقيضان لا واسطة بينهما ، وأدلة الشرع أقواها : النص والإجماع . ثم هما : إما أن يوافقا رعاية المصلحة ، أو يخالفاها ، فإن وافقاها فبها ونعمت ولا تنازع ، إذ قد اتفقت الأدلة الثلاثة على الحكم ، وهي : النص والإجماع ورعاية المصلحة المستفادة من قوله عليه السلام : (لا ضرر ولا ضرار) . وإن خالفاها ، وجب تقديم رعاية المصلحة عليهما بطريق التخصيص والبيان لهما ، لا بطريق الافتيات عليهما والتعطيل لهما . إلخ ...

---

(١) في رسالة الطوفي في أصول الفقه طبعت في سنة ١٩٠٦ ونشرت بالمجلد التاسع من مجلة المنار من ص ٧٤٥ - ٧٧٠ .

(٢) رواه ابن ماجه والدار قطني وغيرهما مسندا ومالك في الموطأ مرسلا وهو من الأربعين النووية .

هـذا الذي قرره الطوفى فى رعايه المصلحة ـ هو كما قال أحد الأئمة الكبار ـ أدق وأوسع من القول (بالمصالح المرسلة) وأدلته أقوى ، وقد صرح هو بذلك فقال :

« واعلم أن هـذه الطريقة التى قررناها مستفيدين لهـا من الحديث المذكور ليست هى القول بالمصالح المرسلة على ما ذهب إليه مالك ، بل هى أبلغ من ذلك ، وهى : التعويل على النصوص والإجماع فى العبـادات والمقـدرات [1] وعلى اعتبار المصالح فى المعاملات وباقى الأحكام » .

ثم قال بعد بيان ذلك :

وإنما اعتبرنا المصلحة فى المعاملات ونحـوها ، دون العبادات وشبهها ، لأن العبادات حق للشارع خاص به ، ولا يمكن معرفة حقه ، كما وكيفاً ، وزمانا ومكاناً إلا من جهته ، فيأتى به العبد على ما رسم له ، ولأن غلام أحدنا لا يعد مطيعا خادما له إلا إذا امتثل ما رسم له سيده ، وفعل ما يعلم أنه يرضيه . فكذلك ههنا ، ولهذا لما تعبدت الفلاسفة بعقولهم ورفضوا الشرائع أسخطوا الله عز وجل ، وضلوا وأضلّوا .

وهذا بخـلاف حقوق المـكلفين ، فإن أحكامها سياسة شرعية وضعت لمصالحهم ، وكانت هى المعتبرة ، وعلى تحصيلها المعول .

ولا يقال : إن الشرع أعلم بمصالحهم فلتؤخذ أدلته ـ لأنا نقول : قد قررنا أن المصلحة من أدلة الشرع . وهى أقواها وأخصها ، فنلقدمها فى تحصيل المصالح .

« ثم إن هذا إنما يقال فى العبادات التى تخفى مصالحها عن مجارى العقول والعادات ، أما مصلحة سياسة المكلفين فى حقوقهم فهى معلومة لهم بحكم العادة والعقل ، فإذا رأينا دليل الشرع متقاعداً عن إفادتها ، علمنا أننا أحلنا فى تحصيلها على رعايتها . كما أن النصوص لما كانت لا تفى بالأحكام ، علمنا أننا أحلنا بتمامها على القياس ، وهو إلحاق المسكوت عنه ، بالمنصوص عليه بجامع بينهما [1] .

وما دمنا بسبيل الكلام عن (المصلحة) وهى التى يقوم عليها نظام الاجتماع كله ، ولها فى التشريع الإسلامى هذا الشأن العظيم ، فإنا نعزز ماقرره الطوفى برأى جليل لمصلح الشرق الإمام المجتهد السيد جمال الدين الأفغانى [2] فى الربا ومراعاة المصلحة هذا نصه : « حرم الله الربا بنكتة غاية فى الحكمة وهى : أن

(البقية على ص ٩٩١)

(١) المراد بالمقدرات ، ماقدره النص بقدر معين كالحدود والكفارات .

(١) الكلام الطوفى بقية نفيسه يرجع إليها فى رسالته المطبوعة أو فى مجلة المنار .

(٢) ص ١٩٥ من كتاب خاطرات جمال الدين تأليف محمد المخزومى باشا المطبوع فى المطبعة العلمية ببيروت سنة ١٩٣١ .

المتروكة نهبا للبشرين ، يتصيدونهم بما أعدوه من شباك أحكمتها يد الاستعمار والاستغلال .

ولقد أذاع إمام المسجد سنة ١٩٥٧ نداء يقول فيه[1]: على أكتافنا نحن ـ الكوريين ـ يقوم واجب الدعوة إلى الدين ، وأعتقد أننا لو شرحنا للشعب الكورى القواعد الأساسية للدين الإسلامى ، فإن كل كوريا الجنوبية ستعتنقه . وأملنا كبير فى مديد المساعدة إلينا بالكتب الانجليزية والنشرات التى تعالج موضوعات الإسلام .

ونحن نضم صوتنا إلى صوت الإمام ، ونناشد المسلمين فى جميع الأقطار أن يؤدوا واجبهم نحو إخواننا فى هذا المكان قصى ، ليعرفوا أن لهم إخوة سمعوا نداءهم ، ولبوا دعوتهم ، ولتكن المراسلات بهذا العنوان :

The Korean Islamic Society
No 320 Rimun - Dong Dong Daemun
Suburbs of Seoul.

وأعتقد أن مجلة الأزهر ستكون سفير صدق بيننا وبين هذه الجمعية ، بما تحمل من معارف طيبة وبخاصة ملحقها المحرر بالانجليزية ، والله هو الهادى إلى سواء السبيل .

عطية صقر

(1) Green Flag Rev. Feb. 1957 .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بقية المنشور على صفحة (٩٨٦)

لا يؤكل أضعافا مضاعفة وهو ما وقع عليه التحريم ، لكى يكون للإمام مخرج ـ إذا اقتضت المصلحة بالتسامح للحكم بجواز الربا المعقول ، الذى لا يثقل كاهل المدينين ، ولا يتجاوز فى برهة من الزمن رأس المال ، ويصير أضعافا مضاعفة » .

وكأن هذا الرأى الأخير الذى انبعث من وراء الغيب منذ سبعين سنة . قد توجه به موقظ الشرق وأستاذه جمال الدين الأفغانى إلى منقذ الشرق وإمامه جمال عبد الناصر ، ليؤيده فى القيام بأعباء تورته المباركة ، التى ألقتها الأقدار على عاتقه ، ليمضى قدما ـ ما استطاع ـ فى طريق إصلاح بلاده ، وإعلاء شأنها ، وأن يقترض فى سبيل ذلك ما يشاء أن يقترض من المال ـ بغير مبالاة ولا خشية ـ مادام يريد الإصلاح والله الموفق؟

الإسلام فى كوريا

للأستاذ عطية صقر

فى أقصى الشرق وبين بحر اليابان والبحر الأصفر ، تقع شبه جزيرة تشاء الأقدار أن ينبت فيها فرع جديد فى دوحة الأمة الإسلامية ، لم يبلغ بعد من العمر إلا ست سنوات ، خلقته ظروف لم تكن فى الحسبان ، أملتها الأحداث السياسية الجارية فى ذلك الوقت . تلك هى شبه جزيرة كوريا ، التى يبرهن وجود الإسلام فيها على أن هذا الدين فى زحفه المقدس يعلو فوق مستوى التشكيلات المنظمة التى تتخذها الأديان الأخرى ، تريد بذلك أن تطفئ نوره أو تعرقل سيره ، أو تحد من مده .

كانت هذه البلاد مسرحا لنزاع مسلح بين الدول المجاورة أكثر من عشرين قرنا من الزمان ، فكانت مستعمرة صينية فى القرن الأول قبل الميلاد ، ثم توحدت أجزاؤها تحت رياسة أسرة وطنية من القرن السابع إلى القرن التاسع ، واحتلها المغول وضمت إلى الصين فى القرن الثالث عشر ، ثم حكمتها أسرة « لى » الوطنية من القرن الرابع عشر إلى العصر الحديث .

وفى القرن التاسع عشر حدث تنافس على استعمارها بين الصين واليابان ، انتهى بفرض الحماية اليابانية عليها سنة ١٩٠٧ ثم التبعية التامة لها سنة ١٩١٠ ، وبعد الحرب العالمية الثانية احتلها الحلفاء ، فكانت كوريا الشمالية تحت النفوذ السوفيتى ، وأعلنت جمهورية شعبية ديموقراطية فى مايو سنة ١٩٤٨ ، بينما وقعت كوريا الجنوبية تحت النفوذ الأمريكى .

وفى الفترة مابين سنة ١٩٥٠ ، ١٩٥٣ قام نزاع مسلح بين الحكومتين القائمتين بغية توحيد البلاد ، ولم ينته هذا النزاع إلى نتيجة مرضية إلى الآن ، وظلت البلاد منقسمة إلى الجزءين المذكورين يفصل بينهما خط العرض ٣٨° .

وقد سافرت فى سنة ١٩٥٠ فرقة من الجيش التركى للانضمام إلى قوات الأمم المتحدة ، واشتركت فى هذه الحرب التى لا ناقة لها فيها ولا جمل ، ولكن رب ضارة نافعة ، فقد شاءت إرادة الله أن تكون هذه الفرقة فاتحة خير ، ومبعث نور لمن يتطلعون

إلى المعرفة والهداية ، والاطمئنان إلى دين جديد يملأ الفراغ الذى تعانيه نفوسهم ، بعد أن بدءوا يتحررون من أسر الديانات القديمة المتوارثة ، بفضل النهضة العلمية التى لم تعد تقبل من المعارف والأفكار إلا ما أيده العقل وشهد له المنطق . فكان للتكبيرات المنبعثة بصوت ندى من فوق المنارة البيضاء ، التى تعلو المسجد المؤقت الذى أنشأته الفرقة التركية سنة ١٩٥٢ ، أثرها البالغ فى لفت الأنظار إلى هذا الدين الجديد .

الديانة السائدة فى هذه البلاد هى البوذية إلى جانب الطاوية والشنتوئية ، وقد صبغت البوذية حياة الناس بصبغتها فى النواحى المادية والأدبية ، الحسية والمعنوية ، ثم وصلت إليهم أولى بعثات التبشير بالدين المسيحى سنة ١٨٨٤ ، وما زالت تؤدى عملها منذ نحو ٧٧ عاما ، واستطاعت أن تضم إليها نحو ربع مليون نسمة من مجموع السكان البالغ عددهم ٢٨ مليونا .

وكان الدين الإسلامى يسمع عنه فى هذه البلاد ويعرف باسم « محمد كيو » أى دين محمد ، لأن كلمة Kyo معناها فى اللغة الكورية « دين أو تعليم » ، وعندما يسمع هذا الاسم كانت الأذهان تنتقل إلى تصور الصحراء المجدبة ، ذات الشمس المحرقة ، أو إلى أشجار الجوز الهندى الذى ينبت فى أقصى الجنوب من البلاد ، أو إلى رجل أجنبى غريب وفد إلى بلادهم كالأشخاص الذين ترد ذكرهم الأساطير .

ظلت الفرقة التركية تؤدى واجباتها الدينية ، دون أن يتقدم إليها أحد من المواطنين ليعرف شيئا عن هذا الدين الجديد ، إلى أن كانت سنة ١٩٥٥ ، حيث دخل نور الإسلام أول قلب من الكوريين الأصليين ، ذلك أن طالبين من كوريا أتما دراستهما العالية فى كليات الجامعات اليابانية ، وسمعا فى أثناء الدراسة عن دين الإسلام الذى ظهر فى الشرق البعيد ، فتاقت نفسهما لتكميل معارفهما عن هذا الدين ، الذى لم تسعفهما الكتب ولا المسلمون فى اليابان بحاجتهما عنه ، وهما يريدان معلومات صادقة وافية من قومه الذين نشئوا فى ربوعه الأولى ، ومارسوه فى حياتهم العملية زمنا طويلا ، فسمعا بعد عودتهما من اليابان عن "الفرقة السادسة التركية ، المشتركة فى جيش الأمم المتحدة فى « سيول » ، فتوجها إليها ، وأعلنا إسلامهما على يد إمام هذه الفرقة ، وتحمسا للدعوة إلى الإسلام ، فكونا مع بعض الأصدقاء جمعية لهذا الغرض وألقوا على الأهالى عدة محاضرات ، استمدوا معلوماتها من الفرقة التركية ، فانضم إليهم عدد من المعجبين بهذا الدين .

تكونت هذه الجمعية فى سبتمبر سنة ١٩٥٥ فى ضواحى مدينة « سيول » عاصمة كوريا الجنوبية ، وكان عدد أعضائها فى سنة ١٩٥٧ يبلغ ١٥٠ شخصاً ، ورئيس الجمعية هو السيد كيم يودوه Kim Yoo Do ، ونائب الرئيس هو السيد / كيم جين كيو Kim Jin-Kyu ، ويتحدث أحد أعضاء هذه الجمعية عن ظروف تكوينها فيقول (١) : —

لقد أنشأنا جمعيتنا الإسلامية ، وساعدنا على تكوينها ومزاولة نشاطها إمام الفرقة التركية بعد موافقة حكومته ، وقد أخلص فى ذلك كل الإخلاص ، وقمنا من جانبنا نحن الأهالى بطلب الموافقة على تكوينها والقيام بهذا النشاط الدينى من وزارة التربية ، ومن مكتب الإدارة العامة لحكومتنا ، فنجحنا فى ذلك ومنذ ذلك الحين أمكننا أن نجمع حولنا نحو ١٥٠ مسلما ، وهم يزدادون كل يوم ، وأنا موقن أن عدداً كبيراً من الأهالى سينضمون إلى الإسلام فى المستقبل القريب . ومع هذا نحن لا نتعجل ذلك ، فإننا نعلم يقيناً ما قاساه النبى صلى الله عليه وسلم ، وما قام به من جهود طوال الأعوام الثلاثة عشر الأولى من دعوته . وكل أمر لا بد أن يكون صعبا فى بدايته ، وأنا أعتقد أن النجاح أساسه الصبر والتحمل . وكنا فى بدء إسلامنا نؤدى واجباتنا الدينية فى فناء الكلية الزراعية وأحيانا فى مدرسة شونجر يا بجرى المركزية ، وذلك لعدم وجود مسجد ولو بشكل متواضع ، ولحسن الحظ بعد مدة وجيزة من إنشاء جمعيتنا سمح لنا بأداء الصلاة فى مسجد الفرقة التركية ، وأهم مشكلة نواجهها هى عدم وجود مسجد خاص لنا . وقد أقمنا مسجداً متواضعاً وآمل فى المستقبل القريب أن نبنى مكانه مسجداً فخماً ينير لشعبنا طريق الإسلام . اهـ .

أنشئ المسجد فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ ويؤم المصلين فيه إمام اسمه الزبير ، ويجتمع المسلمون لأداء الصلاة الجامعة فيه مرتين كل أسبوع ؛ يوم الجمعة ويوم الأحد ؛ لأن ظروف حياتهم اليومية لا تمكنهم من حضور جميع الصلوات طوال الأسبوع . وهم يتعبدون بالطبع على مذهب الإمام أبى حنيفة وهو مذهب الفرقة التركية ، وإن كانت مسألة المذاهب الفقهية والاعتقادية لم تتضح لهم بعد ولعل من الخير أن يبحثوها حتى تستقر قواعد إسلامهم على أساس متين يتحمل هزات الجدل والبحث والمقارنة .

ولعل عدد المسلمين قد زاد بعد التاريخ الذى أنشئت فيه الجمعية وهو سنة ١٩٥٥ ، ولم يصلنا إلى الآن تقدير رسمى لعددهم ، وعامتهم من الطبقات المتوسطة التى تزاول

(1) Green Flag Rev. Dec. 1957.

الأعمال الكتابية ، واستغلال المناجم . وهم يقرءون القرآن فى ترجماته اليابانية والانجليزية ، ويأسفون أشد الأسف لعدم وجود ترجمة كورية له .

وفكرة المسلمين هناك عن الإسلام فكرة طيبة ، وهى مع ذلك تحتاج إلى قدر كبير من التوجيه السليم . وإليك نماذج من أقوالهم عن الإسلام :

يقول عثمان شانغ جيو Osman Chang Gyu خريج كلية الهندسة فى هان يانج Han Yang لن يكون الإسلام مجهولا ما بقيت فى الأرض حياة ، لقد حاولت أن أجد دينا يناسب مجتمعنا وبحثت عن ذلك كثيرا ، وعندما سمعت عن الإسلام أتيت مسرعا إلى جمعية مسلمى كوريا ، لأعرفه وأتعلم مبادئه ، ولقد وجدت أنه هو الدين الحى Living Religion وجذبتنى إليه عدة شواهد ، أبرزها أن محمدا رسول الله ليس إلا رجلا كعامة الناس ، وأن الإسلام يقوم على الحق والمنطق والعلم ويوفى بجميع حاجات بلادنا .

ويقول نيازى يونج جين كيم Niyazi Youg Jin Kim الطالب بالجامعة المركزية : الناس يقولون كثيرا : الإسلام دين الصحراء ، ولكنهم لو عرفوا الإسلام حق المعرفة سيدركون بسرعة أنه دين الحياة ، ودين الإنسانية ، ودين الديمقراطية .

ويقول أحدهم عن المرأة وتعدد الزوجات: إن سبب التعدد أنه بعد سنوات من بدء الغزوات مات كثير من المسلمين ، وتركوا وراءهم نساءهم إلى جانب عدد كبير من نساء الكفار اللاتى أسرن فى هذه الحروب ، فكيف يعيش هؤلاء النسوة إلا فى ظل مبدأ تعدد الزوجات ، ومع ذلك فقد شرط الإسلام على الرجل العدل فى معاملة الزوجات والقدرة على الإنفاق ، وليس هناك حل لهذه المشكلة غير هذا الحل . وقد ضمن محمد ، عليه السلام ، للمرأة مكانة ممتازة ، فجعل الجنة الكريمة تحت أقدام الأمهات .

وإذا كانت أفكار المسلمين عن الإسلام بهذا الشكل ، فإن هذه الخلية الناشئة لو مدت إليها يد المساعدة لتكاثرت ونمت ، وأنتجت خيراً كثيرا فى هذه المناطق ، التى تعانى فراغا نفسيا لا يملؤه إلا عقيدة صحيحة ، تتفق مع الفطرة والمنطق ، وتتلاقى مع العلم الذى يوزن به كل فكر فى هذه الأيام . ولا توجد هذه العقيدة فى الديانات القديمة التى تسلطت على أوهامهم عشرات القرون ، ولا فى المسيحية التى يرون أنها دين الغرب ، الذى يمقتونه أشد المقت بعد قنبلة ناجازاكى وهيروشيما . والفرصة الآن سانحة لدين الإسلام لو وجد من يؤمن به إيمانا يدفعه إلى عمل شىء جدى لهذه الشعوب الحائرة ،

المتروكة نهبا للبشرين ، يتصيدونهم بما أعدوه من شباك أحكمتها يد الاستعمار والاستغلال .

ولقد أذاع إمام المسجد سنة ١٩٥٧ نداء يقول فيه[1]: على أكتافنا نحن ـ الكوريين ـ يقوم واجب الدعوة إلى الدين ، وأعتقد أننا لو شرحنا للشعب الكورى القواعد الأساسية للدين الإسلامى ، فإن كل كوريا الجنوبية ستعتنقه . وأملنا كبير فى مديد المساعدة إلينا بالكتب الانجليزية والنشرات التى تعالج موضوعات الإسلام .

ونحن نضم صوتنا إلى صوت الإمام ، ونناشد المسلمين فى جميع الأقطار أن يؤدوا واجبهم نحو إخواننا فى هذا المكان قصى ، ليعرفوا أن لهم إخوة سمعوا نداءهم ، ولبوا دعوتهم ، ولتكن المراسلات بهذا العنوان :

The Korean Islamic Society
No 320 Rimun - Dong Dong Daemun
Suburbs of Seoul.

وأعتقد أن مجلة الأزهر ستكون سفير صدق بيننا وبين هذه الجمعية ، بما تحمل من معارف طيبة وبخاصة ملحقها المحرر بالانجليزية ، والله هو الهادى إلى سواء السبيل .

عطية صقر

(1) Green Flag Rev. Feb. 1957 .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بقية المنشور على صفحة (٩٨٦)

لا يؤكل أضعافا مضاعفة وهو ما وقع عليه التحريم ، لكى يكون للإمام مخرج ـ إذا اقتضت المصلحة بالتسامح للحكم بجواز الربا المعقول ، الذى لا يثقل كاهل المدينين ، ولا يتجاوز فى برهة من الزمن رأس المال ، ويصير أضعافا مضاعفة » .

وكأن هذا الرأى الأخير الذى انبعث من وراء الغيب منذ سبعين سنة . قد توجه به موقظ الشرق وأستاذه جمال الدين الأفغانى إلى منقذ الشرق وإمامه جمال عبد الناصر ، ليؤيده فى القيام بأعباء تورته المباركة ، التى ألقتها الأقدار على عاتقه ، ليمضى قدما ـ ما استطاع ـ فى طريق إصلاح بلاده ، وإعلاء شأنها ، وأن يقترض فى سبيل ذلك ما يشاء أن يقترض من المال ـ بغير مبالاة ولا خشية ـ مادام يريد الإصلاح والله الموفق؟

دين السلام

للأستاذ أحمد الشرباصي

أصبحت كلمة « السلام » شعاراً دولياً يتردد في أكثر من محفل من محافل السياسة العالمية، وأخذ ساسة الدول المختلفة يرددون كلمة « السلام » قائلين إن السلام هو الأمل الأول والأخير لهم كي تسعدهم شعوبهم المتطلعة إلى السلام، الراغبة في حياة الرخاء والأمان.

ومع أن الحديث عن « السلام » قد صار قسطاً مشتركاً بين أهل الشرق والغرب، في المجالات الحكومية والشعبية، مازال قاراً في أذهان فريق من الناس أن شعار الدعوة إلى « السلام » صبغة خاصة ببعض الدول دون بعضها الآخر، وكأن هذا الفريق يحسب أن الدعوة إلى السلام شعار ابتكرته في العصر الحاضر هذه الدولة أو تلك، ولو أراد هؤلاء الإنصاف للحق وللتاريخ لقالوا: إن الدعوة إلى السلام في صورته المثالية العلمية الإيجابية القوية هي شعار الإســـلام منذ أكثر من ألف عام ... !

نعم إن الإسلام أحق العقائد والدعوات بأن يسمى دين السلام ودعوة الأمان وطريق الاطمئنان، وإن نور السلام ليشع في الإسلام حيثما وليت وأينما اتجهت: يشع في مظهره ومخبره، وفي عباداته ومعاملاته، وفي أقواله وأعماله، وأول مايطالعنا من ذلك أن لفظ « الإسلام » نفسه مشتق من السلام، ولذلك يورد الراغب الأصفهاني في «مفردات القرآن» هذه العبارة: « والإسلام الدخول في السلم، ومصـدر أسلمت الشيء إلى فلان إذا أخرجته إليه، ومنه السلم في البيع، والإسلام في الشرع على ضربين: أحدهما دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان، وبه يحقن الدم، حصل معه الاعتقاد أولم يحصل وإياه قصد بقوله: « قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ». والثاني فوق الإيمان، وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل، واستسلام لله في جميع ما قضى وقدّر، كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام في قوله: « إذ قال له ربه: أسلم، قال: أسلمت لرب العالمين » وقوله تعالى: « إن الدين عند الله الإسلام » وقوله: « توفني مسلما » أي اجعلني ممن استسلم لرضاك، ويجوز أن يكون معناه: اجعلني سالما عن أسر الشيطان، حيث قال:

« لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين » وقوله : « إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون » أى منقادون للحق مذعنون له ، « يحكم بها النبيون الذين أسلموا » أى انقادوا من الأنبياء الذين ليسوا من أولى العزم لأولى العزم الذين يهتدون بأمر الله ويأتون بالشرائع[1].

والله الذى أنزل هذا الدين وشرعه لعباده يسمى بالسلام : « هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام » أى الذى لا يناله شىء من العيوب أو الآفات التى تلحق الخلق والذين يؤمنون بالإسلام يسمون بالمسلمين : « هو سماكم المسلمين من قبل » .

والإسلام يدعو - حين يدعو - إلى تثبيت الأمن وتحقيق السلام فيقول القرآن : « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » . ويجعل العاقبة هى الانتهاء إلى مقر السلام دار النعيم : « والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » . وحينما سمى الله الجنة « دار السلام » كأنه أراد أن يجعلها المثل الأعلى للسلام ، كى تتطلع عيون العباد إلى هذا المثل فيتخذونه قدوة عليا ويسعون نحوه بخطواتهم السلمية فى حياتهم ؛ وإنما سميت الجنة دار السلام - كما قال العلماء - لأن فيها السلامة الحقيقية الكاملة (إذ فيها بقاء بلا فناء ، وغنى بلا فقر ، وعز بلا ذل وصحة بلا سقم) .

وقد شرع الإسلام لأبنائه تحية متبادلة متكررة ، مألوفة معروفة ، فكانت هذه التحية هى : « السلام عليكم ورحمة الله » . ولم يجعل تحية السلام مقصورة على الحياة الدنيا ، بل انتقل بها إلى الدار الآخرة ، فجعل التحية التى تقال لأهل الجنة هى : « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » . وتحية الله لعباده المكرمين يوم القيامة هى السلام : « تحيتهم يوم يلقونه سلام » .

ويقول القرآن : « دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام » . ويقول : « خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام » . ويقول : « يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون » . ويقول : « وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » . ويقول : « ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود » .

وحينما علم الإسلام أبناءه أن يعطوا نبيهم حقه من التكريم قال القرآن : « إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » أى أظهروا شرفه وعظموا شأنه وقولوا « السلام عليك أيها النبى » ونحن المسلمين نقول فى التشهد من كل صلاة « السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » .

ونجد أن السلام كان لونا من ألوان التكريم الإلهى لرسله ، فنجد فى سورة الصافات هذه الآيات : « سلام على نوح فى العالمين » ،

---

[1] مفردات الراغب ، ص ٢٤٠ المطبعة الميمنية

« سلام على إبراهيم » ، « سلام على موسى وهارون » ، « سلام على إلياسين » ؛ وتختم السورة بهذه الخاتمة العامة فى شأن السلام على جميع الرسل : « وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » . وفى سورة مريم نجد القرآن يقول فى شأن يحيى بن زكريا : « وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا » وفى نفس السورة يقول القرآن على لسان عيسى بن مريم : « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » .

والإسلام يعلم المسلم ألا يدخل بيتا إلا بعد أن يؤذن فيهم بالسلام : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون » . وهذا السلام مطلوب من المسلم حتى ولو دخل بيوته وبيوت أقربائه وأحبائه ، فالقرآن يقول : « ليس على الأعمى حرج ، ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتا ، فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون » .

بل علم الإسلام أبناءه أن يتلقوا تحية السلام ممن يلقيها ، ولو كان فى داخله على غير وجهتهم أو عقيدتهم ، ويعاملوه على أساس السلام دون إثارة الشك فى أمره ما لم يتفضح بقول القرآن : « يا أيها الذين امنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ، إن الله كان بما تعملون خبيرا » . ويحدثنا القرآن أن إبراهيم ودّع أباه الكافر بسلام التوديع والمتاركة ، فقال : « قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا » .

وحدثنا الإسلام حديث الإجلال والإكبار عن أفضل ليلة فى الحياة ، وهى الليلة التى نزل فيها القرآن تحفه الرحمة وتزفه الملائكة ، وهى ليلة القدر ، فإذا من الصفات البارزة لتلك الليلة العظمى أنها : « سلام هى حتى مطلع الفجر » .

وفى الإسلام عبادات وقواعد ، منها الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وأكثر هذه العبادات وقوعا وتكرارا فى حياة المسلم هى الصلاة لأنها تتكرر بفروضها وسننها المؤكدة نحو اثنتى عشرة مرة فى كل يوم ، ويختتمها المسلم فى كل مرة بتسليمتين أى أنه يكرر عبارة : « السلام عليكم ورحمة الله » أربعا وعشرين مرة فى كل يوم ، والصلاة رحلة إلى الله ، يرتفع فيها المسلم إلى حماه ، وينقطع

فيها عن شهواته ودنياه ، ثم يعود إلى هذه الحياة ، ويقبل على الدنيا من جديد ، فإذا أول شعار يلقى به الحياة والأحياء هو : « السلام عليكم ورحمة الله » ولا يقول هذا عن يمينه فقط ، بل ويقوله عن شماله ليشمل بسلامه من كان هنا ومن كان هناك ، والمسلم فى أثناء صلاته يدعو ربه ويناجيه ويخلص خواطره لبارئه وهاديه ، ثم يقبل بعد التطهر الحسى بالنظافة والوضوء والنقاء فى جسمه وثوبه ومكانه ، وبعد التطهر النفسى فى أثناء الصلاة ، يقبل ليبدأ أهل الدنيا من كل نواحيها بالسلام ، كأن السلام هو ثمرة ذلك التطهير المتكرر فى كل يوم مرات ومرات ، أو كأن السلام هو الهدية التى يحملها المصلى إلى الناس من لدن قيوم السموات والأرض ، ورحمن الدنيا والآخرة ، وبارئ الخلق أجمعين .

وكثير من الناس يتعارفون اليوم على اتخاذ « الحمام » شعاراً للسلام ، وقد يظن ظان أن هذا التعارف لون من الابتكار الجديد أو الابتداع الحديث ، مع أن أمتنا المؤمنة أسبق إلى هذا التعارف وأدنى إليه وأولى به ، وأجدادنا منذ القدم يصفون الحمام بأنه من « الطير الميامين » ، ويتخذونه شعاراً للمودة والتآلف ، وهذا هو حمام الكعبة والبلد الحرام مكة ، إنه ذو قدم راسخة فى تاريخ الأمن والسلام . فحمام الحرم وادع آمن ، لا يصان ولا يهان ولا يعتدى عليه ، حتى يضرب الناس به المثل فى الأمن والسلامة فيقولون : آمن من حمام مكة [1] ، ومن غزلان مكة ، ويقول أسلافنا القدامى : إن هذا شائع على جميع الألسنة ، لا يرد ذلك أحد ممن يعرف الأمثال والشواهد .

وهذا الحمام بأمنه وسلامه يعلم الناس كيف يكون السلام ، ويوحى إليهم بنسيان البغضاء والخصام ، ويحرضهم على السهولة والوداعة والصفاء ، وهذا الحمام نفسه كأنه يحس قيمة السلام فلا يعتدى ولا يجور ، ولذلك روى الجاحظ أنه يبلغ من تعظيم الحمام لحرمة البيت الحرام أن أهل مكة يشهدون عن آخرهم أنهم لم يروا حماما قط [2] إذ سقط على ظهر الكعبة إلا من علة عرضت له .

وهناك بعض المصادر فى قصص السيرة النبوية تحدثنا بأن الحمام كان رمز الأمان والسلام فى ساعة الهول والفصل ، فهذا هو رسول الإنسانية محمد مع صاحبه الأول أبى بكر يقضيان هذه الساعة : « إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » وجاء الحمام أو اليمام - واليمام نوع من الحمام كما قالت اللغة ونص عليه السابقون - فباض وأقام على واجهة الغار ، فكانت الحمامة الرقيقة الأليفة من أسباب الوقاية الربانية ومن جنود الله التى لا تعد ولا تحصى .

---

(١) معجم الأمثال للميدانى ، جـ ١ ص ٨٦ مطبعة السنة المحمدية

(٢) الحيوان للجاحظ ، جـ ١ ص ١٩٣ مطبعة الحلبى

بل روى بعض المؤرخين أن حمام مكة أظل رسول الله عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة ، فدعا له النبي بالخير والبركة ، فإن صحت الرواية كان هذا دليلا على أن الله تعالى أراد أن يكون يوم الفتح المبين يوم أمان وسلام ، تظلله أجنحة الحمام وهو رمز السلام.

وفي قصص الديبي أن الحمامه كانت رائدا لسيدنا نوح عليه السلام . أرسلها لتكشف له موضعا يصلح مرفأ للسفينة عقب الطوفان وأعطاها الله طوقها الذي في عنقها حلية لها وثوابا على إرشادها [٣] .

وهل نسينا حمامة «فسطاط» الذي اشتهر به عمرو بن العاص ، فاتح مصر باسم الله وباسم الإسلام ؛ فقد جاءت أثناء الفتح حمامة فاتخذت من أعلى فسطاطه - وهو الخيمة - عشا لها ، فلم يقبل عمرو فيما بعد أن يقوض فسطاطه حتى لا يزعج الحمامة ، بل تركه وتتابع العمران من حوله ، حتى تكونت مدينة الفسطاط بسبب هذه الحمامة ، فكأن الإسلام يبتدئ تاريخه في مصر بحمامة ويفتتح حصونها بهذه الحمامة الوادعة ، ويرسل قصتها مع الفسطاط وصاحبه مثلا شرودا يرويه الجيل بعد الجيل ليدل على سماحة الإسلام ورفق أبناء الإسلام ، وانبثاق السلام أينما سار دعاة الإسلام .

وفي حديث مرفوع - كما يروى ابن الأثير في النهاية - أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعجبه النظر إلى الأترج (التفاح) والحمام الأحمر [١] .

كما روى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه كما يذكر الجاحظ في الحيوان - أنه أراد أن يذبح الحمام ثم قال: (لولا أنها أمة من الأمم لأمرت بذبحها ، ولكن قصوها) ونهى عثمان عن اللعب بالحمام .

وكان ينتفع بثمن الحمامة الواحدة في هذه الأمة حتى يبلغ خمسمائة دينار واستعمل أسلافنا الحمام من قديم الزمان في حمل رسائل الود والمحبة ، لأنهم أدركوا وقرروا أنه أسرع الطيور في التودد والتآلف ، إذ تخرج الحمامة من عشها فتلتقي بجماعة من الحمام فتنسى عشها وولدها ، وتصاحب رفقتها ، وقد تلقى الهلاك في سبيل إرضاء المودة في نفسها [٢].

ويقول الجاحظ - المتوفى في وسط القرن الثالث الهجري ، أي منذ أكثر من ألف عام - : (ومن مناقب الحمام حبه للناس ، وأنس الناس به) ويقول أيضا : (والحمام طائر ألوف مألوف ومحبب وموصوف بالنظافة) ووصفه بالثبات على العهد ، وحفظ ما ينبغي أن يحفظ ، وصون ما ينبغي أن يصان[٣].

[١] المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٩٥ .

[١] النهاية في غريب الحديث ج ٣ ص ٢٦٢ مطبعة بولاق .

[٢] الحيوان ج ٣ ص ٢١٢ .

[٣] مواضع متفرقة من الجزء الثالث من كتاب الحيوان .

وقد كرر الإسلام الأمر بالعدل والدعوة إليه ، وهو بهذا يكرر الأمر بالسلام والدعوة إليه ؛ لأن العدل هو أقوى حوافز السلام ؛ ولأنه لو أنصف الناس استراح القاضي . فقال القرآن : « إن الله يأمر بالعدل » وقال : « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » وقال : « وأمرت لأعدل بينكم » وقال : « اعدلوا هو أقرب للتقوى » . ومن أجدادنا عشرات وعشرات من الحاكمين العادلين الشرفاء الذين زانوا صفحات التاريخ بإنصافهم وعدلهم . وما نسينا الحاكم العادل ، خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز ، الذي حكم الديار ووحد الأقطار ، وأشاع العدالة ونشر الإخاء والسلام ، حتى توسع محبوه في تصوير عدله وسلام عهده ، فقالوا : إن الذئب كان يلقى الشاة في أيامه فلا يمسها بأذى أو سوء .

أما بعد : فإننا نريد السلام لأنفسنا وللناس ، نريد السلام العام الشامل ، نريده صادراً من أعماق نفوسنا ومن صميم عقائدنا ، نابعاً من تاريخنا ومبادئنا ، منبثقاً من هدى قرآننا وسنة نبينا ، مشعراً الناس كلهم أنه أصل من أصولنا وقاعدة من قواعدنا ، نحن فيه أئمة أصلاء ، ولسنا فيه بالتابعين أو المقلدين ، ففي ديارنا نحن ظهر عيسى وبشر بدعوته التي كانت تحيتها هي : (السلام لكم) وفي ديارنا نحن ظهر محمد ، وبشر بدعوته التي كانت تحيتها : « السلام عليكم » . فنحن أولى الناس بدعوة السلام ، ونحن بمكان الصدارة والأصالة حين ندعو إلى السلام ونعمل للسلام . نعم نحن بعقائدنا أصلاء ، فمن ذا الذي يزعم أننا دخلاء ؛ ونحن بعون الله في الخير أقوياء . فمن ذا الذي يريدنا على أن نكون ضعفاء ؟ ونحن بديننا وإيماننا شرفاء أعزاء . فمن ذا الذي يريدنا على أن نكون أدنياء : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

إننا نريد السلام لأنفسنا ولإخواننا وجيراننا ، ونريده للناس جميعا ، نريده لأصدقائنا ولغير أصدقائنا ما داموا له مستجيبين . ولكننا لا نريد السلام الذليل المهين ، بل نريد السلام الإيجابي ، السلام الذي لا يبغي ولا يظلم ، ومع ذلك يحرس ويصون ، وإذا كنا نهتف ونقول : (نسالم من يسالمنا ونعادي من يعادينا) فمن الميسور لنا أن نزكي هذا المنهاج من هدى قرآننا ، نصادق من يصادقنا ؛ لأن خالقنا يقول : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » ، ونعادي من يعادينا ؛ لأن خالقنا يقول : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ! ...

« وقل : سلام » ! ... ؟

أحمد الشرباصي

شيء من النقد...!

للأستاذ على العمارى

قد يكون من الخير لقراء مجلة الأزهر أن نفتح لهم هذا الباب ، فإن رسالة المجلة هى خدمة الدين واللغة ، والدفاع عنهما ، والمناضلة دونهما ، ومن أكثر البحوث عونا على هذا بحوث النقد . ليس فقط النقد العلمى وإنما للنقد الأدبى ـ كذلك ـ عظيم الأثر فى هذا المجال . وقديما استعان العالم الجليل أبو بكر الباقلانى على إثبات إعجاز القرآن بطرف من النقد الأدبى ؛ فقد نقد قصيدتين لشاعرين من كبار شعراء العربية فى قصيدتين من أشهر قصائدهما ، وأحظاها عند الأدباء .

نقد امرأ القيس أمير الشعراء فى العهد القديم ، فى معلقته الموضوعة على رأس المعلقات العشر ، وقد بالغ فى نقدها ، فتناولها بيتاً بيتاً ، وأظهر ما فى كل بيت من ضعف أو قوة ، وإن كان غالب اتجاهه إلى تجريح القصيدة حتى بلغ منه ـ وهو العالم الوقور ـ أن عمد إلى السخرية ، فنراه يعلق على قول امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

نتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمأل

يعلق بقوله : « لم يقنع بذكر حد ، حتى حده بأربعة حدود ، كأنه يريد بيع المنزل ، فيخشى إن أخل بحد أن يكون بيعه فاسداً ، أو شرطه باطلا [1] ! ! » ، قال هذا بعد أن أوسع البيتين نقداً من الناحية البيانية [2] .

ونقد البحترى نقداً لاذعا مرأ فى قصيدة كان البحترى يعتز بها ، ويذكر أنها أجود شعره ، وكان يسمى بعض أبياتها « عروق الذهب » ، وهو الشاعر الذى بالغ بعض الناس فى تمجيده على حد ما قال الباقلانى : ومنهم من يدعى له الإعجاز غلواً ، ويزعم أنه يناغى النجم فى قوله علواً ، والملحدة تستظهر بشعره ، وتتكثر بقوله ، وترى كلامه من شبهاتهم ، وعباراته مضافة إلى ما عندهم من ترهاتهم [3] » .

ونحن سنعمد إلى ثلاث قصائد الثلاثة

---

(١) إعجاز القرآن ص ٣٣٧ . ط . دار المعارف .
(٢) المصدر السابق ص ٢٤٤ .
(٣) المصدر السابق ص ٣٧٣ .

من كبار شعراء نهضتنا الحديثة ، ونبين مافيها من محاسن وعيوب . ولم نقصد إلى هذه القصائد بالذات اختياراً منا . وإنما اختارها غيرنا على أنها أجود ما لهؤلاء الشعراء . فى حين أنها جميعا ليست أجود شعرهم ، بل ليست من أجوده . وقد قُررت هذه القصائد لتدرس فى أعلى فرقة من الأقسام الثانوية بالأزهر على أنها نماذج رائعة من شعر هؤلاء الشعراء ، والعلماء الذين قدموها للدراسة لم يبخلوا عليها بفيض من الثناء . ولم يقصروا فى التنبيه على مافيها من روعة التصوير ، وقوة التعبير ورشاقة المعانى ، وسحر الصور البيانية وأخذها بالألباب . إلى آخر هذه الأوصاف الفضفاضة .

وقد رأيت أن الواجب العلمى والأدبى ، يقتضينى أن أتعرض لهذه القصائد بالنقد لئلا نخدع الناشء عنها . وليس فى نقدها مايحط من مكانة هؤلاء الشعراء ، فإن لهم محاسن كثيرة فى قصائد أخرى غيرها .

البارودى وشوقى وحافظ ، من كبار شعراء العربية . نهضوا بالشعر ، وبعثوه من رقدته بعد أن تخلف عن الحياة زمنا طويلا ، ولكنهم - مع ذلك - لم يسلموا فى آثارهم من قصور ، ومن قصور خطير فى بعض الأحايين ، فعلينا حين ندرس آثارهم ألا نفضل مواضع المحاسن ولا جودة الصناعة ، كما علينا ألا نسرف فى الإطراء ، ونغلو فى المديح . فقد مضى الزمن الذى كان كل شاعر فيه (أشعر الشعراء) ومما يؤسف له أنه لايزال عندنا أصحاب أمزجة حادة يسرفون فى المدح إذا أحبوا ، ويسرفون فى الذم إذا أبغضوا ، ولا يرجعون فى ذلك - حين تراجعهم - إلا إلى أمزجتهم ، وأحكامهم التى لم تبن على أسس من نظر وتمحيص ، فليس من العدل والخدمة الحقة للأدب العربى أن يخرج شوقى - مثلا - من دائرة الشعراء - كما حاول بعض النقاد المحدثين - كما أنه ليس من الإنصاف للحقيقة وإكبارها أن نجعل شوقيا وأمثاله آلهة الشعر ، كما يحلو لبعض الزملاء أن يقولوا - فما يزال التوسط محموداً فى كل شيء ، وما يزال المدى بعيداً ، دون بلوغ درجة الكمال فى بلاغة التعبير ، وسمو المعانى .

وسأبتدئ بقصيدة البارودى . وهى قصيدة قالها فى منفاه ، بعد أن رأى طيف صغيرته سميرة ، فسجل هذه الرؤيا . وتحدث عن ذلك الطيف الذى قطع إليه الفيافى والبحار واخترق حجب الظلام ، يحدوه الشوق ، ويزجره الحنين . هذا الطيف الذى لم يتلبث حتى يبل الوالد الواله الحزين ظمأه . بل ألم إلماما عابراً .

ثم تسلمه هذه الحالة إلى الحديث عن الدنيا وأنها زائلة . والمصير إلى الله ، ويرى - كما

يرى غيره ـ أن الدنيا تعقب الإحسان بالإساءة ، بل إن إحسانها وسيلة لإساءتها ، فهى تفعل بالناس كما يفعل الجزار بالبهيمة ، يسمنها ليذبحها ، فهى تغدق عليه النعم لتفنيه وكأنها موتورة من الناس ، فهى تطلب ثأرها ، وما زالت كالحرباء لها كل حين لون ، وحرىٌّ بصاحبها أن يأخذ حذره منها .

والبارودى ـ كما يقول ـ صحب الدنيا بالصبر ؛ لأنه لم يجد مندوحة عنه ، فهذا الصبر ـ عنده ـ ليس شيئاً لأنه لا يملك غيره ثم يعود فيرى أن فى هذا الصبر عذراً ، فإنه فقد المعين ، وأخفق فى الآمال ، وإذا أظلمت الدنيا فى عينيه ، وكشر الخطب عن أنيابه لجأ إلى الله ، فإن من يلجأ إلى الله فى الشدائد كان مآله إلى الخسران ، وكل من لم يصبر على حلو الحياة ومرها فهو طائش العقل .

وينتقل البارودى ـ بعد ذلك ـ إلى الحديث عن الهمة والعزيمة فيقول : إن النفس الصغيرة حاجاتها قليلة ، والقلب الكبير همومه كثيرة ، وما أيسر الحياة لو كان كل ما فيها لقمة العيش ، ولكن الماجد لا يرضى الدنية وإذا كان الإنسان يخشى كل شىء ـ من خوف الردى ، فكل شىء يلقاه يجد فيه ضرراً ، ولا غرو فإن الشر قد يأتى من الخير ، ومن صحة الإنسان ما فيه سقمه ، وعلى صاحب الهمة أن يتقحم الأمور ، ويغامر فى طلب العز ، فإذا أخفق فلا عليه ، فبلغ نفس عذرها مثل منجح .

ثم يلتفت إلى نفسه فيراها فاضلة أمينة لم يغرها المال ، ولم تقبل الضيم ، فماذا يستطيع أعداؤه أن يتكذبوا به عليه ، وما قيمة المال حتى يحمله على التنازل عن إبائه .. إن المال ليس بذى غناء إلا إذا أعطى منه القريب والصديق ، والبارودى ذو نفس طموح لا يقعد بها النعيم عن المعالى ولا يذلها الفقر ، وهو ثابت الجنان ، فصيح اللسان ، يقول والخطب مدلهم ، ويصول والموت يتخطف الأبطال ، وهو نبيل النفس لا يبطره الغنى ، ولا يحزن للفقر .. فالغنى لا يستر الخسيس ، والفقر لا يفضح طاهر العرض ، والمال عند صغير النفس عيب جديد يضاف إلى معايبه ، فهو كالسيف المغلول ، حليته عيب فيه حين يحتاج صاحبه إلى الضرب به فينبو ، ويخزى صاحبه . وليس يعيب الشاعر أن تتنكر له الدنيا ، وتلق به فى هذا المنفى البعيد ، فليس هو أول بطل حطم الزمان سيفه ، ولا أول سيد دارت عليه الدوائر ، فلكل صارم نبوة ، ولكل جواد كبوة .

وينتهى أخيراً إلى الأمل يراود نفسه بأن الحق سيظهر ، وأن السرائر ستبدى ما فيها من حقود ، وهى غمرة ستنجلى ، ويسلمه هذا

إلى تنبيه الناس إلى الحقيقة الكبرى وهى أن الجميع يهطعون إلى غاية شديدة الأهوال ، يرى الناس فيها ألوانا من الكروب وهنالك يعلو الحق ، ويسفل الباطل .

وعما قليل ينتهى الأمر كله
فما أول إلا ويتلوه آخر

* * *

وتمتاز القصيدة بما يمتاز به شعر البارودى من قوة الأسلوب وصفاء الديباجة واختيار الكلمات ـ فى أكثر الأبيات ـ وفيها أبيات بلغت فى هذه الناحية مبلغا عظيما ، كقوله :

تؤول وأحلام الرجال عوازب
صئول وأفواه المنايا فواغر

وكقوله عن الدنيا :

لها ترة فى كل حى ومالها
ـ على طول ما تجنى على الخلق ـ واتر

وأغراض القصيدة ـ وإن تعددت ـ إلا أنها متآخية ، فالحديث عن الطيف أسلمه إلى الحديث عن الأولاد ، وأسلمه هذا إلى الفراق ، ثم إلى وصف الدنيا ، ومن وصفها انتقل إلى الصبر وإلى الأمل فى الله ، ثم أفضى به حاله إلى أن يتحدث عن السيادة وما يلاقيه طلابها من متاعب ، وطبعى أن يأتى هنا الفخر بالنفس ، وبالشجاعة وبالأمانة ، وقد وصف نفسه بأنها أبت الخيانة ولو قبلتها لكثر مالها فيجره الحديث إلى القول فى المال ، ثم ينتقل إلى التأسى بالأبطال ، وإلى الأمل فى ظهور الحق ، وأخيراً يلتفت إلى يوم الحساب ، وينبه الشامتين والحاقدين إليه .

وقد أجاد فى ضرب بعض الأمثال كقوله عند الحديث عن المال ، وأن كثرته لا تستر خسة صاحبه :

إذا ما ذباب السيف لم يك ماضيا
فحليته وصم لدى الحرب ظاهر

وكقوله عند الحديث على أن الإنسان قد يأتيه الشر مما يظن فيه الخير :

فمن صحة الإنسان ما فيه سقمه
ومن أمنه ما فاجأته الخواطر

وكقوله يؤكد ويقرب إدراكه للملا وهو خلو من المال : (فقد يشهد السيف الوغى وهو خاسر) .

وفى القصيدة بعض الصور البيانية البديعة كقوله : (والنجم بالأفق حائر) كناية عن شدة الظلمة ، وكقوله فى التعبير عن شدة الهول : (وأحلام الرجال عوازب) ، (وأفواه المنايا فواغر) . وعن شدة الغاية التى يمضى إليها الناس وهى يوم القيامة :

تطول بها الأنفاس بهرا وتلتوى
على فلكة الساقين فيها المآزر

وقد كسا بعض المعانى القديمة ثوبا جديدا جعلها تأخذ النظر ـ فى بادئ الرأى ـ

كقوله عن الدنيا :

كثيرة ألوان الوداد ملية
بأن يتوقاها القرين المعاشر

وبعض هذا الذى قدمنا يتفق مع نظرة البارودى إلى الشعر ، حيث يقول فى مقدمة ديوانه عن الشعر الجيد : « وخير الكلام ما ائتلفت ألفاظه ، وائتلفت معانيه ، وكان قريب المأخذ ، بعيد المرمى ، سليما من وصمة التكلف ، بريئا من عسرة التعسف ، غنيا عن مراجعة الفكرة ، فهذه صفة الشعر الجيد » .

ولكن ...

١ — أكثر معانى القصيدة — إن لم تكن كل معانيها — مأخوذ مما قال الأقدمون فليس فى القصيدة ابتكار ، والأخذ لا يعد عيبا على الإطلاق بل هو عيب عندما يقصر الآخذ عمن أخذ عنه ، وقد بالغ القاضى الجرجانى فى الدفاع عن سرقات المتنبى ؛ لأن ضلعه كانت معه ، ففرق — أولا بين المعانى العامة والمعانى الخاصة وهو كلام سليم . وقال : إن الأخذ فى المعانى العامة ، والمعانى الخاصة إذا تدوولت ، لا يدخل فى مفهوم السرق ، وإنك (لو سمعت قائلا يقول إن فلانا الشاعر أخذ من فلان قوله لا مرحبا بالشيب ، وحبذا الشباب ، وكيف لوعاد ، ويا أسفى لفراق الأحبة ، وما لذذت العيش بعدهم ، وفاضت عينى صبابة لذكرهم ، لحكمت بجهله ، ولم تشك فى غفلته [1] ثم قال : (والسرق — أيدك الله — داء قديم ، وعيب عتيق ، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر ، ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه [2]) والتمس العذر لأهل عصره والعصر الذى يليه ، واعتبرهم أبعد عن المذمة ، لأن من تقدمنا — قال — قد استغرق المعانى ، وسبق إليها ، وأتى على منظمها [3] . ثم قال « ولهذا السبب حظر على نفسى . ولا أرى لغيرى بت الحكم على شاعر بالسرقة ، إلا أنى إذا وجدت فى شعره معانى كثيرة أجدها لغيره حكمت بأن فيها مأخوذا لا أثبته بعينه ، ومسروقا لا يتميز لى من غيره وإنما أقول قال فلان كذا ، وقد سبقه إليه فلان فقال كذا » . والذى دعاه إلى ذلك أن الشاعر كما يقول — قد يتعب خاطره وذهنه فى تحصيل معنى يظنه غريبا مبتدعا ، ثم يجده إذا تصفح الدواوين بعينه أو يجد مثالا له .

والحق أن القاضى بالغ فى الدفاع عن صاحبه فى هذا الموضع ، فإن من كان كالمتنبى فى علمه ، وحفظه لا يقال : إنه يجهل المصادر التى أخذ منها بعض معانيه ، وهذا ما نقوله فى البارودى ، ولو أننا استبعدنا مسألة

---

(١) الوساطة ص ١٥٠ ط صبيح .
(٢) المصدر السابق ص ١٧٠ .
(٣) ص ١٧١ .

السرقة ، لأنها لا تعنينا كثيرا . لكان لنا فى المقارنة بين معانى البارودى ومعانى غيره ممن سبقوه نظر وتفضيل ، وعند النظر فى صنيع البارودى نجده قصر فى أكثر المعانى، فمثلا قوله عن الدنيا :

ومن نظر الدنيا بحكمة ناقد
درى أنها بين الأنام تقامر

سبقه فى هذا المعنى أبو نواس فقال :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو فى ثياب صديق

وبيت أبى نواس أدق وأروع. فأبو نواس جعل الدنيا مخادعة تظهر لك الود ، وتخفى لك البغضاء وهى تحكم ذلك ، وتبالغ فى التمويه ، حتى تحتاج إلى اللبيب . وإلى امتحانه للكشف عنها . أما أن الدنيا تعطى هذا وتاخذ من ذاك فذلك أمر ظاهر لا يحتاج إلى حكمة ناقد ، بل النظرة العابرة توصلنا إلى كشف هذا الخلق فيها ، وقد أجاد الأول فى التعبير عن هذا المعنى دون أن يتكلف ما تكلفه البارودى فقال :

وقد تعدل الدنيا فيمسى غنيها
فقيرا ، ويغنى بعد بؤس فقيرها

وأحب قبل أن أسترسل فى هذه الناحية أن أذكر هنا كلمة للشيخ حمزة فتح الله قال : (متى تقاربت المعانى فى بيتين أو أبيات ، أو جملتين أو جمل ، عسر التعبير عن علة كون هذا أجود من ذاك ، وكان المعول عليه فى التفضيل إنما هو الذوق البحت، والسليقة السليمة ، بل قد يوجد من الكلام فى غير المقارنة مما يبلغ فى حسن اللفظ مبلغا يأخذ بمجامع القلوب ، فإن حاولت التعبير عن صفة ذلك الحسن استعصت عليك العبارة ، وضاق عنها نطاق الإمكان ، حتى قالوا : إن إن ذلك كالحسن فى وجوه الملاح يعرف ولا يوصف ، ألا ترى أنه قد يكون فرسان سليمان من كل عيب موجود ، فيهما سائر علامات العتق والجودة والنجابة ، ويكون أحدهما أفضل من الآخر بفرق لا يعلمه إلا أهل الخبرة والدربة الطويلة ، وكذلك الجاريتان البارعتان فى الجمال المتقاربتان فى الوصف السليمتان من كل عيب ، قد يفرق بينهما العالم بأمر الرقيق حتى يجعل بينهما فضلا كبيرا ، فإذا قيل له أو للنخاس: أنى لك هذا التفضيل لم يقدر على عبارة توضح الفرق بينهما وإنما يعرفه كل واحد منهما بسليقته وكثرة دربته، وطول ملابسته ، فكذلك الشعر . يتقارب البيتان الجيدان النادران فيعلم أهل العلم بصناعة الشعر أيهما أجود إن كان معناهما واحدا ، أو أيهما أجود فى معناه إن كان معناهما مختلفا ، ذكر هذا المعنى محمد بن سلام ، ودعبل بن على الخزاعى فى كتابيهما [1]) .

(البقية على صفحة ١٠١٥)

[1] المواهب الفتحية ص ١٢٢ ، والعبارات فى مقدمة طبقات فحول الشعراء ببسط أوسع مما أورده الشيخ حمزة فتح الله ص٧٢٦ ط. دار المعارف.

قواعد النحو هى سبيلنا الوحيد لضبط كلام العرب والتحدث بالعربية وإننا - مع شدة حاجتنا إليها - على استعداد لأن نتخلى عنها ونتناساها إذا استطاع دعاة التجديد أن يبتدعوا لنا قواعد أيسر منها تغنى غناءها وتسد مكانها .

أما أن يكون منتهى ما يصل إليه التجديد استبدال اصطلاح خفى بآخر جلى فذلك مالا نقبله منهم وليس بين اصطلاحات النحو ما هو أصرح وأوضح من المبتدأ والخبر والفعل والفاعل ولكن السادة المجددين لا يبصرون ذلك .

وفى تعب من يحسد الشمس ضوءها
ويجهد أن يأتى لها بضريب

ولسنا - والحمد لله - متعصبين لنوع معين من القواعد وقد قلت فى كلمة سابقة : إن النحويين ليسوا معصومين وأن باب الاجتهاد فى النحو ما زال مفتوحا على مصراعيه ونقلت نصوصا صريحة من القرن الرابع والثامن فى ذلك وإنى أعجب من أن يتحدث الأستاذ إبراهيم مصطفى فى تقديمه كتاب الدكتور أيوب عن سد باب الاجتهاد فى النحو وما قال بذلك أحد وما وقفنا عليه فيما بين أيدينا من كتب النحو .

والاجتهاد الذى ندعو إليه ونحض عليه لا نتمنى له سوى أن يكون ثمرة دراسات واسعة وقراءات فى أصول كتب النحو وتتبع لأساليب العرب .

محمد عبد الخالق عضيمة

(بقية المنشور على ص ١٠٠٣)

وقد نقل صاحب العمدة العبارات بنصها عن ابن سلام الجمحى [٢] .

ثم قال الشيخ حمزة ، فى موضع آخر ، « وبعد : فلسنا نحجر على ممن فى المعانى أو نقاد للمبانى إمكان التماس ما يدفع ما قلناه ، أو العثور على محاسن للمفضول تربى على محاسن الفاضل ، فيصير المفضول فاضلا ، وبالعكس ، لأن هذا مجال واسع ، وإنما المراد هداية الطلبة إلى كيفية سلوك هذه الفجاج ويرحم الله عبد الرحيم الفاضل ، إذ قال فى بعض رسائله مامعناه : إنه قلما يوجد كاتب أو شاعر أو مؤلف أو مصنف يقرأ اليوم ما كتبه أمس إلا ويقول: ليت كذا كان كذا . إلخ والكمال لله تعالى وحده ولمن كملهم من خليقته ، فليكن ذلك منك على ذكر » .

قلت . والأمر قريب من قريب ، والذى نستطيعه فى مثل هذا الموقف أن نتجرد عن الهوى ، وأن نطيل إمعان النظر ، وأن نهتدى بآراء من سبقونا فى هذا الشأن والتوفيق من الله .

(الحديث بقايا)

على العمارى

---

[٢] العمدة ط ص ٧٦ ، الطبعة الأولى

النحو بين التجديد والتقليد

للأستاذ عبد الخالق عضيمة

— ٤ —

مناقشة الدكتور أيوب :

وهذه حلقة أخرى فى سلسلة التجديد فى النحو وهى من صنع الدكتور عبد الرحمن أيوب ماجستير ودكتوراة فى الدراسات اللغوية من جامعة لندن ومدرس بكلية دار العلوم أخرج لنا كتابا سماه دراسات نقدية فى النحو العربى وقدم لهذه الدراسات الأستاذ إبراهيم مصطفى ففاخر بها وقال :

« هذا مطلع فجر واضح الإسفار يضىء نوره مناهج البحث اللغوى العربى ويشرق من ناحية كلية دار العلوم من أفق مرتقب الإشراق من جو الهداية منهج بارع جديد فى البحث النحوى مكن لصاحبه ما لم يهيأ لكثير غيره من الباحثين فى علوم العربية ثم تكلم عن أطوار تجديد النحو فقال :

تجديد تمثل فى تقريب النحو وتيسيره وتخليصه من الجدل اللفظى وأوضح عمل له عمل المرحوم حفنى ناصف وزملائه وتجديد تمثل فى اصطناع طرق التربية وسبل البيان والعرض وكان أوضحه عمل المرحوم الأستاذ الجارم وزميله وتجديد تمثل فى تغيير مناهج البحث النحوى وطرق رسم القواعد وكانت منه بوارق أوضحها بارقة وأحفلها بالأمل ما يقوم به الدكتور أيوب فى هذا الكتاب وإنى لأرى فى هذا الجهد إصلاحا يوشك أن يكون شاملا وألمح نور فجر صادق يضىء مناهج البحث اللغوى العربى .

وقد شاء للدكتور أيوب تواضعه أن يعلق على كلام الأستاذ إبراهيم مصطفى بقوله :

يجدر بى الإشارة إلى أن اول كتاب ظهر فى العالم العربى فى العصر الحديث لنقد نظريات النحو التقليدية هو كتاب إحياء النحو بقلم الأستاذ إبراهيم مصطفى

لقد ثار الدكتور أيوب على النحويين ثورة عارمة جامحة وفى فورة غضبه رسم لهم صورة شائهة على حد قول الشاعر :

شوهاء خلقتها فى وجهها نمش
فى عينها عمش فى ساقها حمش

ولم ير لهم فضلا يذكر ولا جهدا يشكر .

والجديد فى نقد الدكتور أنه يتهم النحويين بسرقة النحو اللاتينى فهذا النحو العربى الذى مضت عليه قرون وقرون ليس نحواً عربيا وفرض على العربية فرضا قال فى مقدمة كتابه :

كان هم كل مؤلفي قواعد اللغة أن يفرضوا عليها النحو اللاتيني .

وأعجب من هذا وأغرب أن يزعم الدكتور أن للاستعمار الأوربي إصبعا في فرض النحو اللاتيني على العربية .

قال في المقدمة أيضا : وظل الحال على هذا حتى جاء عصر الاستعمار الأوربي لبلاد آسيا وإفريقيا وواجه الغربيون ضرورة التعرف على لغات الشعوب التي يستعمرونها وحاول بعض المؤلفين أن يصنعوا لهذه اللغة الجديدة نحواً على نسق النحو اللاتيني .

زعم الدكتور أنه أمسك بتلابيب النحويين متلبسين بسرقة النحو اللاتيني فما أدلته على هذا الاتهام الخطير ؟ .

لم يرتكز في دعواه العريضة إلا على هذه الكلمات قال في ص ١٠ تقسيم النحاة للكلمة متأثر بتقسيم إفلاطون وقال في ص ٩٢ تقسيم العلم إلى مرتجل ومنقول أخذه النحويون عن أرسطو الذي قال هو الآخر به .

وقال في ص ١٢٨ تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية تقسيم مشابه لتقسيم الجملة اللاتينية .

وزعم الدكتور أيضا أن النحويين أخذوا الفلسفة الإغريقية كما أخذوا النحو اللاتيني .

قال في حديثه عن التعليق والإلغاء ص ٢٢٤ — ٢٢٥ .

هنا تطل فلسفة إفلاطون بقرنيها .

هذا هراء فلسفي لا أكثر ولا أقل إن صح أن يوصف الهراء بأنه فلسفة .

وقال في ص ١٧٩ عيب النحاة ينحصر في خضوعهم لنظريات فلسفية ليست ذات قيمة لغوية من ناحيته .

وقصورهم عن استيفاء جوانب البحث من ناحية أخرى .

وقال في ص ١٥٢ النحويون كانوا محكومين باعتبارات فلسفية لا علاقة لها باللغة .

واعترض على تعريف النحويين للحرف بقوله ص ٩ :

لقد وقع النحاة في هذا الخطأ لأنهم كانوا في الواقع متأثرين بالفلسفة الإغريقية عن الموجودات أكثر مما كانوا يدرسون خصائص الألفاظ العربية ذاتها ثم كرر هذا الزعم على هذه الصفحات ٢٨ - ٧٣ - ١٢٨ - ١٦٥ .

وقد أشرك الدكتور نحاة الغرب مع نحاة العرب في تقليدهم لفلسفة الإغريق قال في ص ١٢٨ .

لم يكن النحاة العرب وحدهم مقلدين لفلاسفة الإغريق فعلى نفس الطريق سار النحاة من الغربيين .

كما يرى الدكتور أن النحويين لا ينظرون عند اصطناع قواعدهم إلى الواقع اللغوي ولا يعيرون النظر في استعمال العرب أدنى التفات وإنما يبنون قواعدهم على أساس من اعتبارات عقلية وهمية .

ذكر ذلك فى المقدمة وكرره على هذه الصفحات ١٥٢-١٥٥-١٥٦-٢٢٤-٢٢٥

وردنا على دعاوى الدكتور أن نقول له :

إن رواة اللغة ونقلها إنما التقطوها من أفواه حرشة الضباب وأكلة اليرابيع وتشدد الأصمعى فلم ينقل عن ذى الرمة لأنه طالما أكل المالح والبقل فى حوانيت البقالين - الخصائص ٣ / ٢٩٥ .

هذه هى اللغة التى نظر فيها النحويون وعولوا عليها فى الاستشهاد .

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب ومع هذا لم يحتج النحويون لقواعدهم بالأحاديث النبوية الشريفة لأن رجال الحديث أجازوا الرواية بالمعنى فاحتمل الحديث أن تكون بعض ألفاظه لراو لا يحتج بكلامه فى اللغة .

فلهذا الاحتمال الضعيف أسقط النحويون الاحتجاج بالأحاديث النبوية ولم يحتج بالحديث إلا بعض المتأخرين كابن خروف وابن مالك

خزانة الأدب للبغدادى ١ / ٥ - ٦

وقد اشتط كثير من النحويين فلحن بعض القراء وقد سجلت هذا الغلو فى صحائف وسأطوى ذكرها لأنى أعتبرها بمثابة بقع سوداء فى صحائف أعمالهم وما ظفر النحويون بقواعدهم عفوا صفوا ولا وافتهم رهوا سهوا وإنما كان ذلك بعد بذل الجهد فى الاستقصاء والاستقراء فاستطاعوا أن يضعوا الضوابط لمفردات اللغة وصيغها وأساليبها مما جاء على الكثير وما خرج عن أصله إلى غير ذلك مما ينطق بفضلهم ويتحدث عن حسن بلائهم فهل نستكثر عليهم بعد هذا تقسيم الجملة إلى اسمية وفعلية والعلم إلى منقول ومرتجل ما أيسر مثل هذه التقسيمات وما أغناهم عن أن يتوجهوا إلى النحو اللاتينى يترسمون خطاه :

رمانى بأمر كنت منه ووالدى
بريئا ومن أجل الطوى رمانى

وبين اللغات قدر مشترك من الألفاظ تحدث عنه علماء اللغات ويقول أبو الفتح فى الخصائص ٣ / ٢٨٥ .

ويقال إن التنور لفظة اشترك فيها جميع اللغات من العرب وغيرهم .

فهل يعتبر الدكتور هذا الاشتراك من السرقات وتتحدث كتب الأدب كثيراً عن توافق الخواطر ووقوع الحافر على الحافر بين الشاعر والشاعر .

ولكن الدكتور لا يعترف بمثل هذا للنحويين .

ارتكز الدكتور فى تأليف كتابه على كتابين - ابن عقيل والأشمونى ولم ينظر فى غيرهما من كتب النحو وقد ذكر أسرار العربية

للأنبارى فى موضع واحد ولم يحاول أن يرجع إلى أصول علم النحو أو الأدب الجاهلى أو الإسلامى ليعرف مدى صدق هذه القواعد وإطرادها . لم يصنع شيئا من هذا فيستدرك على النحاة وإنما وجه عنايته إلى اتهامهم بأخذ النحو اللاتينى والفلسفة الإغريقية وبأنهم لم ينظروا إلى واقع كلام العرب .

وسأختار مسألة واحدة أوازن فيها بين موقف الدكتور أيوب وموقف غيره من النحويين .

ذكر الدكتور فى كتابه أن غالبية النحويين تمنع تقديم خبر ليس عليها ، تناول الدكتور هذه القاعدة فى يسر وسهولة ولم يحتشم نفسه مشقة الاحتكام إلى الأسلوب العربى .

أما أبو حيان وهو من نحاة القرن الثامن فقد وقف عند هذه القاعدة وقفة احتكم فيها إلى أساليب العرب فقرأ جملة من دواوين العرب لذلك الغرض قال أبو حيان :

وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بمعموله إلا ما دل عليه ظاهر هذه الآية (ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم) وقول الشاعر :

فيأبى فما يزداد إلا لجاجة
وكنت أبيا فى الخنا لست أقدم

البحر المحيط ٥/٢٠٦ .

ولأبى حيان استقراءات أخرى وليس هنا موضع الحديث عنها .

كنا نود من الدكتور أن يصنع مثل ذلك فى بعض مسائل كتابه ولا سيما وقد يسرت لنا الطبـــاعة النظر فى دواوين العرب والرجوع إليها .

٢ ـــ عرض الدكتور لنقد علل الإعراب والبناء عند النحويين ثم قسم المبنى والمعرب تقسيما جديداً بلغت الأقسام عنده ثلاثين قسما ولا أريد أن أعرض لتقسيماته بالنقد وأكتفى بذكر حديث طريف نسبه إلى الخليل بن أحمد بين فيه قيمة التعليلات عامة ومنزلتها من النحو .

قال أبو القاسم الزجاجى المتوفى سنة ٣٣٧ هـ فى كتابه إيضاح علل النحو ص ٦٥ - ٦٦ .

وذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد رحمه الله سئل عن العلل التى يعتل بها فى النحو فقيل له أعن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك فقال :

إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقامت فى عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها وعللت أنا بما عندى أنه علة لما علته به فإن أكن أصبت العلة فهو الذى التمست وإن تكن هناك علة غير ماذكرت فالذى ذكرته محتمل أن يكون علة له

ومثلى فى ذلك مثل حكيم دخل دارا محكمة البناء عجيبة النظم والأقسام وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة فكلما وقف هذا الرجل الداخل الدار على شىء منها قال إنما فعل هذا هكذا لعلة كذا وكذا ولسبب كذا وكذا لعلة سنحت له وخطرت بباله محتملة أن تكون علة لذلك . فجائز أن يكون الحكيم البانى للدار فعل ذلك للعلة التى ذكرها هذا الذى دخل الدار وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة ، إلا أن ماذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك فإن سنحت لغيرى علة لما عللته من النحو هى أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها .

قال الزجاجى وهذا كلام مستقيم وإنصاف من الخليل رحمة الله عليه ، وينظر الاقتراح للسيوطى ٥٧ - ٥٨ .

وفى الخصائص ١/٨٧ - ٨٨ واعلم أنا - مع ما شرحناه وعنينا به فأوضحناه من ترجيح علل النحو على علل الفقه وإلحاقها بعلل الكلام - لاندعى أنها تبلغ قدر علل المتكلمين ولا عليها براهين المهندسين .

وعاب الدكتور على النحويين أنهم لا يحسنون اختيار الألفاظ المعبرة عن اصطلاحاتهم ، وضرب مثلا لذلك بحذف المبتدأ والخبر - والتعبير بالفاعل .

قال فى ص ١٥٧ - ١٥٨ أود بادئ ذى بدء أن أذكر أمراً قد يبدو من الوضوح بحيث لا يحتاج للذكر ، ذلك هو عدم دقة اختيار النحاة للألفاظ حتى توحى بمعان قد لا تكون مقصودة لهم على الإطلاق وأريد بهذا لفظ حذف ، وهو يشعر أن المحذوف كان موجوداً ثم حذف بشكل مقصود بعد ذلك . وقد كان من الأدق أن يستعمل النحاة عبارة عدم ذكر المبتدأ أو الخبر بدلا من عبارة حذف المبتدأ أو الخبر .

وقال فى ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ولعل من سوء الحظ أن أطلق النحاة لفظ فاعل على الركن الاسمى للجملة الفعلية فقد أضاف ما فى هذه الكلمة من دلالة قاموسية صعوبة لازوم لها .

إن ملاحظة الدكتور هنا أقرب إلى المماحكة اللفظية منها إلى النقد العلمى ، وشتان بين الاختيارين .

٣ - فى حديثه عن التعليق والإلغاء تكلم عن العلل المنطقية ، ثم قال ترى هل يحكم النحاة هذا المنطق فى استنباط قواعد اللغة أم يحكمون الواقع اللغوى الذى لايلتزم بهذا النوع من التفكير المنطق ، إن أمثلتهم التى ذكروها فى الأشمونى وابن عقيل على الأقل ليست من أقوال العرب المأثورة ولا من أشعارهم . ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

مثل الأشمونى للإلغاء بهذه الشواهد :

أرجو وآمل أن تدنو مودتها
وما إخال لدينا منك تنويل

والبيت لكعب بن زهير من قصيدته المشهورة بانت سعاد .

كذاك أدبت حتى صار من خلقي
أني رأيت ملاك الشيمة الأدب

والبيت لبعض الفزاريين وهو من أبيات الحماسة ـ خزانة الأدب ٤/٥ .

آت الموت تعلمون فلا ير
هبكم من لظى الحروب اضطرام

وقد تكلم عليه العيني ـ خزانة الأدب ٢ / ٤٠٢ .

شجاك أظن ربع الظاعنين
ولم تعبأ بعذل العاذلينا

تكلم عليه العيني خزانة الأدب ٢/٤١٩ .

ومثل الأشموني للتعليق بهذه الشواهد .

ولقد علمت لتأتين منيتي
إن المنايا لا تطيش سهامها

والبيت من شواهد سيبويه ١/٤٦٠ ونسب للبيد ـ خزانة الأدب ٤/١٣ .

وما كنت أدري قبل عزة ما البكا
ولا موجعات القلب حتى تولت

وهو لكثير عزة خزانة الأدب ٢/٣٧٨ .

وقد علم الأقوام لو أن حاتما
أراد ثراء المال كان له وفر

والبيت في ديوان حاتم الطائي / ٧٢ .

ومثل الأشموني أيضاً للتعليق بقوله تعالى . ولقد علموا لمن اشتراه ـ وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون ـ لنعلم أي الحزبين أحصى ـ ولتعلمن أينا أشد عذابا ـ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، وإن أدري لعله فتنة لكم .

هذه هي شواهد الأشموني التي قال عنها الدكتور أيوب : إنها ليست من أقوال العرب المأثورة ولا من أشعارهم وإن أراد الدكتور شواهد أخرى للإلغاء فأذكر له :

أبا الأراجيز يابن اللؤم توعدني
وفي الأراجيز خلت اللؤم والخور

للعين المنقري يهجو العجاج ، ابن يعيش ٧ / ٨٤ .

من رأيت المنون عرين أم من
ذا عليه أن يضام خفير

لعدي بن زيد العبادي أمالي الشجري ١/٩١

هما سيدانا يزعمان وإنما
يسودانا أن يسرت غنماهما

للدبيري ـ خزانة الأدب ٢ ـ ٤٠٣

ولستم فاعلين إخال حتى
ينال أقاصي الحطب الوقود

لعقيل بن علفة ـ شرح الرضي للكافية ١ ـ ٢٦٠ ـ خزانة الأدب ٤ ـ ١٢

وهو من أبيات الحماسة أيضا .

وأما شواهد التعليق فى القرآن الكريم فكثيرة جدا .

ويدعى الدكتور أن النحويين عنوا بالأفعال الناسخة من جهة بيان أثرها الإعرابى فقط قال فى ص ١٨٠ — ١٨١ ليس من شك فى أن وظيفة الأفعال الناسخة لا تنحصر فى مجرد أثرها الإعرابى ولكن لها وظيفة أخرى خاصة بدلالة التركيب الذى توجد فيه ...

وقد أشبع النحويون القول فى معانى الأفعال الناسخة سواء أكانت ناقصة أم تامة وليرجع الدكتور إلى شرح الكافية للرضى فى هذه الصفحات ٢ — ٢٧٠ — ٢٧١ — ٢٧٢ — ٢٧٣ — ٢٧٤ — ٢٧٥ وشرح ابن يعيش ٧ — ٩٧ — ١٠٣ .

٤ — يؤرخ الدكتور الجملة فيقول فى ص ١٥٠ وقد مرت الجملة النحوية فى دورين : أما المبكر منهما فلم يفرق بين نوعها الاسمى ونوعها الفعلى تفريقا حاداً بل اعتبرها كما يعتبرها البلاغيون إسناداً مكونا من مسند ومسند إليه وكان سيبويه إمام النحاة ممن قالوا بهذا — وأما الدور المتأخر فقد انفصلت فيه الجملة الاسمية عن الفعلية وبوبت الأحكام لكل منهما وفصلت على ما ترى بين أيدينا اليوم .

ثم قال فى ص ٢٤٣ ولم يواجه النحاة الأول ولا علماء البلاغة هذه الصعوبة عندما استعملوا لفظ مسند إليه وهو مصطلح لا يشير إلى وجود لفظ يدل على حدث كما لا يشير إلى موضع خاص فى الجملة ولو حافظ النحاة على هذا الاصطلاح وتجنبوا الاصطلاحات ذات الدلالة القاموسية القوية لما ألبس عليهم الأمر كل هذا الإلباس .

يدعى الدكتور أن سيبويه لم يعبر عن الجملة الاسمية والفعلية إلا بتعبير واحد مسند ومسند إليه وكذلك علماء البلاغة فلم يعرفوا هذه المصطلحات — مبتدأ وخبرا — فعلا وفاعلا وهذه دعوى جريئة من الدكتور لم يرجع فيها إلى كلام سيبويه ولا إلى كلام علماء البلاغة .

ونرجع إلى كتاب سيبويه فنجد فيه ما يأتى:

هذا باب الابتداء. فالمبتدأ كل اسم ابتدئ ليبنى عليه وقال فى ١ — ٢٧٩ هذا باب ما يكون فيه المبتدأ مضمراً .

وقال فى قول العرب ١ — ١٤٧ من أنت زيدا قد علم أن زيدا ليس خبرا ولا مبتدأ .

وقال فى ١ — ٢٦ هذا باب ما تخبر فيه عن النكرة بنكرة

وقال فى ١ — ١٤ هذا باب الفاعل الذى لم يتعده فعله إلى مفعول .

هذا باب الفاعل الذى يتعداه فعله إلى مفعول .

وفرق بين أن يعبر سيبويه بقوله مسند

ومسند إليه فى مرة واحدة وبين أن يلتزم ذلك كما يدعى الدكتور .

ونرجع إلى دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجانى فنجد فيه حذف المبتدأ ص ١١٢ — ويتحدث عن الخبر فى ص ١٣٢ فيقول : خبر هو جزء من الجملة لا تتم الفائدة دونه وهو خبر المبتدأ كمنطلق فى قولك زيد منطلق .

ويقول فى ص ٨٣ فى التقديم والتأخير — كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك : منطلق زيد وضرب عمرا زيد .

ولو رجعنا إلى كتب أبى العباس المبرد وهو من النحويين المتقدمين لم نجد فيها إلا هذه الاصطلاحات المعروفة مبتدأ وخبراً ، وفعلا وفاعلا فقد فرق حديث الابتداء فى المقتضب على هذه الصفحات : ١٢٥ ، ٢٥٠ ، ٣١٤ ، ٣١٨ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٤٠٦ ، ٤٥٤ .

وفرق الحديث عن الفاعل على هذه الصفحات : ٣ ، ١٣٢ ، ١٥٩ ، ٣٢١ ، ٣٤٣ ، ٣٨٣ .

ولم يذكر مرة واحدة لفظ مسند ومسند إليه .

وكذلك فعل فى كتابه الكامل ـ رغبة الآمل ٣ / ٢٠٢ فهل يقال بعد هذا : إن المتأخرين ابتدعوا هذه الاصطلاحات ؟.

٥ ـ عرض النحويون لمواضع حذف المبتدأ والخبر ويرى الدكتور أن ذلك إنما كان خضوعا لشكلية منطقية هى تحتم وجود الموضوع والمحمول معا حتى يمكن القضية أن تكون قضية ص ١٥٨ - ١٦٥ .

ويذهب الدكتور إلى ضرورة القول بوجود نوع من الجملة العربية الإسنادية ذات الركن الواحد ص ١٥٩ .

ويرى فى نيابة الجار والمجرور عن الفاعل أن الإسناد هناك فعلى ذو ركن واحد ٢٦٤ .

كما يرى ذلك فى نحو لست بقائم ص ٥٤ .

واعتقادى أن نقد الدكتور هنا نقد شكلى لا يمس الموضوع فما زلنا فى حاجة إلى معرفة المواضع التى يكون الإسناد فيها ذا ركن واحد حتى نقيس عليها ونتكلم على نهجها .

والنقد الموضوعى لهذه المواضع أن يستقرئ دواوين العرب ليرى هل استوعب النحويون جميع الأنواع أو فاتهم شىء منها فيستدرك عليهم .

أما حديثه عن الجملة ذات الركن الواحد ، فهو كلام لا غناء فيه ، ثم إنه مسبوق فى هذا بكلام الأستاذ إبراهيم مصطفى الذى قال إن النحاة لم يعرفوا الجملة الناقصة ، وقد ذكرناه فيما مضى .

٦ ـ يعترض الدكتور على كلام النحويين فى تقديم المبتدأ والخبر فيقول فى ص ١٥٧ إن ما يخشاه النحوى من التباس المبتدأ بالخبر ليس أمراً ذا بال لدى المتكلم الذى لا يشعر

حتى بفكرة إسناد المبتدأ للخبر أو الخبر المبتدأ ، وقد يدرك المتفلسف الفرق بين إسناد الأخوة لزيد فى المثال . زيد أخوك . وبين إسناد زيد لأخوك فى المثال أخوك زيد ولكنى أشك فى إدراك المتكلم أو عنايته على الأقل بمثل هذا الفرق . هذا مثال آخر لانشغال النحوى بقاعدته ومدى حساسيته بها وهى حساسية بالغ فيها حتى أهمل تقدير الجوانب الواقعية فى الاستعمالات اللغوية .

وردنا على الدكتور أن نقول له إن العربى قد راعى هذا الأمر فالتزم تقديم المبتدأ على الخبر إن خاف اللبس بأن صلح كل منهما أن يكون مبتدأ أو خبراً قال زياد الأعجم .

فَبَيِّلة خيرها شرها
وأصدقها الكاذب الآثم

الأغانى ١٥ / ٣٩٣ طبع دار الكتب

فقدم المبتدأ ولو قدم الخبر هنا لاختلف المعنى ولما قامت قرينة تميز المبتدأ من الخبر قدم حسان الخبر فى قوله :

قبيلة الأم الأحياء أكرمها
وأغدر الناس بالجيران وافيها

ديوان حسان / ٣٥٢

وبيت حسان نظير شاهد النحويين :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا
بنوهن أبناء الرجال الأباعد

٧ — يتحدث الدكتور عن لغة أكلوم البراغيث فيقول ص ١٥٢ وضع النحاة قاعدة للمطابقة بين طرفى الجملة إحداهما للجملة الاسمية والثانية للجملة الفعلية فقد دلوا إنها لازمة فى الأولى بين المبتدأ والخبر وبأنها ممتنعة فى الثانية إذا كان الفاعل أو نائبه مثنى أو جمعا حيث يتحتم فى هذه الحالة بقاء الفعل فى صيغة المفرد ولم يكن النحاة فى هذا التفريق محكومين بالواقع اللغوى بمقدار ما كانوا محكومين باعتبارات فلسفية لا علاقة لها باللغة .

كنا ننتظر من الدكتور أن يرجع إلى الأدب العربى ويثبت أن لغة أكلوم البراغيث شائعة كثيرة ويذكر لنا شواهد لم يتعرض لها النحاة وقد عرضت لهذا فى كلمتى السابقة. ثم إن سيبويه تكلم عن أحكام المطابقة فى هذه الصفحات ١ / ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ فلم يأت المتأخرون بجديد .

أعرب النحويون قوله تعالى: «أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم» بأن جعلوا أراغب مبتدا وأنت فاعل سد مسد الخبر ولم يجيزوا أن يكون مبتدأ وأراغب خبره لما يلزم على ذلك من الفصل بين الخبر ومعموله بالأجنبى وهو المبتدأ . لم يرتض الدكتور هذا الإعراب وأخذ يتحدث عن عدم واقعية التفكير النحوى فى ص ١٥٥ - ١٥٦ ونقول له : إن الفصل بالأجنبى بين العامل ومعموله ممنوع عند النحويين فى أبواب كثيرة دل على ذلك الاستقراء .

وينظر المقتضب ٣١٥ - ٣٨٣ - ٤٠١ - الخصائص ٣ / ٢٥٥ - ٢٥٦ أمالى الشجرى ١ / ١٤٠ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ مغنى اللبيب ٢ / ١٢١ البحر المحيط ١ / ٢٧٤ .

فإذا أراد الدكتور أن ينقض هذه القاعدة فعليه أن يأتينا بشواهد من كلام العرب .

٨ — يتحدث الدكتور عن استتار الضمير فيقول فى ص ٧٦ - ١٥٨ : إنما قالوا بذلك خضوعا للقضية الفلسفية .

ولقد كفانا الدكتور مئونة الرد عليه فقد قال هو باستتار الضمير فى موضعين من كتابه ونسى ما ذكره هنا قال فى ص ١٠٦ يجب أن تشتمل جملة الصلة على ضمير يعود على الموصول ويسمى بالعائد ولا بد أن يتفق مع الموصول فى الجنس والعدد جاء الذى قام - جاءت التى قامت وقال فى ص ١٣٨-١٤١ : لابد أن تحتوى جملة الخبر على ضمير يعود على المبتدأ ويسمى بالرابط .

٩ — تشكك الدكتور فى تعريف الضمير واسم الاشارة فقال فى ص ١١٧ ولابد لنا أن نسلم بأن التنكير بمعنى عدم تعيين الكلمة لمدلول معين بالذات جزء من معنى كل الكلمة مهما كانت درجتها من التعريف وذلك لأن كل كلمة تصلح لأن تطلق على أكثر من ذات واحدة وضمير المتكلم والمخاطب وأسماء الإشارة وهى من أعرف المعارف لاتدل على معين فكلمة أنا وأنت مثلا تصلح لى ولك ولأخى ولأبى ولأبى بل ولالالة على ملايين من المتكلمين .

إذا قلت يا دكتور أنا مجدد النحو فأنا هنا لا تطلق على غيرك ولا يراد بها أحد سواك .

١٠ — يقول الدكتور عن لات ص ١٨٧ . وعندنا أن لات مكونة من لا واسم الإشارة ثى الذى يختص بالمؤنث وهذا أمر تاريخى تطور إلى الكلمة لات ... ولات بوصفها الحالى لا تزال تتضمن معنى اسم الإشارة المؤنث ولهذا يشترط فيها عدم ذكر اسمها لأن هذا الاسم فى الواقع هو مدلول جزء الكلمة الذى كان فى الأصل اسم إشارة لمؤنث وهو التاء وذلك مثل ولات حين مناص .

وهذا التطور التاريخى لا دليل عليه يا دكتور إنما يعتمد على الحدس والتخمين ويعجبنى فى مثل هذا رد أبى على الفارسى على الفراء فى دعوى عائلة بقوله : هذا لا يعرف إلا بوحى أو خبرنى خزانة الأدب ٣ - ١٧٩ .

وقول الرضى أيضا فى شرح الكافية ٢-٣٧ كل ذا قريب من دعوى علم الغيب .

ثم إن الكثير فى لات أن يذكر معها الخبر وقد يذكر معها الاسم وقرئ فى قوله تعالى : «ولات حين مناص» برفع حين.

ويرى الدكتور أنه لا مانع من أن يرفع

الفعل لفظين يدلان على الفاعل فتكون الألف والتا. فى نحو ضربتا فاعلين وتكون تاء التأنيث فى نحو ضربت فاطمة فاعلا وفاطمة فاعلا أيضا.

ويرى أنه لو جعلنا الألف فى ضربتا وتاء التأنيث والتأنيث فى ضربت حرفين لوجب أن نجعل الضمائر كلها حروفا. ٧٥ - ٧٦.

ولعل مما يطيب خاطر المشتغلين بالدراسات النحوية أن الدكتور أيوب لم يقصر طعنه على النحو العربى وإنما تناول الثقافة العربية كلها بالطعن.

قال فى مقدمة كتابه: فالنحو العربى شأنه فى ذلك شأن ثقافتنا التقليدية فى عمومها يقوم على نوع من التفكير الجزئى الذى يعنى بالمثال قبل أن يعنى بالنظرية.

ولست أدرى ماذا يقصد الدكتور بالتفكير الجزئى هل يريد أن يجدد دعوة رينان الفرنسى فى طعنه العقلية السامية بأنها عقلية مفرقة تتناول الجزئيات ولا تصل إلى الكليات - أم ذا يريد؟.

ويباهى الدكتور ببحوثه وباتصاله بقادة الفكر الغربى فيقول فى مقدمته: وكم كنت أود لو أنصف القائمون على شئون الجامعات فى بلادنا فأولوا الأبحاث الجديدة بعض ما يولون جداول الدروس من أهمية وكم كنت أود وقد تهيأت لى ولعدد من زملائى فرصة الاتصال الطويل ببعض قادة الفكر اللغوى المحدثين أن تمكن لنا شكليات المناهج والنظم الجامعية من إنتاج يتفق مع ما أنفقته الدولة علينا من مال وما حصلنا من خبرة.

وكم كنا نود نحن أيضاً أن تكون بحوث الدكتور مرتكزة على سعة الاطلاع والنظرة الفاحصة فى أصول كتب النحو وليست قائمة على الحدس والتخمين والنظرة الخاطفة فى ابن عقيل والأشمونى.

وهذا النحو الذى يحقر شأنه الدكتور ويزدريه قد نوه بشأنه وأعلى مكانته كبار المستشرقين. والعجيب أن الدكتور يباهى بأن تهيأت له فرصة الاتصال ببعضهم وسأقتصر على كلام اثنين من المستشرقين.

قال دى بور المستشرق الهولندى فى كتابه تاريخ الفلسفة فى الإسلام ترجمة الدكتور أبى ريدة ص ٤٠:

علم النحو أثر رائع من آثار العقل العربى بما له من دقة فى الملاحظة ومن نشاط فى جمع ما تفرق وهو أثر يرغم الناظر فيه على التقدير له ويحق للعرب أن يفخروا به. وقال المستشرق الألمانى يوهان فك فى كتابه العربية ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ص ٢:

ولقد تكفلت القواعد التى وضعها نحاة العرب فى جهد لا يعرف الكلل وتضحية جديرة بالإعجاب بعرض اللغة الفصحى وتصويرها فى جميع مظاهرها من ناحية الأصوات والصيغ وتركيب الجمل ومعانى المفردات على صورة محيطة شاملة حتى بلغت كتب القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد.

قواعد النحو هى سبيلنا الوحيد لضبط كلام العرب والتحدث بالعربية وإننا - مع شدة حاجتنا إليها - على استعداد لأن نتخلى عنها ونتناساها إذا استطاع دعاة التجديد أن يبتدعوا لنا قواعد أيسر منها تغنى غناءها وتسد مكانها .

أما أن يكون منتهى ما يصل إليه التجديد استبدال اصطلاح خفى بآخر جلى فذلك مالا نقبله منهم وليس بين اصطلاحات النحو ما هو أصرح وأوضح من المبتدأ والخبر والفعل والفاعل ولكن السادة المجددين لا يبصرون ذلك .

وفى تعب من يحسد الشمس ضوءها
ويجهد أن يأتى لها بضريب

ولسنا - والحمد لله - متعصبين لنوع معين من القواعد وقد قلت فى كلمة سابقة : إن النحويين ليسوا معصومين وأن باب الاجتهاد فى النحو ما زال مفتوحا على مصراعيه ونقلت نصوصا صريحة من القرن الرابع والثامن فى ذلك وإنى أعجب من أن يتحدث الأستاذ إبراهيم مصطفى فى تقديمه كتاب الدكتور أيوب عن سد باب الاجتهاد فى النحو وما قال بذلك أحد وما وقفنا عليه فيما بين أيدينا من كتب النحو .

والاجتهاد الذى ندعو إليه ونحض عليه لا نتمنى له سوى أن يكون ثمرة دراسات واسعة وقراءات فى أصول كتب النحو وتتبع لأساليب العرب .

محمد عبد الخالق عضيمة

(بقية المنشور على ص ١٠٠٣)

وقد نقل صاحب العمدة العبارات بنصها عن ابن سلام الجمحى [٢] .

ثم قال الشيخ حمزة ، فى موضع آخر ، « وبعد : فلسنا نحجر على ممن فى المعانى أو نقاد للمبانى إمكان التماس ما يدفع ما قلناه ، أو العثور على محاسن للمفضول تربى على محاسن الفاضل ، فيصير المفضول فاضلا ، وبالعكس ، لأن هذا مجال واسع ، وإنما المراد هداية الطلبة إلى كيفية سلوك هذه الفجاج ويرحم الله عبد الرحيم الفاضل ، إذ قال فى بعض رسائله مامعناه : إنه قلما يوجد كاتب أو شاعر أو مؤلف أو مصنف يقرأ اليوم ما كتبه أمس إلا ويقول: ليت كذا كان كذا . إلخ والكمال لله تعالى وحده ولمن كملهم من خليقته ، فليكن ذلك منك على ذكر » .

قلت . والأمر قريب من قريب ، والذى نستطيعه فى مثل هذا الموقف أن نتجرد عن الهوى ، وأن نطيل إمعان النظر ، وأن نهتدى بآراء من سبقونا فى هذا الشأن والتوفيق من الله .

(الحديث بقايا)

على العمارى

---

[٢] العمدة ط ص ٧٦ ، الطبعة الأولى

النفقة وصلتها بقانون الوضع الجديد

للأستاذ عباس طه

بقية المنشور فى العدد الماضى

فلو كان للولد جد لأب وأخ شقيق فنفقته على الجد ، ولو كان له جد لأم وعم فنفقته على الجد لأم . فإن كان كل من الأصول والحواشى وارثا يعتبر الإرث وتجب عليهم النفقة على قدر أنصبائهم فى الإرث . فلو كان للصغير أم وأخ عصبى أو أم وابن أخ كذلك أو أم وعم كذلك فنفقته عليهما أثلاثا : الأم الثلث وعلى العصبة الثلثان .

فإن غاب الأب وله أولاد ممن تجب نفقتهم عليه وله مال عندهم من جنس النفقة جاز للقاضى أن يأمر بالإنفاق منه عليهم ، وكذلك الحال إذا كان للغائب مال مودع عند أحد أو فى بعض المصارف المالية أو كان له دين من جنس النفقة وأقر المودع عنده أو المدين بالمال أو لم يقر وقرائن المشاهدات قائمة على وجود تلك الوديعة عند المودع وبالدين عند المدين بواسطة صكوك ومستندات تثبت ذلك .

أما إذا كان مال الغائب ليس نقودا من جنس ما يحكم به بأن كان عقارا أو عروضا فلا يباع منه شىء بالنفقة ، بل تؤمر الأم بالاستدانة عليه للأولاد . لكن حقق صاحب ملتقى الأبحر وصاحب كتاب أنفع الوسائل أن للقاضى فى هذه الحالة أن يقدر الملابسات المحيطة بتلك الحالة الواقعة . فإذا تعذر استدانة الأم على العقار أو العروض وتحققت حالة استثنائية وهى خشية تعرض الأولاد للجوع والفاقة ، جاز أن يباع العقار وأن تباع تلك العروض بالقدر الذى يدفع عن الأولاد غائلة المخمصة ، والضرورة تقدر بقدرها ، بدليل أن الفقهاء أجازوا فى بعض الحالات للولد الذى لم يبلغ حد الكسب أن ينفق من مال أبيه الغائب إذا كان هذا المال من جنس النفقة على قدر كفايته من غير رجوع فى ذلك الى قضاء القاضى .

وتبدو رحمة الشارع الحكيم مقرونة بالعدل الشامل فى حالات كثيرة من أبواب النفقة كحالة ما إذا كان الولد الفقير معسرا وله أب غنى ، فقد أوجب نفقة زوجته على أبيه الموسر إذا ضمنها فى العقد ، وأوجبها عليه إطلاقا على أن يرجع بها على ولده إذا أيسر ، لأنها تكون دينا فى ذمته لا تبرأ منها إلا إذا أداها بعد يساره فإن بلغ حد الاكتساب فإن كان ذكرا جاز للأب أن يؤجره على ما يحتمل ممارسته من الأعمال ، أو يدفعه إلى حرفة ليكتسب بها . وذ ذاك ينفق منها أبوه عليه ، وما بقى من كسبه يحفظه أبوه

ليسلمه له بعد بلوغه ، وإن لم يف كسب الغلام بمرافقه الضرورية كان على أبيه الموسر إتمام كفايته منها . وإذا استغنت الأنثى كذلك بكسبها من الحياكة أو الغزل مثلا أو نحوهما فنفقتها فى كسبها إن وفى بحاجتها ، وإن قصر كسبها عن شئونها الضرورية فعلى أبيها إتمامها. وإن شكت الأم امتناع الأب عن الإنفاق أو التقتير على ولدها منه جاز للقاضى أن يفرض النفقة ويأمر بإعطاء الصغير لأمه لتنفق عليه حتى إذا تحققت خيانتها فى الإنفاق عليه تحرى القاضى أمثل الطرق فى إيصال النفقة إلى الولد.

وهنا يرى بعض الفقهاء أن تسلم النفقة إلى الأم وجبة بعد أخرى من وجبات اليوم ، أو تسلم لها النفقة على دفعتين فى اليوم ، واحدة فى الصباح وأخرى فى المساء. لكن ما عليه عمل المحاكم اليوم هو غير ذلك كما هو مشاهد ، لأن فى عمل المحاكم تيسيرا أعم على الناس وترفيها لهم أخلق بالمصلحة من هذا الرأى ، فإن وقع الصلح بين الأم وزوجها على الأولاد فيما يتعلق بالإنفاق عليهم أو صالحت الحاضنة أبا الصغير عليه لذلك ، وقع الصلح صحيحا فى حالة واحدة وهى ما إذا كان المصطلح عليه قائما بكفاية الأولاد ، أما إذا كانت غير داخلة فى تقدير أسقطها القاضى من حساب الصلح وفرضها بالقدر الملائم ، وإن كان القدر المصالح عليه أقل من نفقة الكفاية زادها القاضى إلى ذلك القدر الذى يكفيهم .

وعليه يتفرع حال آخر وهو ما إذا قضى القاضى للزوجة على زوجها أو للحاضنة على أب الصغير أو أحد قرابته الواجب عليه نفقته فهى فى حكم نفقة الزوجة فى عدم سقوطها بمضى شهر فأكثر من تاريخ الفرض حتى ولو فرضت بغير استدانة من القاضى ، وعليه عمل كثير من المحاكم الآن ، وهو الأرفق بمصالح المتقاضين وأمس بحاجاتهم المتجددة بخلاف سائر المحارم. فإن فرض القاضى تلك النفقة للصغير على أبيه ومضت مدة دون أن تقتضيها الأم من الأب حتى مات فإن كانت مستنداته بأمر القاضى كان للأم الرجوع بها فى تركة أبيه كما يرجع بها عليه لو كان حيا ، فإن لم يقض القاضى باستدانة هذه النفقة وكان فى ذمة والد الصغير متجمد حتى مات ، سقط هذا المتجمد ولم يجز للأم أن تطالب به ورثة الميت . فلما تطور التشريع فى الأحوال الشخصية وروعى قدر الإمكان ما يجب للأسرة من حرمة ، عنى المشترعون بإيجاد ضوابط كانت أوسع نطاقا ، وأكثر تيسيرا وأفضل تحريا لصوالح الأسر وحياطة الأحوال الشخصية بسياج قوى يكفل لها الخير فى أوسع حدوده ويدرأ الشر فى أضيق صوره .

عباس ناجى
المحامى

مختار من الشعر القديم والحديث

في الطريق الى الله:

شاطئ التوبة

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

وشاطئٌ في يديه كفّارةٌ للخطايا
ذهبتُ يوما إليه بأدمعي وشقايا
وبالمعاصي اللّواتي دفنتُها في حشايا
وبالذنوب اللواتي صحبتها في سُرايا
ورحتُ ألقي لديها نَبَتْلي وهُدايا
فصرتُ قبراً غريبا تناهشَتْه المنايا
زفوا عليه غصونا منضّرات صبايا
وحمّلوه طيوراً أنغمتها من غنايا
وصرتُ بعضَ صلاة تضم بعضَ الخطايا
وتوبة في خُطاها تمشي الذنوبُ عرايا
كأنها من خفا. الإثم صارت مطايا
أو أنها من رياً. أضحَتْ لديه مرايا
ذهبتُ يوما ونفسي جريحةٌ تتعايا
وللمعاصي عُواءٌ مدمدمٌ في الحنايا
كأنه صوت ذئب تغافلته العشايا
أو فحّ أفعى شوتها من الهجير شظايا

أو نوحُ ثكلى أهاجتْ لها الليالي حفايا
أو وخزةٌ من ضمير للإثم فيه بقايا
أو صرخةٌ من يتيم تلمّسَتْه الرزايا
حملتُ هول المنايا وكأني حملتُها .. وكأني
وجئت ندمان أزجي إلى المتاب خطايا
حيران ضلّ أمامي وضلّ خلفي ورايا
وضل أفقي. وضجّتْ أرضي له وسمايا
أبكي، وتبكي، ويبكي دمعي، ويبكي بُكايا
وفي يديّ غناءٌ مُوّلولٌ من أسايا
وحفنةٌ من دعاءٍ غرفتُه من دمايا
مُغمغمٌ في صباحي مُزمزمٌ في دُجايا
كأنه صوتُ رؤيا سجينة في الخفايا
أو حزنُ طيرٍ غريبٍ في الليل ينفخُ نايا
أو مُستجيرٌ تلبي صداه نفسُ الرّبايا
أو مستغيثٌ عليه يرد صوتُ البلايا
أو ضارعٌ في زوال دعاؤه من دعايا

هذى أنا . . صوت تحطم فى حواشيه الصدى
وسراب دنيا من خيالات تلقّفها الردى
وحطام سوسنة تلاشى العطر فيها والندى
ودموع ليل أطفأت فيه الدياجى فرقدا

أأعيش عمرى فى ضباب الوهم بلهاء الرجاء ؟
كالطيف لاغدَ لى . ولا ماضٍ أخلّفه وراء ؟
يا للجراحات التى تمتصّ أعماق الظماء !
وتلفّنى فى ليل آلامٍ جريح الكبرياء !

العشب فى صدر الحقول طفولة متناغية
والزهرة الغيداء بنت الدوحة المتهادية
والموجة العذراء همس اللجة المترامية
لِمَ لمْ أكن حقلا خصيباً أو سماء هادية ؟

لمَ لمْ أكنْ أمّا أرقّص مهد طفلى فى مراح
وأهزّه حتى ينام معطّرا برؤى الصباح
أهيم فى حلم شفيف الومض رفاف الصداح
جذلانة الآفاق تعزف لحن أفراح الرياح ؟

أنا سوف أحيا فى فضاء العش تائهة الحنين
تتراكض الآهات فى صدرى ويخنقنى الأنين
لكننى سأعيش حالمة بأشواق السنين
بصغيرىَ المنشود . أو أقضى معفرة الجبين

محمد أحمد العزب
كلية اللغة

« بقية شاطىء التوبة »

يقول يا رب هذا إثمى وهذا نقايا
وذاك دَرْبى وهذى على الطريقِ عصايا
ماكنت أعمى . . ولكنْ أعمى المغنى شجايا
دقّ الدفوف . . فطارتْ أرضى له وسمايا
وطرتُ عبداً ، أنادى فى سحره مشتهايا
رحماه عفوكَ . . إنى للنور مُدتّ يدايا
بسطتُ للنور قلبى وجئتُ ألقى هَوايا
وأشتكى طىّ صدرى دربا سحيق الطّوايا
به بدأتُ . . . ولكنْ لم أدرِ ما منتهايا
لم أدرِ يأسِىَ فيه ولا عرفت رجايا
ولا عرفتُ ذنوبى ولا عرفت هدايا
ولا عرفتُ ظلامى ولا عرفتُ ضحايا

ولا لغيركَ . . درّى يا ربّ يوماً ندايا
إليك أنت صباحى مصفّدٌ ومسايا
عَبْدان فى الذلّ تاها ونهْنهَا بالخطايا
فاسكبْ ضياءك إنى ظمآن ضلّ صدايا
لم أدرِ . . من أى نبْع أسقى الأسى من أسايا
والشطّ . . لا ماء فيه يُطفى اللظا فى حَشايا
رُحماك . . يا رب إنى وزورقى والخطايا
فى لُجّة . . ليس فيها من الضياء بَقايا
جفتْ وغاضت ولكنْ ما زالَ فيها رَجايا
غفرتَ أم لمْ . فإنى مازلت أدعوك يا يا(١)

محمود مسعد إسماعيل

(١) يارب ـ يارب .

خواطر عاقر

للشاعر محمد أحمد العزب

جن المساء ، ولم أزل حيرى على الدرب البعيد
أتلمس الدفء الحنون يشع من عينى وليد
وأكاد أنتهب الخطى للفجر . . للأمل الشهيد
لكننى أبداً أعود وفى يدىّ صدى النشيد

جن المساء . ولم يزل مهد الصغير . بلا صغير
لا شىء غير حطام أمنية هناك على السرير ! !
وضباب أشواق ممزقة الأغانى والعبير
وطيوف آمال مبعثرة على العهد الوثير

عينان ترتعشان فى الأفق المنمنم بالنجوم
وأنا أصيخ إلى بكاء صغير جارتنا النئوم ! ! !
وأحس لذع النار فى قلبى . . وولولة الغيوم
فأصم سمعى دونه وأضيع فى حلك الهموم

أبدا يحوّم خلف أستار النوافذ خاطرى
متنقلا بين المهود البيض مثل الطائر
فيضمها بجناحه الرفاف ضمـــة عابر
ويعود يختنق اللهاة بدمعه المتناثر

وأنا مخبّلة العواطف أرهف الحرمانُ حسى
إن لاح لى طفل ظمئت إلى ابتسامته بقلبى
ورأيت فى عينيه أشواقى . وأشواكى وجدبى
وصراخ أيامى المهيض يهز آفاقى ودربى

قلبى الذى أودى به الحرمان مشدود إليه
وخريف أحضانى المبعثر فى الثرى باك عليه
ويداى باحثتان فى ليل الشرود على يديه
لو كان لى . . لأرقت أيامى ضراعات لديه

لكننى أصحو . وأغفو . وهو ما زال ظنونا
أتراه يسرف فى الدلال لكى أزيد به جنونا
إنى أحبك ياصغيرى خاطرا ، حلوا ، حنونا
أفلا أحبك ملء أحضانى تناغينى اللحونا

يهواك لو أقبلت رفّاف العواطف والشعور
تنساب فى بسماتك العذراء أسرار العصور
لنثرت فوق دروبك البيضاء آلاف الزهور
ومهدت من قلبى لوثبك ملعباً ضاحى البكور

أم يا ترى أنى أنا غم فيك وهما ضائعا ؟
وأعيش منك على ربى الأحلام حلما دامعاً
يعوى الفراغ بقلبىَ الذاوى رهيبا جائعاً
وأنا هنا ... قبس يغالب فى الدجون زعازعا

هذى أنا . . صوت تحطم فى حواشيه الصدى
وسراب دنيا من خيالات تلقّفها الردى
وحطام سوسنة تلاشى العطر فيها والندى
ودموع ليل أطفأت فيه الدياجى فرقدا

أأعيش عمرى فى ضباب الوهم بلهاء الرجاء ؟
كالطيف لاغدَ لى . ولا ماضٍ أخلّفه وراء ؟
يا للجراحات التى تمتصّ أعماق الظماء !
وتلفّنى فى ليل آلامٍ جريح الكبرياء !

العشب فى صدر الحقول طفولة متناغية
والزهرة الغيداء بنت الدوحة المتهادية
والموجة العذراء همس اللجة المترامية
لِمَ لمْ أكن حقلا خصيباً أو سماء هادية ؟

لمَ لمْ أكنْ أمّا أرقّص مهد طفلى فى مراح
وأهزّه حتى ينام معطّرا برؤى الصباح
أهيم فى حلم شفيف الومض رفاف الصداح
جذلانة الآفاق تعزف لحن أفراح الرياح ؟

أنا سوف أحيا فى فضاء العش تائهة الحنين
تتراكض الآهات فى صدرى ويخنقنى الأنين
لكننى سأعيش حالمة بأشواق السنين
بصغيرىَ المنشود . أو أقضى معفرة الجبين

محمد أحمد العزب
كلية اللغة

« بقية شاطىء التوبة »

يقول يا رب هذا إثمى وهذا نقايا
وذاك دَرْبى وهذى على الطريقِ عصايا
ماكنت أعمى . . ولكنْ أعمى المغنى شجايا
دقّ الدفوف . . فطارتْ أرضى له وسمايا
وطرتُ عبداً ، أنادى فى سحره مشتهايا
رحماه عفوكَ . . إنى للنور مُدتّ يدايا
بسطتُ للنور قلبى وجئتُ ألقى هَوايا
وأشتكى طىّ صدرى دربا سحيق الطّوايا
به بدأتُ . . . ولكنْ لم أدرِ ما منتهايا
لم أدرِ يأسِىَ فيه ولا عرفت رجايا
ولا عرفتُ ذنوبى ولا عرفت هدايا
ولا عرفتُ ظلامى ولا عرفتُ ضحايا

ولا لغيركَ . . درّى يا ربّ يوماً ندايا
إليك أنت صباحى مصفّدٌ ومسايا
عَبْدان فى الذلّ تاها ونهْنهَا بالخطايا
فاسكبْ ضياءك إنى ظمآن ضلّ صدايا
لم أدرِ . . من أى نبْع أسقى الأسى من أسايا
والشطّ . . لا ماء فيه يُطفى اللظا فى حَشايا
رُحماك . . يا رب إنى وزورقى والخطايا
فى لُجّة . . ليس فيها من الضياء بَقايا
جفتْ وغاضت ولكنْ ما زالَ فيها رَجايا
غفرتَ أم لمْ . فإنى مازلت أدعوك يا يا(١)

محمود مسعد إسماعيل

(١) يارب ـ يارب .

ما يقال عن الإسلام

الشرق الأدنى الإسلامي

للأستاذ عباس محمود العقاد

أشرفت على تنسيق هذا الكتاب وتوزيع موضوعاته جامعة «تورنتو» بكندا. وأصدرته ملحقا لمجلتها الربعية ، أى التى تصدر أربع مرات فى السنة ، وعمدت فى كتابته إلى ثمانية من علماء الإسلاميات يحاضرون طلبة الجامعات فى مسائل الشرق الإسلامية ، ومنهم سير هاملتون جب المستشرق المعروف وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والأستاذ فيضى الذى كان سفيرا للهند بالقاهرة ووكيلا لجامعة جامو وكشمير ، والأستاذ مانجو رئيس القسم التركى بدار الإذاعة البريطانية ، والأستاذ بكنجهام عميد الدراسات الإسلامية بجامعة مانشستر ، والأستاذ نيازى بركيز عضو معهد الدراسات الإسلامية بجامعة ماجيل ، والأستاذ سافورى الذى يحاضر طلاب جامعة لندن باللغة الفارسية فى الشئون الإفريقية والشرقية . والأستاذ ويكنز مؤلف كتاب (ابن سينا العالم والفيلسوف) والأستاذ كاشا بجامعة أدنبره .

* * *

ومن بحوث هذه المجموعة بحث تكلم فيه الدكتور فيضى عن جوهر التعاليم الإسلامية كما بسطها الشاعر الفيلسوف محمد إقبال والوزير العالم أبو الكلام آزاد ، وخلاصة هذا البحث أن رسالة محمد إقبال تقوم على إحياء سنن الإسلام « الفعال » واجتناب الصوفية « السلبية » التى شاعت بين المسلمين فى عصور التخلف والجمود ، وأن حكمة الإسلام جميعا تتلخص فى الفاتحة كما فسرها أبو الكلام آزاد لأنها خلاصة الإيمان بالربوبية والهداية والأدب القويم والتبعة التى يناط بها الثواب والعقاب فى يوم الدين.

وبحث آخر من بحوث المجموعة يعرض للدعوة الغربية فى الأمة التركية ويشرح الفرق بين المتطرفين فى حركة « الاستغراب » وبين القائلين باقتباس الحضارة الغربية مع الرفق والاعتدال ، ويكاد الباحث أن يرد هذا الفرق إلى مدلول كلمة « ملة » عند الحزبين فإنها تشمل معنى الدين عند المتحفظين فى اقتباس الحضارة الغربية ولا تفيد غير معنى

الوطن أو الأمة عند أنصار « التغرب » المطلق من قيود التحفظ والاعتدال

ويلى ذلك بحثان عن الأدب التركى الحديث ولا سيما أدب القصة ، وعن الأدب الفارسى الحديث ولا سيما أدب الشعر ، ويقترن به بحث آخر عن البلاد الفارسية عامة منذ إعلان الدستور وقيام الحكومة النيابية .

وقد خصصت مجلة الجامعة بحثاً من هذه البحوث للأدب العربى الحديث ، انتهى كاتبه إلى المسائل الدينية التى توفر عليها بعض الأدباء المحدثين ، فكان من رأيه أنها تدل على تجدد الثقة بالنفس بين كتاب العرب المسلمين ، وليست لها صبغة الشعائر والعبادات .

أما البحث الشامل للوجهة العامة بين أطراف الشرق العربى الإسلامى من جميع نواحيه فهو الموضوع الذى قدمت به المجموعة وعهد به إلى السير هاملتون جب فوفاه حقه من الدراسة العلمية مع التزام الحيدة الواجبة فى المسائل السياسية ، وتتجلى هذه الحيدة من تعليق الكاتب على آراء الساسة الغربيين ورجلة المفكرين الاجتماعيين التى يصورون بها « حالة » الشرق الإسلامى بعد استقلال شعوبه عن سيطرة الدول الغربية ثم يبنون عليها تقديرهم لمصير هذا الشرق كما يتصورونه أو يتمثلونه .

فالسير هاملتون جب يرى أن الساسة الغربيين يعتبرون هذه الحالة حالة فراغ ينتظر الامتلاء Vacuum كأنهم يحسبون أن خروج دولة من أحد الأقطار الشرقية يتبعه دخول دولة أخرى أو يظل ذلك القطر « فارغا » لا يستطيع أبناؤه أن يملئوه بنظام يعوضه من النظام الأوربى المفقود .

ومما يدعو الساسة الغربيين إلى هذا التفكير شيوع الاعتقاد بين مراقبى الأحوال فى البلاد الشرقية بانقضاء العهد الذى كان الإسلام فيه « قوة فعالة » فى تكوين النظم الاجتماعية والسياسية ، باعتباره « قسطاسا » مرعيا من الشعائر المعمول بها والفرائض المتبعة والعادات السارية فى شئون المعيشة اليومية .

يقول السير هاملتون : إن هذا التفكير لا يطابق الواقع ؛ لأن المسلم هو المسلم فى رأى نفسه وليس هو المسلم على صبغة يصبغه بها الأجانب عنه حسبما يتصورونه من شعائره وفرائضه وعاداته ، ولا يصح أن نفهم أن المسلمين ابتعدوا عن حظيرة الإسلام وهم أنفسهم يشعرون بأنهم مسلمون يغارون على العقيدة الإسلامية ويريدون البقاء فى حظيرة هذه العقيدة .

يقول : وليس بين البلاد الإسلامية بلد أعلن عن رغبته الصريحة فى الاستغراب أو « التغرب » باستثناء البلاد التركية ، ولكن البلاد التركية أيضا لا تعلن هذه الرغبة

اليوم بتلك الثقة التى أعربت عنها منذ عشرين سنة ، وفيما عدا هذا الاستثناء الضعيف يغلب على أبناء العصر من المسلمين الذين ينقمون على مساوئ العصر الحاضر أن يحملوا الغرب أوزار هذه المساوئ ولا يعلقوا آمالهم فى الإصلاح بمشابهة الغرب والاقتداء بأممه فى جملة أحوالها .

وقد تابع الكاتب مراحل التطور منذ مائة وخمسين سنة فقال إن الأمم الإسلامية - منذ ثلاثة أجيال - مرت بمرحلتين قبل المرحلة الأخيرة ، وهى المرحلة الحاضرة .

فالصدمة الأولى زعزعت دعائم التقاليد الغابرة فانقضت المرحلة الأولى بانقضائها وخلفتها مرحلة النظم الغربية المستعارة ، إلى أن ظهر فشلها فانقضت هى أيضا بانقضاء عهد الأموال الأجنبية .

واليوم يعود الشرق الإسلامى إلى موارده ويقيم مجتمعاته على أسس الاقتصاد الحكومية أو على الأسس التى تنجح المشروعات الشعبية فى إقامتها وتدعيمها ، ولا غنى عن خبرة الصناعة والإدارة ومعونة المثقفين والمستنيرين لتوطيد المشروعات الشعبية .

فالمجتمع الجديد مجتمع غير المجتمع الذى استقر زمنا فى أيدى حكام القرن الثامن عشر ، وغير المجتمع الذى استقر زمنا بمعونة « رأس المال » من الخارج وحاول القائمون به أن يؤسسوه على قواعد النظم الأوربية الحديثة . ويتميز هذا المجتمع الجديد بظهور قوة اجتماعية غير قوة السادة حكام القرن الثامن عشر وغير قوة خلفائهم الذين حاولوا أن ينقلوا إلى الشرق نظم الغرب وأنماطه الحكومية .

هذه القوة الجديدة لا تنزع إلى التخلى من ديانتها كما تفهمها وتشعر بها على الرغم من ظنون الأجانب الذين يقيسون غيرة المسلمين بمقياس الشعائر و « الطقوس » المرعية فإذا استدعى العصر الحاضر تغييرا فى مبادئ المجتمع فإنما هو التغيير الضرورى الذى تفرضه طبيعة العصر ويؤدى إليه اشتراك خبراء الصناعة والاقتصاد ، والتعاون بين هؤلاء الخبراء وبين المستنيرين الكفء لتوجيه الأعمال والاضطلاع بمطالب الحياة الحديثة ، ويختتم السير هاملتون جب بحثه الموجز بهذه العبارة التى نترجمها بحروفها :

قال : « إننى لا أرى أية علامة فى الشرق الأوسط على احتمال قريب لقيام دولة شيوعية ... أو قيام دولة ديمقراطية من طراز أية دولة غربية ، ولا بد لكل هيئة من هيئات الحكم فى العالم العربى يراد لها الاستقرار المعقول أن تجمع بين إرضاء الشعور العربى والشعور الإسلامى فى وقت واحد » .

عباس محمود العقاد

الكتب

نقد وتعريف

بقلم — محمد عبد الله السمان

١ — منهج التربية فى القرآن :

للأستاذ محمد شديد .

نشرت هذا الكتاب فى حوالى ٣٧٠ صفحة مكتبة الآداب بالقاهرة ، وقد جعله المؤلف فى حوالى عشره أبواب تناولت فى إطناب :

الرعيل الأول الذى تربى فى المدرسة الأولى فى دار الأرقم ، هذه المدرسة التى خرجت قلة من الناس ، أسس بها رسول الله فيما بعد خير أمة أخرجت للناس ، أنشأت حضارة وإنسانية .

وفى الباب الثانى : تحدث عن منهج الفطرة فالنفس البشرية حصن أحكمت أقفاله ، ولغز معقد حيّر الفلاسفة ، وعمل القرآن الأول ، هو رد هذه النفس البشرية إلى فطرتها السليمة وتحريرها مما علق بها من أوضار الوراثة والبيئة .

وفى الباب الثالث : تحدث المؤلف عن منهج المعرفة والعلم فالمنهج القرآنى فى التربية يقوم على الإيمان بحقيقة الوحدة فى الكون ، وحدة الإله المعبود ، ووحدة النظم والنواميس التى تشمل كل ما فى الكون ، ثم وحدة القوة ، والأمم والمنشأ والمصير ، هذه الوحدة الشاملة هى أساس العقيدة فى القرآن .

ثم تحدث عن منهج الفكر ، فالقرآن كان فتحا جديدا فى تاريخ الفكر : حرر العقل ، وأعلن الثورة على التقاليد والأهواء ورجال الدين .

وتحدث المؤلف عن منهج العبادة ، فمدلول العبادة فى القرآن شامل لا يقتصر على الفرائض لأن الحياة فى منهجه وحدة ، كل ما فيها لله ، لا يفصل بين طريق الدنيا ، وطريق الآخرة .

ثم تحدث عن منهج الدعوة والداعية ، والدعوة هى الإسلام ـ والداعية هو رسول الله صلوات الله عليه ، وكيف استطاع الداعية مستعينا بدعوته ـ أن ينقل جيلا من الناس من حياة استقرت فوق الحضيض ، إلى حياة استقرت فوق الثريا .

وتحدث عن ميزان القيم ، فالقرآن منهج حياة متكامل ، تنبثق أخلاقه وعباداته

وشرائعه من عقيدته ، فهي الأصل ، ومن ثم جعلها ميزانا لأقدار الناس وقيم الحياة .

ثم ختم كتابه فتحدث عن التربية في ظل الأحداث ، فقد كان أسلوب تنزيله أساسا لنجاح التربية وعمق أثرها في النفوس ، جعل من كل هزيمة عبرة ، ومع كل نصر درسا ، ولكل موقف تحليلا .

لقد بذل المؤلف مجهوداً مشكورا في مؤلفه ولكن موضوع الكتاب كما هو واضح من عنوانه دراسة موضوعية ، إلا أن المؤلف - وإن كان أحسن اختيار عناصر موضوعه - كان ينقصه أن يجعل القرآن يستأثر بالدور الأول في المنهج التربوي . ففي الفصل الأول « جولة مع الرعيل الأول » وقد استنفد حوالي ثمانين صفحة ، لم يكن ربط هذا الرعيل بتربية القرآن واضحا ملموسا ، كما كان مثلا ملموساً في الفصل الأخير « التربية في ظل الأحداث » . وقد أكثر المؤلف من إيراد القصص التي لا تتصل بموضوعه ، كما أن أوجه المقارنة بين منهج القرآن في التربية ، وبين غيره مما لم يعن به المؤلف ، كما أن المؤلف اعتمد على تخريج الأحاديث في كتب التفسير ، دون ما نظر إلى درجتها من الصحة والضعف ، وقد ذكر من مراجعه ، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للمودودي ، وهو لأبي الحسن الندوي وجهد المؤلف بعد ذلك مما يحتم علينا تقديره وتكرار الشكر لدراساته .

٢ — المعاملات الحديثة وأحكامها :

لصاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن عيسى

المؤلف هو أستاذنا مدير تفتيش العلوم الدينية والعربية بالأزهر . والكتاب عرض موجز لحكم الشرع في المعاملات الحديثة ويكاد يعتبر هذا الكتاب الأول من نوعه - كما يقول فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الجامع الأزهر في تقديمه له ، إذ اسوعب جميع المعاملات الحديثة على وجه التقريب ، وهي بين أخذ ورد وإجازة ومنع بين فقهاء المسلمين قديما وحديثا .

في مدخل الكتاب بحث « عن الربا وأنواعه ، أحاط به إحاطة دقيقة ، وأوضح منهج المؤلف في هذا الكتاب بالنسبة لمشكلة الربا ، ثم تناول الكتاب البنوك بأنواعها ومعاملاتها ، ثم تناول صندوق التوفير بالبريد ، وأجاز شرعا التعامل معه ، باعتبار هذا التعامل مضاربة والمضاربة جائزة شرعا .

أما الشركات بشتى أنواعها . فقد عرضها الكتاب عرضا جيداً ، وألم بحقيقتها إلماما عميقا ، فالشركات نوعان : شركات الأشخاص ، وتشمل هذه الأشكال القانونية : شركات التضامن ، التوصية البسيطة ، المحاصة ، ويرى

المؤلف الجواز شرعا فى جميعها ، أما النوع الآخر ، فهى شركات الأموال ، وتشمل هذه الأشكال القانونية أيضا : شركات المساهمة ، التوصية بالأسهم ذات المسئولية المحدودة ، وجميعها جائز شرعا ما دامت تمارس عمليات تجارية وصناعية ، ولا تمارس عمليات الإقراض والاقتراض بالربا .

وتناول الكتاب بعد ذلك الجمعيات التعاونية بشتى أشكالها واتجاهاتها ، وهى جائزة شرعا ، ثم تناول بورصة الأوراق المالية ، وسندات قرض الإنتاج ، وهى من الأعمال المباحة شرعا ، ثم تناول أوراق اليانصيب ، وأوراق يانصيب السباق ، وأباح الأول وحرم الآخر لأنه نوع من الميسر ، وتناول بعد ذلك عمليات التأمين بأنواعه . وحكمه الجواز شرعا ، وختم المؤلف كتابه برأى الإسلام فى المزارعة وشركة المواشى وهو الجواز أيضا .

هذا عرض سريع للكتاب وهو مجهود شاق بذله فضيلة أستاذنا فى تعرف حقائق هذه المعاملات ـ كما يقول فضيلة الشيخ ابراهيم البرمبالى أستاذ التفسير بكلية أصول الدين فى كلمته عن الكتاب أيضا . والواقع أن الكتاب وضح فيه سعة أفق المؤلف وإلمامه الواسع بهذه الموضوعات الشائكة ، كما وضح جرأته فى الحق ، وكان جميلا من فضيلته إيراده لشبهات حول الشركات والتأمين ورده لهذه الشبهات . .

وبقى بعد ذلك أن نقول : إن مثل هذا الموضوع الدقيق الشائك كان فى حاجة إلى إسهاب وتبسيط ، ولعل ارتباط فضيلته بمنهج مقرر حمله على هذا الإيجاز لتيسير مدخله على الطالب وفضيلة المؤلف اضطر إلى الاعتماد على القياس فى كثير من مناقشاته للموضوع ، لاسيما وأن معظم مسائله من المستحدثات .

ولفضيلة المؤلف بعد ذلك تقديرنا ، فقد سد كتابه فراغا طال أمده فى دراسة المعاملات الحديثة على ضوء الإسلام .

وقد قدرت الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر مكانة هذا الكتاب فقررت توزيع عدد كبير منه على الأقطار الإسلامية للانتفاع به .

* * *

٣ — الإسلام دين ودنيا :

للأستاذ عبد الرازق نوفل

هذا الكتاب الخامس من سلسلة « مع الإسلام » التى تصدرها مؤسسة المطبوعات الحديثة بالقاهرة والمؤلف معروف فى الأوساط الثقافية والإسلامية ببحوثه التى لفتت الأنظار ، والتى تربط بين الإسلام

والعلم الحديث فهناك : القرآن والعلم الحديث ، الإسلام والعلم الحديث . الله والعلم الحديث ، ثم المسلمون والعلم الحديث ، هذه الكتب التى احتلت لنفسها مكانة مرموقة ، ونرجو أن نوفق فى القريب ، إن شاء الله ، لتقديمها معا ووضعها فوق مشرحة النقد الحر .

جاء هذا الكتاب الأخير فى عشرة فصول : العرب فى الجاهلية وكيف انتقل الإسلام بهم من الدعة والخمول إلى النهوض والعمل ، ثم الإسلام دعوة إلى الدين والدنيا معا ، والوسيطة فى الإسلام ، وكيف كانت حاجزاً بين الإفراط والتفريط فى الدين والدنيا معا ثم اهتمام الإسلام بالجسد والروح كليهما ، ثم علوم الدين والدنيا فى الإسلام .

وفى الفصل السابع : دعوة الإسلام إلى العمل والعبادة ، وفى الثامن : مكان القوة فى الإسلام ، وفى التاسع : الدين والدنيا فى حياة الرسول ، وفى الفصل الأخير صور من حياة المسلمين الأول ، وأنهم كانوا رواد دين ودنيا . لقد عنى المؤلف بالشواهد من القرآن فزحم بها الموضوع حتى كادت الأفكار التى من أجلها سيقت الشواهد تختنق ، واضطر مع كثرة الشواهد أن يبعد قليلا عن الإطار الذى رسمه لفكرته فمثلا فى الفصل الرابع ، اهتمام الإسلام بالجسد والروح ، كنا ننتظر من المؤلف ألا تنحصر دراسته لهذا الموضوع فى كون الإنسان خليفة الله فى الأرض . وأن السماء والأرض والنجوم كل أولئك مسخر له ، والواجب عليه أن يعمل على الإصلاح ويتجنب الفساد ، ويعمل على المحافظة على النوع الإنسانى . . وما إلى ذلك ـ أما الشهوة التى تمثل الجانب الحيوى فى الجسد ، والصراع الدائم بينها وبين الروح فهذا مما لم يطرقه المؤلف ، لا سيما وأن بعض المسلمين من الصوفية كانوا يتغنون ـ فى إخماد شهواتهم مستعينين بقوة الروح .

نعم ـ لقد أحاط المؤلف بموضوع الكتاب إحاطة شاملة ، وكنا نأمل أن يجىء دراسة أكثر منه تجميعا للشواهد القرآنية المزدحمة لتدخل فى إطار واحد تحت عنوان واحد ، وللمؤلف بعد ذلك جهوده الموفقة فى دراساته الإسلامية .

الوصايا العشر :

للأستاذ خالد محمد خالد .

نشر هذا الكتاب الجديد للأستاذ خالد مكتبة وهبة بالقاهرة ، وهو كتاب جديد فى موضوعه . بالنسبة للكاتب الأستاذ خالد محمد خالد وقد يختلف كثير من الناس فى كتابات الأستاذ خالد . إلا أن كثيراً أيضا من معارضيه يتمتعون بقسط وافر من

التزمت ، والذى لا يختلف فيه اثنان أن للأستاذ خالد رأيا حرا ، وهذا أساس متين يجب أن تقوم عليه شخصية العالم المفكر أولا ، والمجتمع المفكر الحر يجب أن يتسع صدره لكل رأى مفكر حر ، فإذا صدم أصلا من أصول العقيدة ، فسوف لا تهتز العقيدة لحظة واحدة ، وإذا أصاب وضعا من الأوضاع الاجتماعية السليمة المتينة فسوف يتحطم قبل أن يمس هذا الوضع .

وقد يظن ظان أن الوصايا العشر فى كتاب المؤلف هى الوصايا العشر المذكورة فى التوراة ، والواقع أنها وصايا عشر جديدة ، لبناء الشخصية لتسلك طريقها فى الحياة ناجحة ، وهذه هى وصاياه :

١ — أهلت عصور الحب فودع الكراهية .

٢ — لا تدع الخوف يفكر لك أو يشير عليك .

٣ — اسبح قريبا من الشاطىء وارتكب أنظف الأخطاء .

٤ — أحل روح الرواد وابحث عن الدروب غير المطروقة .

٥ — لا تعش وعلى عينيك عصابة ، وامض بصيرا .

٦ — عش صديقا طيبا .

٧ — اقرأ فى غير خضوع . وفكر فى غير غرور .

٨ — تقبل وجودك وطوره .

٩ — ول وجهك شطر الله ، فإنه حق .

١٠ — وطد مسئوليتك بالحرية ، وحصن حياتك بالعدل .

وإذا كان الأستاذ خالد قد جال بنا جولة طيبة فى وصاياه العشر ، إلا أنه فى الوصية التاسعة ، ول وجهك شطر الله ، فإنه حق ، وضع يدك فى يده فإنه نعم النصير ، فى هذه الوصية كان أكثر دقة وعمقا وتحليلا ، لا سيما حين أشار إلى أن الله سبحانه — ليس موضوع الدين فحسب ، بل هو موضوع العلم والفلسفة ، والأدب والفن وموضوع الحياة كلها ، وحين ذكر أن قضية الإيمان بالله لا تتعرض للخطر بسبب تحكيم العقل ، والله سبحانه حين دعا الناس إلى التعرف عليه ، لم يقدم نفسه إليهم فى ألغاز وأساطير ، بل قدم حقيقته عن طريق ما يشاهدون من آثاره ، ودعاهم أن يستغلوا عقولهم فى الاهتداء إليه .

كنا نود أن تكون كل وصايا المؤلف فى مثل مستوى الوصية التاسعة ، وأن يكون للإسلام جولة كبرى فى جميعها ، إلا إذا كان المؤلف قد آثر السلامة كما ، كنا نود أن لا يسوق المؤلف كشاهد ، شعر ابن العربى ، الذى زعم فيه أن قلبه أصبح قابلا كل صور العقيدة السليمة والزائفة والزائفة ، وذلك ليتخذ الكاتب منه مستندا

لفكرة الحب للجميع . . . [illegible]
ليس فى حاجة إلى دليل .

٥ – توضيح المعانى فى بديعة .

لفضيلة الأستاذ على الجارى

المؤلف من كتاب مجلة الأزهر المبرزين ، وهو مدرس بالأزهر الشريف ، وكتابه هذا – وإن كان خاصا – إلا أنه فى موضوع وثيق الصلة بالثقافة الإسلامية والعربية .

تناول الكتاب دروس المعانى : الخبر والإنشاء ، المسند والمسند إليه ، القصر الفصل والوصل ، الإيجاز والإطناب والمساواة » .

كان المؤلف فى شرحه لدروس المعانى : وسطا بين طريقتين ألفهما الطلاب فى كتب البلاغة الأولى ، العناية بالقواعد والإيجاز فى إيراد الشواهد ، والثانية على العكس ، أما المؤلف فقد عنى عناية ملموسة بالقاعدة والشاهد معا .

وكان المؤلف موفقا حين شرح شرحا مبسطا ما ورد فى الكتب من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والأشعار المختارة . مما يعين على فهم النص وتذوقه .

وكان موفقا أيضا حين اختار من التمرينات نماذج وأجاب عنها إجابة وافية ، وذلك ليعين على تثبيت القاعدة فى الأذهان .

إلا أن المؤلف ترجم لبعض أصحاب الشواهد وترك البعض الآخر ، وكان الأكمل أن يترجم [illegible] الجميع فيضيف معلومات جديدة [illegible] العلم .

[illegible] المؤلف لم يلتزم شرح بعض الألفاظ والكلمات الصعبة التى وردت فى الكتاب ، وكان الأجمل به أن يشرحها ليعين على فهم النص كما وعد فى منهج الكتاب ، فلا أظن الطلبة أن يدركوا بدون مشقة : يوم ذى قار ، واهجرنى مليا . يمضغان علكا . أمست بفلج وهكذا » .

والمؤلف لجأ فى إيراد الشواهد أحيانا إلى شعر ابن الفارض ، على ما فى بعضه من ألغاز ترتفع فوق مستوى الطالب ، وبقى الكتاب بعد ذلك منهجا جليل القدر فى دراسة علم المعانى ، وقد بدا فيه واضحا مجهود المؤلف الفاضل

* * *

٦ – فى ظلال العقيدة :

للأستاذ محمد عبد العزيز أحمد .

هذا الكتاب يقول المؤلف – بدافع من الأمانة العلمية – فى مقدمته : إنه كلمات وآراء نشرت أكثرها فى فجر الشباب ، ووجهتها إلى الشباب . أدعوهم إلى حق الله والنفس والمجتمع . . . أدعوهم إلى العقيدة السليمة والسلوك الرفيع ، والوطنية الفاضلة » .

هذه الكلمات والآراء جاءت تطبيقا صحيحا

لهدف الكاتب ، تناولت العقيدة فى جوانبها الثلاث : الله ، والإنسان ، والمجتمع ولكنها تناولت أيضاً الوطنية والسياسة والأدب ، والأنظمة والمذاهب الفكرية ، وختمت بمقال عن الانجليز فى ميزان السياسة ، وخواطر عن الصهيونية ، ثم كلمات مختارة فى صلاح النفس والضمير ، كما تناولت الكلمات ذكريات المؤلف فى الوطن العربى وفى رحاب الجامعة .

كان فى استطاعة المؤلف أن يعنى بتخطيط كلماته وآرائه ، فيلم شمل بعضها على بعض ، ويبعث الروح الجديدة فى كلماته القديمة ليجعل منها لبنة قوية فى بناء العقيدة ، إلا أن المؤلف لجأ إلى تقسيم كلماته إلى إسلاميات ووطنيات واجتماعيات وذكريات ، ولكنه لم يلتزم إبداع كلماته كل فى الإطار الذى وضع لها ويلائمها .

فمثلا جاءت هذه الكلمات متجاورة : تحية العيد ، كفاح فلسطين ، ثورة على الفاجرين وهم الجاهرون بالفطر فى شهر رمضان ، مناجاة الفضيلة ، رسالة إلى أحد شباب العراق ، وأنت لا ترى أية رابطة بين هذه الكلمات ، ولا أى تناسق يمكن أن يؤلف بينها .

والكاتب جارى الناقمين على المدنية الحديثة من أشباه المتدينين ، فهو يتحسر ، لأن المدنية بقدر ما سمت من نواحيها المادية والنظرية ، لم تعن بالأخلاق والفضائل ، ولم تقم وزنا للروح والمثل العليا » .

ما أشقى العالم اليوم بهذه المدنية التى عرفت كيف تخترع قنبلة تدمر الحضارة ، وتقضى على الملايين ، ولم تستطع أن تخترع دواء للزكام . . !

هذا كلام لا يناصره جانب من المنطق ، وللعاطفة التدينية فيه أثرها ، هذا ولم يدم الكتاب كلمات قوية جياشة بعمق الفكرة وسلاسة الأسلوب .

محمد عبد الله السمان

كرامة العلم

طلب هرون الرشيد إلى الإمام الشافعى أن يحضر إليه فقال : « يا أمير المؤمنين . العلم لا يأتى ولكن يؤتى إليه » .

أنباء الأزهر

رحلة فى سبيل الإسلام :

غادر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر مطار القاهرة فى الساعة الواحدة إلا ربعا من صباح الأربعاء ١٩٦١/١/١٨ فى رحلة إلى الملايو وأندونيسيا والفلبين لتوثيق عرى الأخوة والمحبة بين المسلمين على رأس وفد مكون من السادة الأستاذة :

الدكتور محمد محمد البهى
مدير الإدارة العامة للثقافة الإسلامية
والدكتور أشرف غربال
المستشار بوزارة الخارجية
والشيخ محمد عبد التواب
مفتش عام الوعظ
والأستاذ أحمد نصار
مدير مكتب شيخ الجامع الأزهر
والأستاذ محمود سليمه
المحرر بوكالة أنباء الشرق الأوسط
والشيخ محمود خليل الحصرى
شيخ عموم المقارئ بالجمهورية العربية المتحدة

وقد اشترك فى توديع فضيلة الأستاذ الأكبر كثيرون من كبار العلماء ورجال السلك السياسى وطلاب الأزهر وغيرهم .

وكان أول بلد نزله فضيلته : الملايو فاستقبل فيه استقبالا حافلا .

وأقام السيد جعفر البار مساعد وزير الاستعلامات بحكومة اتحاد الملايو مأدبة عشاء تكريماً لفضيلته ، وشهد المأدبة السادة الوزراء وأعضاء سفارة الجمهورية العربية المتحدة ورجال الدين الإسلامى ورجال الحكومة .

وقد ألقى فضيلة الأستاذ الأكبر كلمة أعرب فيها عن سروره البالغ لهذه التحية من أهل هذا البلد الكريم وبخاصة الشبان منهم الذين يحملون مسئولية الدفاع عن الدين والوطن ، وقال : « إن الأزهر على استعداد لتقديم كل مساعدة لإخواننا فى الإسلام » .

ورد السيد جعفر البار بكلمة قال فيها : إنه يأمل أن يقوم رجال الأزهر بمزيد من الزيارات للملايو على نطاق أوسع لتعزيز العلاقات بين المسلمين .

وأدى فضيلة الأستاذ الأكبر فريضة الجمعة يوم ٢٠/١/١٩٦١ فى مسجد عاصمة الملايو وقد غص المسجد بالآف من المصلين.

وألقى فضيلته تفسيراً لآيات الهجرة التى تلاها عليهم الشيخ محمود خليل الحصرى، وتحدث فضيلته إلى المصلين شارحا لهم رسالة الأزهر فى شتى أنحاء العالم الإسلامى.

وكانت كلية «كلانج» قد أقامت لفضيلته حفل استقبال فخماً تكريماً لفضيلته ولأعضاء البعثة المرافقة. وكان فى مقدمة المستقبلين لفضيلته السيد عبد الرحمن بن الحاج طالب وزير التربية والتعليم بالملايو.

وأقامت سفارة الجمهورية العربية المتحدة فى الملايو حفل استقبال تكريما لفضيلة الأستاذ الأكبر حضره الوزراء والسفراء وكبار الشخصيات فى كوالا لمبور سا.

وزار فضيلة الأستاذ الأكبر السيد عبد الرحمن الحاج طالب وزير التربية والتعليم بالملايو ردا على زيارته لفضيلته وإقامة حفل تكريم له، وقد دامت المقابلة مدة طويلة بحثت فيها حاجة الملايو من الأساتذة الأزهريين، كما بحثت فيها المنح الدراسية التى سينظمها الأزهر لطلاب الملايو.

وزار فضيلة الأستاذ الأكبر السيد تنكو عبد الرحمن - رئيس وزراء الملايو — وقد دامت المقابلة ساعة وكانت ودية للغاية، وتناول البحث فيها الشؤون الثقافية الدينية بين الملايو والأزهر، وقد وعد السيد رئيس الوزراء بإيفاد أستاذ من الملايو لتدريس اللغة الملايوية فى الأزهر. وفى المساء أقام فضيلته حفل استقبال بمناسبة سفره إلى (جاكرتا) ليقضى فيها أسبوعين فى زيارة رسمية.

الأستاذ الأكبر فى أندونيسيا

وبعد أن قضى فضيلته ثلاثة أيام فى الملايو غادرها إلى أندونيسيا.

وقبل مغادرته المطار صرح فضيلته بأنه سيعقد مؤتمرا من مختلف البلاد الإسلامية لبحث تفسير القرآن فيما يتعلق بالاقتصاد الدولى. وقد سأله السيد تنكو عبد الرحمن رئيس وزراء الملايو عن حكم الإسلام فى مصارف الزكاة. كما سأله رئيس الإدارة الاقتصادية عن استثمار رأس المال فأجاب عن السؤال الأول بأن أموال الزكاة يجوز الانتفاع بها فى أى مكان خارج الدولة أو المنطقة التى جمعت منها، وصرفها فى خارج الدولة مشروط باستغلالها من أجل المصالح العامة للمسلمين أو فى الدعوة من أجل الإسلام.

وأجاب عن السؤال الآخر بأن الإسلام لا ينهى عن استثمار المال فى المشروعات العامة وشراء الأسهم والسندات لصالح الاقتصاد العام، إذ أن القرآن لا يحرم ذلك.

الأستاذ الأكبر في جاكرتا :

وصلت الطائرة المقلة لفضيلة الأستاذ الأكبر إلى مطار جاكارتا في الثامنة من مساء من يوم ٢٢ / ١ / ١٩٦١ وكان في استقباله حوالى ٥ آلاف من شيوخ أندونيسيا وشبابها وممثلين لمختلف الهيئات والمدارس والجامعات وقد انتظم الطلبة وفرق الكشافة في صفوف طويلة ، وعندما هبط فضيلته من الطائرة تقدم إليه وزير الشئون الدينية نيابة عن الحكومة وبعض الوزراء وكبار موظفي الدولة مرحبين فضيلته أعظم ترحيب .

وفي استراحة المطار احتفى بالشيخ الأكبر لفيف من الخطباء ، وفي صباح اليوم التالي بدأ الأستاذ الأكبر بزيارة السيد وزير الشئون الدينية في مكتبه وعلى طول الطريق اصطف المسلمون لتحية فضيلته وقد تجمع موظفو الوزارة أمام مكتب الوزير وخارجه حيث وضعت مكبرات الصوت ، ورحب السيد الوزير بفضيلته في كلمة قال فيها :

« إني أشكر الله العلي القدير وأذكر بالفخر والاعتزاز أنني سعيد كل السعادة لاستقبال شيخ الإسلام ومرافقيه بمكتبي ، وقد كنا نترقب هذه الزيارة منذ العام الماضي . والآن وقد تحققت وتحقق أملنا العظيم فإني أعود لأكرر الشكر وأحمد الله على هذه الفرصة العظيمة » .

ثم استعرض سيادته أعمال وزارته الدينية وأنها تألفت عقب قيام الجمهورية الأندونيسية المستقلة بفترة وجيزة ، وأنها تهتم كل الاهتمام بالأمور الدينية ، فبالدين وحده يمكن تحقيق الأمن والسلام . وكل ما أصدرته الدول الكبرى من بيانات ، وما جاء فيها من إيضاحات ومحاولات لم تستطع حتى الآن تحقيق الأمن والسلام العالمي . ونحن لا نستطيع أن نكره الناس على اتباع الدين والتمسك به « فلا إكراه في الدين » ، ولكن في اعتقادنا أنهم سيؤمنون بما جاء في الدين على أنه الطريق الوحيد لأمنهم وسلامهم . وقد يعتقد الناس أن مسئولية وزارة الشئون الدينية محدودة وبسيطة ، ولكنها في الواقع هامة ولازمة ، لأنها لا تترك شيئا من الأمور الدنيوية إلا بحثته ووصلت فيه إلى نتيجة ، وكلنا يعرف أن حوالى ٩٠ ٪ من الشعب الأندونيسي يعتنق الإسلام ، ونعرف أيضا أنه حتى الآن غير متمسك تمام التمسك بالدين وأعتقد أن هذه المسألة ليست في أندونيسيا وحدها ولكنها في جميع أنحاء العالم .

ومن هنا نشأت مسئولية هذه الوزارة . وبأندونيسيا عدد كبير من المدارس الإسلامية ويوجد بها أماكن للعبادة لا يمكن حصرها والوزارة فعلا لا تعرف عددها وبهذا يمكن

أن نقول إن الإسلام لا ينال بخير وأن دولة أندونيسيا الإسلامية ستمس بخير ما دامت تواصل عنايتها بالإسلام ومبادئه .

وقد رحب سيادته للمرة الثالثة بفضيلة الأستاذ الأكبر متمنيا على يديه تحقيق آمال الإسلام وقيام الأمة الإسلامية العظيمة .

ثم تحدث فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت قائلا :

« أبنائى شباب الشعب الأندونيسى ، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد فإليكم تحية مباركة منى ومن زملائى ومن إخوانكم فى الأزهر ومن إخوانكم فى الجمهورية العربية المتحدة ومن السيد الرئيس جمال عبد الناصر إلى أخيه السيد الرئيس أحمد سوكارنو ، فالجميع وإن تباعدت ديارهم واختلفت لهجاتهم وتعددت لغاتهم كما أراد الله فنحن أمة الإسلام ، أمة واحدة . فالإسلام لا يعرف المكان ولا الأشخاص . إننا أمة واحدة بعقيدتنا وهى « لا إله إلا الله محمد رسول الله » والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر » « ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين » .

تلك هى مبادئنا وهذه عقيدتنا ، فاتقوا الله ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، أنقذكم من نار التفرقة ومن نار الحزبية الفاشلة . « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » هذه مبادئنا يتكون منها المحور الدينى لنا من غير زمان ومن غير مكان ومن غير أشخاص .

واعلموا أن المسلم للمسلم وإن تباعدت بينهما الديار كاليدين تغسل إحداهما الأخرى ، وكالبنيان يشد بعضه بعضا .

لقد انشرحت صدورنا بأندونيسيا وبأخلاق أبناء أندونيسيا بعد أن ترقبنا وانتظرنا طويلا فرصة اللقاء حتى جاء اليوم الذى أراده الله لهذا اللقاء . وقد بدأت رحلتنا فى شهر رجب وهو شهر الإسراء والمعراج الذى أسرى فيه المولى سبحانه وتعالى بحبيبه محمد ، وعرج به إلى السموات العلا فرأى من آيات الله الكبرى ما رأى ، ثم جاء شهر شعبان الذى حضرنا فيه إليكم وهو تقدمة لشهر رمضان وما فيه من ذكريات إسلامية عظيمة أولها نزول القرآن الذى هو أصل التوحيد وأصل العبادات ، وهكذا بدأت رحلتنا ، وكان هذا اللقاء الكريم فى أيام كريمة على الله

أبنائى . حضرنا إليكم ولنا الشرف الكبير فى زيارتكم فهى زيارة المؤمن لأخيه المؤمن

وقد بدأناها بزيارة السيد وزير الشئون الدينية فانشرحت صدورنا أيضا لهذه الزيارة وما اعتزمت عليه من دراسات دينية والقيام على شئون الدين الروحية والمادية ، ونحن هنا فى بلدكم الكريم وبين شعبكم العظيم نذكر بكل فخر مؤتمر باندونج وما أشاع على العالم أجمع من نور الحرية والسلام حتى أصبحت الدول الآسيوية الأفريقية تقف مزهوة تنفض عن كاهلها غبار الذل والاستعباد ، وأصبحت تتطلع إلى السلام العالمى الدائم وستصل اليه بفضل الرئيسين العظيمين أحمد سوكارنو وجمال عبد الناصر .

وإنى إذ أحمل من أبناء أندونيسيا فى القاهرة تحياتهم اليكم جميعا وتحية كل طالب إلى أبيه وأمه وأخيه أقول بلسانهم إنهم لا يشعرون بأنهم فى بلد غير بلدهم . فلا يشعرون بغربة أو بعد عن أوطانهم ؛ فوطنهم الجمهورية العربية المتحدة كما أن وطننا هو الجمهورية الأندونيسية الحبيبة .

« قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين . قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

وأختتم فضيلته كلمته بالدعاء للرئيسين جمال عبد الناصر ، وأحمد سوكارنو بالتوفيق فى خدمة الإسلام والمسلمين .

وقد صدر على أثر هذه المقابلة بيان مشترك عما دار بينهما من المسائل والأحاديث جاء فيه أن مشيخة الجامع الأزهر ووزارة الشئون الدينية الأندونيسية اتفقتا على التعاون الوثيق فى شئون التعليم بصفة عامة ودراسة الدين الإسلامى بصفة خاصة . وسيتبادل الجانبان المدرسين والطلبة الأبحاث والمحاضرات الخاصة بالدين الإسلامى .

وسيرعى الجامع الأزهر الشئون التعليمية والثقافية للطلبة الأندونيسيين الملتحقين بكلياته ، وسيستقبل خريجى المدارس الثانوية الأندونيسية بدون امتحان .

وذكر البيان أن الجامع الأزهر سينشئ جامعة إسلامية عالمية بالتعاون مع البلدان الإسلامية الأخرى .

الأستاذ الأكبر يزور الكلية المحمدية :

وفى الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم توجه ركب فضيلته إلى الكلية المحمدية فاستقبله أساتذتها وطلابها بالتكبير والترحيب . وقدم إليه رئيس مجلس إدارتها نيابة عن الكلية هدية علمية نفيسة . وقد تحدث إليهم الأستاذ الأكبر شاكرا لهم هديتهم وذاكرا لهم أن الإسلام فى أول عهده قام على أكتاف الشباب ، وإن له لأملا كبيرا أن يعود إليه عزه ومجده على أيدى هذا الشباب الناهض المؤمن من

أبناء أندونيسيا ، ودعا لهم ولجميع فروع الكلية بالتوفيق فى أن يغرسوا مبادئ محمد صلى الله عليه وسلم فى قلوب الشعب الأندونيسى العظيم .

ثم قصد الركب مقر الجامعة الإسلامية الحكومية بجيبوتات وهى تبعد عن العاصمة بحوالى ١٧ كيلو متراً ، وقد استقبله مديرو وعمداء كلياتها بالهتاف بحياة الإسلام والمسلمين وبشيخ الأزهر والأخوة الإسلامية .

وكان فى استقباله أيضا الشيخ أدهم خالد رئيس حزب نهضة العلماء ورئيس مجلس إدارة الجامعة .

وبدأ الحفل بتلاوة من لقرآن الكريم تلاها أحد طلاب الجامعة ، وبكلمة ترحيب من السيد عميد كلية التربية جاء فيها : « أن الجامعة الإسلامية الحكومية تحييكم أطيب تحية وتشكركم على تفضلكم بزيارة هذه الجامعة ، وهى زيارة مباركة طيبة . فلكم الفضل والشكر على زيارتكم أندونيسيا التى تبعد آلاف الأميال عن بلدكم الطيب الكريم ، وذلك بفضل القوة الإسلامية والجامعة الأزهرية وهى الرابطة الثقافية والعلمية لأن كثيراً منا قد تخرج من الجامعة الأزهرية ، ونحن هنا يستقبل الأخ الصغير أخاه الكبير . وفى الحقيقة نحن مدينون للجامعة الأزهرية التى ندعو الله أن يجزيها عنا خير الجزاء .

إن هذه الزيارة فرصة كبيرة للاتصال بالشعب الأندونيسى وسترون كيف أن الجماهير الإسلامية تحن وتشتاق لرؤية شخصكم الكريم ، وهى تحتاج أيضا كل الاحتياج إلى معونتكم الأدبية والثقافية ، تحتاج للأساتذة والكتب الإسلامية ، ونحن ننتظر هذه المعونة فى أقرب وقت إن شاء الله .

كما تحدث عميد التربية عن تبادل الزيارات بين الجامعة الإسلامية والأزهر . ثم تحدث أحد طلبة الجامعة وطالب بالمعونة الثقافية العاجلة من أساتذة وكتب خاصة وأن جامعتهم تتعرض لثقافات تأتى إليهم من الدول الغربية والدول الشيوعية بينما هى مستعدة استعداداً طيبا للثقافة الإسلامية الصحيحة ، وأعرب عن أمل الطلبة فى أن تكون هذه الزيارة دعماً للعلاقات الثقافية على نطاق واسع بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية الأندونيسية .

وبعد أن تعددت كلمات الترحيب وقصائد الشعر من أساتذة وطلاب الجامعة تحدث الأستاذ الأكبر قائلا : « أبنائى وإخوانى أساتذة وطلاب الجامعة الإسلامية الحكومية ، لقد حضرت الآن إلى الجامعة الإسلامية بعد أن قمت بزيارة وزارة الشئون الدينية فلاحظت الارتباط العظيم بين القسمين لأن الشئون الدنيوية لا تتقدم ولا ترتفع إلا بالإسلام

والعلم ، فكان الارتباط بين الجامعة وبين الوزارة التى أنشئت لتحقيق آمال المسلمين الدينية والدنيوية . ويسرنى أن أقول إن هذه أول مرة أرى فى الدول الإسلامية وفى غيرها تسمية الجامعة باسم الدين والحكومة فهى الجامعة الإسلامية الحكومية . وإنى لأرجو أن تعمم هذه التسمية وأن يكون العنوان مشتركا فى الجامعات الدينية الإسلامية ، فالحكومية يجب عليها أن ترتبط بالجامعات حتى فى تسميتها وإلا كان كل منها فى معزل عن الآخر ، كما أرجو أن تستعير الدول الإسلامية هذه التسمية وتطلقها على جامعاتها فتتضح فعلا العلاقة بين الجامعة والحكومة .

وقد قدمت الجامعة الإسلامية فى حفل عظيم درجة الدكتوراه الفخرية لفضيلته تقديراً لخدماته الإسلامية والمسلمين . وألقى فضيلته محاضرات فى جميع المدن والجامعات والمعاهد التى زارها . دعا فيها إلى السلام والتمسك بتعاليم الإسلام .

فى باندونج :

وزار فضيلة الأستاذ الأكبر معهد المكفوفين بباندونج وقد عزف له الطلاب على آلام « الجكلانج » قطعة موسيقية جميلة ، وقد أهدى فضيلته إلى المعهد مصحفا مكتوبا بطريقة « برايل » من عمل طلاب معهد المكفوفين بالقاهرة الذين يدرسون بالأزهر والتابعين لجمعية النور والأمل .

فى بوغور :

استقبل الرئيس سوكارنو بعد ظهر يوم (١٩٦١/٢/٦) فضيلة الأستاذ الأكبر بقصر مردكا ، واستغرقت المقابلة نصف ساعة حضرها السيد وزير الشئون الدينية ، وقد صرح السيد وهيب وهاب وزير الشئون الدينية للصحفيين أن كلا من السيد الرئيس سوكارنو وفضيلة الأستاذ الأكبر كان يبدو عليه السعادة لهذه الفرصة الطيبة التى كان الجميع يتطلع إليها .

وقد عبر الرئيس سوكارنو عن أمله لفضيلة الأستاذ الأكبر فى أن تكون الجمهورية العربية المتحدة مصدر قوة للروح الإفريقية والعربية وأن تكون أندونيسيا مصدر قوة للروح الآسيوية ، وبذلك تسير أفريقيا وآسيا بهذه الروح الصادقة فى طريقها إلى سلام دائم .

وقد وجه السيد الرئيس سوكارنو الدعوة إلى فضيلة الأستاذ الأكبر ليؤم أول صلاة تقام فى (مسجد الاستقلال) — وهو أكبر مسجد فى أندونيسيا ، وذلك عندما يتم بناء هذا المسجد العظيم .

وفى أثناء المقابلة بين الرئيس سوكارنو وفضيلة الأستاذ الأكبر - قدم إليه فضيلته نسخة من القرآن الكريم مهداة من فضيلته وموقعا عليها باسمه ، كما أهدى إليه فضيلته مسبحة و (ألبوم صور) يضم الصور التى أخذت عند احتفال الأزهر بالرئيس سوكارنو بالقاهرة عند منحه درجة الدكتوراه الفخرية من الأزهر خلال زيارته للجمهورية العربية المتحدة .

الأستاذ الأكبر فى جوكجارتا :

قامت الجامعة الإسلامية الحكومية بجوكجاكرتا بمنح الدكتوراة الفخرية إلى فضيلة الأستاذ الأكبر وقد قامت هذه المناسبة حفلا كبيرا شهده السلطان هامنو كوبنو التاسع حاكم جوكجا - والدكتور سوتارينو مدير الجامعة وعمداؤها وأساتذتها وكبار رجال التعليم وعدد كبير من الطلاب .

وقد استهل الحفل بتلاوة القرآن الكريم ، ثم ألقى الدكتور سوتارينو كلمة رحب فيها بفضيلة الأستاذ الأكبر .

ثم ألقى الاستاذ مختار يحيى عميد كلية أصول الدين فى الجامعة الاسلامية كلمة استعرض فيها حياة الأستاذ الأكبر وجهاده الطويل فى سبيل الاسلام منوها بمؤلفاته وآرائه التى انتفع بها المسلمون فى كل مكان .

ثم تقدم السيد مدير الجامعة فقدم الدكتوراة الفخرية لفضيلة الأستاذ الأكبر وسط عاصفة من التصفيق .

وقد ألقى فضيلة الأستاذ الأكبر كلمة فى هذا الحفل قال فيها : إن الرابطة التى بيننا عمادها العلم والمعرفة وهما أساس الإسلام والوحى الذى نزل على محمد عليه الصلاة والسلام وإنكم حين تكرموننى فإنكم تكرمون الجامعة الاسلامية فى القاهرة التى ظلت هذه القرون الطويلة تعمل جاهدة للربط بين العالم الاسلامى كما تكرمون الجمهورية العربية المتحدة التى احتضنت جامعتنا الأزهرية .

واستطرد قائلا : وإنكم اليوم قد وثقتم العلاقات بين شعبى الجمهورية العربية المتحدة وأندونيسيا ، وإننى لأرجو أن يزداد التعاون بيننا ارتباطا ، كما أرجو أن يوفق الله الزعيمين العظيمين جمال عبدالناصر وسوكارنو إلى تحقيق العزة لشعبيهما وللإسلام وإلى خدمة البشرية جمعاء .

وبعد أن انتهى فضيلته من كلمته أقيم حفل شاى تكريما لفضيلته والسادة مرافقيه تبودلت فيه الكلمات الودية بين أعضاء الوفد وعمداء الجامعة وأساتذتها .

فى مسجد شهداء التحرير

قام فضيلة الأستاذ الأكبر بزيارة مسجد الشهداء الذى أقيم فى جوكجارتا تخليدا لذكرى

شهداء حركة التحرير ، وقد ألقى فضيلته فى الجموع التى احتشدت فى المسجد بمناسبة زيارة فضيلته تحدث فيها عن العلاقات الوثيقة بين الشعبين العربى والأندونيسى وعن مكانة الشهداء ، وامتدح العمل الجليل الذى يهدف إلى تخليد ذكرى الشهداء بإقامة المساجد . ودعا إلى تخليد ذكرى الشهداء بمثل هذه المنشآت الدينية كما دعا الشباب إلى الجهاد فى سبيل الله .

وقد أهدى فضيلته إلى مكتبة المسجد نسخة من القرآن الكريم وبعض مؤلفاته وقام بعد ذلك بزيارة الجامعة الإسلامية الأهلية ، حيث حضر مأدبة العشاء التى أقامها رجال الجامعة تكريما لفضيلته .

وزير الشئون الدينية يطلب من الرئيس أسبوعاً آخر :

وطلب السيد وهيب وهاب وزير الشئون الدينية بأندونيسيا من فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر أثناء تكريمه فى حفل استقبال أن يتفضل بمد زيارته أسبوعا آخر لأن عدداً كبيراً من الأمكنة فى شوق عظيم للقاء فضيلته ، ومن بين هذه الأماكن بنجارماسيك ، ماكاصار ، كوتاراجا ، وبالمبانج .

وقد عبر السيد الوزير عن سروره لأن فضيلة الأستاذ الأكبر قد شاهد بنفسه خلال زيارته للأماكن المختلفة فى أندونيسيا الكثير من المعاهد والمؤسسات الإسلامية ، والمراكز التعليمية الثقافية مما يؤكد أن الإسلام فى أندونيسيا يتقدم فى حرية تامة دون عقبات تقف فى سبيله .

الأستاذ الأكبر فى سومطرة :

زار فضيلته مدينة (ميدان) بسومطرة . وكان فى استقباله فى المطار حاكم الجزيرة وكبار المسئولين .

وأقيم حفل كبير بجامعة سومطرة احتفالا بتقديم درجة الدكتوراه الفخرية لفضيلته . ثم زار بعد ذلك مختلف المدارس الدينية بجزيرة سومطرة ، ووضع الحجر الأساسى لإحدى المدارس الجديدة . وقد أقام حاكم الجزيرة مأدبة غداء تكريما لفضيلته . ثم استقل فضيلته الطائرة عائداً إلى جاكرتا .

الأستاذ الأكبر فى جاوا الغربية :

وقد أقام الكولونيل المشهودى - حاكم جاوا الغربية فى منزله حفل عشاء لفضيلته تكريما له ، وقد دار الحديث فى كثير من المسائل الدينية والدنيوية ودعاه إلى الاحتفال بليالى شهر رمضان .

الأستاذ الأكبر فى الفيليبين :

وصل إلى (مانيلا) فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر عائدا من زيارته لمدينتى ميندانا وماروا بالفيليبين .

وفى المساء حضر فضيلته مأدبة العشاء التى أقامها السناتور ألونتو زعيم المسلمين بالفيليبين تكريما له ، وكان فضيلته قد سافر أمس إلى ماروا مستقلا الطائرة الخاصة لرئيس الفيليبين وبرفقته السناتور ألنتو وبعد هبوط الطائرة فى المطار الذى يبعد ١٨ كيلو مترا عن المدينة استقل السيارة إليها يتبعه رتل كبير من السيارات استقلها كبار الشخصيات الإسلامية الذين اشتركوا فى الترحيب به فى المطار .

وقد نزل فضيلته فى ضيافة محافظ المدينة وعقد مساء الخميس ٩ / ٢ / ١٩٦١ مؤتمراً إسلامياً كبيراً حضره آلاف المسلمين فى المدينة وممثلون لجميع المسلمين فى الفيليبين .

وقد ألقى فضيلته كلمة تحدث فيها عن «الإسلام دين السلام» ووافق أعضاء المؤتمر على قرار يشكر الرئيس جمال عبد الناصر على إيفاده فضيلة الأستاذ الأكبر لزيارة الفيليبين ليصل ما بين المسلمين فى البلدين الشقيقين .

منح الأستاذ الأكبر درجة مستشار فخرى :

كما أقيم لفضيلته احتفال فى الجامعة الإسلامية بالمدينة ، حيث منح درجة مستشار فخرى للجامعة ، وألقى فضيلته محاضرة عن « تعاليم الإسلام ومبادئه » .

هذا وقد غادر فضيلته « مانيلا » قاصد إلى « هونج كونج » حيث يعود يوم الأربعاء القادم إلى القاهرة .

مقر جديد لجمعية المحافظة على القرآن الكريم :

افتتح فى الشهر الماضى المقر الجديد لجمعية المحافظة على القرآن الكريم فى القاهرة لمناسبة مرور ثلاثين سنة على تأسيسها .

وكان حفل الافتتاح برياسة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، وألقى فضيلته بهذه المناسبة الكلمة التالية :

بسم الله الرحمن الرحيم

إخوانى وأبنائى :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وبعد :

فإن القرآن الكريم كتاب الله الذى أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج به

الناس من الظلمات إلى النور . فقد عاش الناس - قبل نزول القرآن - فى ظلمات بعضها فوق بعض . لا يرون نورا من الحق ولا يهتدون سبيلا ، بل غابت عنهم الحقائق وضاعت فيما بينهم الحقوق - حتى إذا ما نزل القرآن - كان الهداية العظمى والنور المضيء والآمر الموجه والناهى عن مواطن الشر والفساد .

ولقد كان ربيع القلوب وضياءها ، ومصباح هذه الأمة الذى أنار لها ليلها الداجى وخط لها الطريق المستقيم الذى تسير فيه على هدى من الله .

ولطالما كان القرآن - للحافظين له الفاهمين لمعانيه وأحكامه الواعين لمبادئه - سندا قويا جعل منهم أولى قوة وبأس شديد لا تلين قناتهم لعدو . ولا يستبد بهم إنسان ، بل يعيشون دائما فى إطار تملؤه الحرية القوية التى فطر الله الناس عليها ، فيسعدون بالحياة لأنهم يعيشون فى استقرار من مبادئ قوية غرسها فى نفوسهم القرآن ، فهم رحماء بينهم ، تراهم فى صدق تعاون وصادق محبة وتعاطف أكيد ، يتجاوبون فى الإحساس والشعور ، فهم دائما على قلب رجل واحد لا يبغون من وراء ذلك إلا أن يكونوا أمة واحدة متراصة ومترابطة تقف سدا منيعا فى وجه الشر والبغى والطغيان .

من أجل ذلك كله عملت الأمم الاستعمارية فى كل وقت على أن تباعد بين الشعب وبين حفظ القرآن ، وأن تصرفهم عن فهمهم له وعن تدبر أحكامه وعن الاقتداء بمثله ، لتكون الأمة المحـ مطواعا لمبادئ الاستعمار ، سهله فى الاستغلال .

ويكفى أن تعرفوا قالة قائمهم - حين رف تقريراً لسادته عن إقامته فى مصر : « إنه استقرار لنا ولا إقامة فى بلد يوجد فيه القرآن

إخوانى وأبنائى :

لقد آمن الأولون بأن القرآن مصدر القـ فحفظوه ، وطريق الخير ففهموه ، وفهـ ما فيه ، ووضعوه فى المحل الأول من مـ التقديس والعناية ، وأقبلوا على حفظه وتد لاستخراج نفائسه ، والتحلى بجواهره فكان لهم السلطان ، وتفجرت لهم أنهار السعادة ، وطفقوا يقطفون من ثمارها ما جعلهم فى مقدمة الأمم رقيا وحضارة .

إن القرآن - وهو حياة القلوب - يخلق فيها الوعى الصادق ، والإحساس المرهف الدقيق ، ويجعل منها قلوبا بيضاء ناصعة لا تنطوى على دغل ولا حسد . كما لا تقبل المذاهب الوافدة ولا المبادئ الخداعة التى ما دخلت مكانا إلا أفسدته وفتت عليه ، فلو أن الأمم الإسلامية عادت إلى سيرة أسلافها . وتمسكت بكتاب ربها فعلمه بنوها أولادهم وبناتهم ، وحفظه رجالهم ونساؤهم -

لشعب المجتمع على الفضيلة ونشأ على الخلق القويم ، ولأحيا فى النفوس الضمائر الحية اليقظة التى تستمد قوتها من فاطر السموات والأرض ، وحينئذ لا ترى فى المجتمع الإسلامى غشا ولا سوءا ولا ضعفا ولا فسادا .

وما أحرى الأمة الإسلامية أن تتخذ من القرآن نبراسا يضىء لها طريقها ، وأن تتفقه أحكامه وتجعل منه دستور حياتها لتسمو بروح الله روحها ، وتشرق بنور الله قلوب أبنائها .

« والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين » . « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا . ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

وصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول : (إن الله أنزل على القرآن آمرا وزاجرا . وسنة ومثلا مضروبا ، فيه نبؤكم وخبر من كان قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . لا تنقضى عجائبه ، هو الحق ليس بالهزل ، من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فلج ، ومن قسم به أقسط . ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم ، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ، ومن حكم بغيره قسمه الله ، هو الذكر الحكيم والنور المبين ، والصراط المستقيم ، وجعل الله الدين عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد) .

فأبشروا إذن يا من حبستم أنفسكم على القرآن معلمين ومتعلمين ومشجعين ، فإن لكم من الله أجرا عظيما ، واسألوا الله من فضله فإنه مجزل لكم العطاء . وثقوا أن الله معكم ويؤيدكم وينصركم ، « ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز » .

وإن أملنا لعظيم فى أن يقبل المسلمون على حفظه ، وتفهم ما فيه وتفهيمه أولادهم ، وكونوا مع القرآن يكن الله معكم « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ، اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بعثة الأزهر فى الصومال :

جاءنا من الصومال أن بعثة الأزهر فيه أقامت احتفالا دينياً كبيراً بليلة الإسراء والمعراج حضره السيد آدم عبد الله عثمان رئيس جمهورية الصومال والسيد رئيس الوزراء ورئيس الديوان الجمهورى وبعض الوزراء وأعضاء

الجمعية الوطنية والنواب ورؤساء الأحزاب والهيئات الدينية فى الجمهورية الصومالية .

وأقامت جمعيات دينية كثيرة فى مقديشو احتفالاتها بهذه الذكرى المباركة ألقيت فيها كلمات تضمنت الإشادة بنشاط الأزهر فى الصومال .

مبنى جديد لمعهد أسوان :

احتفل فى الشهر الماضى بافتتاح مبنى المعهد الدينى الجديد فى أسوان برياسة السيد محمد سعدالدين زايد محافظ أسوان وحضور أعضاء مجلس الأمة وكبار الموظفين وممثلى الهيئات والطوائف . وألقى فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن مسلم شيخ المعهد ونائب فضيلة الأستاذ الأكبر فى الحفل كلمة الافتتاح الآتية:

إنه لمن عوامل الفرح والسرور أن يفتتح المبنى الجديد لمعهد أسوان الدينى فى هذا اليوم الكريم المبارك الذى يعتز به الوطن كله ألا وهو يوم العيد القومى لانبثاق فجر الصناعة من أسوان . فإنه فى مثل هذا اليوم من العام الماضى أرسى السيد رئيس الجمهورية حجر الأساس لمشروع السد العالى فكان لهذا العمل المجيد دوى هجل فى قاصى الأرض ودانيها فى شرقها وغربها وفى شمالها وجنوبها واهتزت لوضع أساس هذا المشروع الصناعى العظيم أطراف الدنيـــا فأخذ العالم كله يتحدث عن الجمهورية العربية المتحدة حديثاً مليئاً بالإعجاب والتقدير .

ولقد كانت لمبنى معهدنا هذا نفحة عظيمة من نفحات هذا اليوم المبارك فقد أمر السيد الرئيس حفظه الله بتكملة هذا البناء وسارعت وزارة الأوقاف مشكورة بالمساهمة الفعالة الناجزة وما انتهت زيارة الرئيس المحبوب حتى وصل المبلغ المطلوب وكان لهذا الصنيع الكريم المشكور ثناء على كل لسان ودعاء من كل قلب وتقدير من كل غيور على الدين والأخلاق .

ولقد قال السيد الرئيس فى برقية من سيادته إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر حول تشييد مبنى معهد أسوان : « إنه لمن توفيق الله العلى الكبير وفضله العميم أن أزرنا بعونه وأمدنا بنصره حتى هيأ لنا الأسباب وأزال العقبات وتم بحمده ورعايته وضع اللبنة الأولى فى إقامة السد العالى كما سيتم بناء المعهد الدينى ليكون صرحا روحيا بجانب الصرح المادى .

وها نحن اليوم نلتقى فى حفل افتتاح هذا المبنى الفخم العظيم ملأ قلوبنا البشر والسرور . وكأنى بأرواح السابقين الأولين من أهل الأزهر فى مئات السنين التى سلختها من عمره المعهد المبارك تطل على حفلنا هذا تشاركنا الفرح وتقاسمنا البهجة وتظهر معنا السرور والغبطة .

إن الأزهر العتيق الذى تجاوز الألف من عمر الزمن والذى يلتقى إليه هذا المعهد الكريم كان ولا يزال مشعل النور والمنهل العذب لعلوم الشريعة واللغة وأصول الدين. ولقد كان يرسل أشعته العلمية القوية على هذه الدنيا فى آماد سحيقة لم يكن بها مشعل من العلم غير مشعل الأزهر ولم يكن بها رحاب لطلاب المعارف غير رحابه.

إن هذه الجامعة الإسلامية الكبرى جامعة الأزهر التى ينتمى إليها الآلاف المؤلفة من العلماء ومن طلاب العلم فى مختلف المعاهد من أبناء جمهوريتنا العربية المتحدة تضم فى جنباتها آلافا أخرى من أبناء الأقطار الشقيقة وإن مدينة البعوث الإسلامية التابعة للأزهر ينتمى طلاب العلم فيها إلى أكثر من خمسين دولة من دول الأرض وبهذا يستبين ما للأزهر ومعاهده من أثر فى الحركة الفكرية العالمية ومن توجيه كريم للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها. فإنه الرباط الأكبر الذى يربط شعوب العروبة والإسلام والكوكب الأغر الأبلج الذى يرسل نوره قويا مشرقا يأخذ بمجامع القلوب. ولا يمكن للبشرية أن تسير فى الطريق السوى والمنهج المستقيم إلا إذا اهتدت بنور الرسالات السماوية ووقفت عند حدود الحق والعدل وإن لم تعمل تخطفتها السبل المضلة وزجت بها فى هاوية سحيقة ليس لها قرار.

وإنه لمن وسائل اليسر والخير والبركات على الأزهر خاصة وعلى الوطن والمواطنين عامة أن قيض الله للأمة بطلا قويا مخلصا ذا عزم وحزم وإيمان وصلابة فى الحق هو السيد الرئيس جمال عبد الناصر حفظه الله. ولقد كان من مآثره الدينية ومن حسناته القوية رعايته لهذا المبنى وعنايته بأمره حتى اكتمل وأصبح صرحا شامخا صالحا لاستقبال طلاب العلم من هذه البلاد الفسيحة التى تنتمى إلى محافظة أسوان والتى تمتد من السباعية بأدفو شمالا إلى أدندان فى حدود السودان جنوبا فى رقعة من الأرض تمتد قرابة أربعمائة وخمسين كيلو مترا.

وإنى أذكر هنا بالتقدير والثناء عمل جمعية المحافظة على القرآن الكريم بأسوان معنا وعمل السادة الوعاظ فى إنشاء هذا المبنى فشكر الله لهم وشكر لجميع المساهمين والمعاونين فى إبراز هذا المبنى الكريم.

وحفظ الله جمهوريتنا العربية المتحدة ورئيسها المحبوب.

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

بريد المجلة

حكم الطاعة وتكييفه شرعا :

لا شك أن قرار المرأة فى بيت زوجها وطاعتها له ثابت بمقتضى عقد الزواج لأنه عقد ملزم للطرفين للرجل بالمهر والنفقة ، وللمرأة بتسليم نفسها والطاعة ، ويدل لذلك قول الفقهاء : تجب النفقة بثلاثة أسباب : بالزوجية والقرابة والملك (١) .

وأصرح من ذلك قول ابن عابدين فى التعليق على قول الشارح (فتجب للزوجة بنكاح صحيح ، فلا نفقة على مسلم فى نكاح فاسد لانعدام سبب الوجوب ، وهو حق الحبس الثابت للزوج عليها بالنكاح) .

إذاً فالطاعة والقرار فى بيت الزوجية حق على المرأة للرجل بمقتضى عقد الزواج الذى يستلزم ثبوت موجبه ما لم يقصر الرجل أو يتكاسل فى طلب هذا الحق ، بذلك جرى العرف ، واستقر أمر الناس ، والمعروف عرفا كالمشروط نصا ، مع أنا لم نجد أمراً مجمعا عليه من سلف الأمة وخلفها مثل هذا الأمر ، لم يشذ عن ذلك فرد ولم يخرج عليه عالم ولا جاهل ، وليس للمرأة أن تمتنع عن تسليم نفسها للزوج بحال إذا طلب الزوج ذلك ، ما دام الزوج قد وفاها حقوقها من معجل صداق أو نحوه ، كما أنه ليس لها أن تنشز على زوجها أو تخرج من بيت الزوجية بغير وجه حق مشروع ، فإذا امتنعت المرأة عن تسليم نفسها أو نشزت بالخروج من بيت الزوجية بعد التسليم ، فللرجل فى هذه الحالة أن يمتنع عن الإنفاق عليها جزاء وفاقا على إهدارها لمقتضى العقد . خاصة وأن شرط النفقة تسليم نفسها أو تمكينه من السكنى معها فى بيتها ، أو يطالبها بالدخول فى بيت الطاعة أمام القاضى ليحكم له بذلك ، وليس قضاء القاضى فى هذه الحالة أمراً محتاجا إليه لأن ذلك ثابت بمقتضى العقد ، وإنما هو إعذار للمرأة أن ليس لها حق يخول لها الامتناع ، وإجبارها على الوفاء بمقتضى العقد .

وللسلطة التنفيذية أن تسلك الطرق القانونية فى إجبار المرأة على تنفيذ الحكم بشأن العقود المدنية الأخرى التى لا تجد إنكاراً من أحد ، أو تتخلص المرأة من ذلك بطلبها الخلع على مال تدفعه للزوج كتعويض عن إخلالها بمقتضيات عقد الزواج .

(١) فتح القدير باب النفقات .

هذا وحكم الطاعة وتنفيذه غاية العدالة . إذا علمنا أن الزوج إذا اعسر بنفقة الزوجة طلقت منه بأمر القاضى أو استدانت عليه أو حبس فى النفقة إذا ظهر غناه ومطله .

فلم تستبيح المرأة إذن حبس الزوج عند مطالبته بالنفقة وتنكر على الرجل استعمال حق ثابت له بمقتضى الشرع ..؟ لاشك أن هذا أمر يجافى الإنصاف وينافى العدالة أغرى المرأة به ما وصلت إليه من نيل بعض حقوق كانت محرومة منها وبعيدة عن متناولها ومساعدة بعض كتاب ممن أعطوا أنفسهم حق تصريف الأمور والتكلم فيما لهم وفيما ليس لهم من أمور لا يدركون معناها ، ولا يعرفون حقيقتها .

ولولا أن حق الرجل يضيع بحبس المرأة حتى تعود إلى عش الزوجية ويعود الحبس على الموضوع وهو تمكن الرجل من امرأته بالنقض ، لكان حبس المرأة فى السجن لا بيت الطاعة حتى تفتدى نفسها أو تعود إلى بيت الزوج غاية العدالة ومقتضى الحق .

ومن هذا كله نعلم أن الشرع لم يظلم المرأة ، ولم ينقصها حقا من حقوقها المشروعة بل كان رفيقاً بها غاية الرفق متسامحا معها إلى أبعد حدود الإنصاف لو أنها عقلت وأدركت !

بل إن الرجل لا يلجأ إلى طلب الحكم بالطاعة إلا إذا طالبت المرأة بالنفقة مع نشوزها ظالمة له معتدية على حقه .

ومع كل هذه الصيحات التى نسمعها من المرأة لا نسمع لها دليلا تستند إليه ، أو برهانا تعتمد عليه إلا مناداة ذلك لكرامة المرأة ، ولحقوق الإنسانية مع أن مثل ذلك لا يثبت حقا ، ولا ينفى تهمه .

وقد يكون فى هذا الحديث الذى نسوقه تعلة للمرأة وهو ما رواه البخارى والنسائى عن ابن عباس قال : جاءت امرأة ثابت ابن قيس بن شماس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله : إنى ما أعتب عليه فى خلق ولادين ولكنى أكره الكفر فى الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتردين عليه حديقته قالت : نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إقبل الحديقة وطلقها تطليقة حيث لم يجبرها عليه السلام على الطاعة .

والجواب عن ذلك يسير إذ أن زوجها لم يسبق منه طلبها فى بيت الطاعة كما أنه سلك معها أحد الطريقين المشروعين فى مثل هذه الحالة .

أحمد عبد الوهاب مجاهد
خريج الشريعة
ومدرس بمدرسة شبين الكوم الثانوية بنات

الأزهر حصن الإسلام :

الأزهر الشريف هو المعهد الإسلامى الأعظم الذى لايزال يحمل رسالة الإسلام كاملة إلى أمم الأرض كلها على اختلاف أجناسها

وتباين لغاتها وتعدد عناصرها وقد حافظ على التراث العربي والإسلامي طيلة عشرة قرون أو يزيد وما من عاصفة كانت تجتاح العالم الإسلامي إلا وتصدى لها الأزهر ممثلا في رجاله الأحرار فهزمها وقضى عليها قبل أن يستفحل خطرها ويعظم ضررها . وإن الدليل لقائم الآن فقد علم العالم كله جريمة العصابات الصهيونية المجرمة بإقدامها على تحريف القرآن الكريم وإرساله إلى البلاد الإسلامية النائية قاصدة بذلك تهديم عقيدة المسلمين وتحطيم كيانهم وشل حركتهم الإسلامية المباركة وسرعان ما نهض الأزهر المعمور ليرد على هذه العصابة المجرمة فعبأ جيشه العرمرم الفذ وجند رجاله الأبطال وعلى رأسهم الأستاذ الأكبر ليحذر المسلمين في مختلف ديارهم من هذه الجريمة النكراء التي قامت بها عصابات صهيون الغادرة . وهكذا أثبت الأزهر أنه حصن الإسلام المنيع ومأوى الدعوة إذا ما ادلهم الخطب وحزب الأمر ودهم المجرمون حمى الإسلام والعروبة . .

ومما لاريب فيه أن العلوم قد انتهت إلى هذا الأزهر المعمور من جميع أنحاء العالم الإسلامي وأسلمت الحضارة إليه زمامها وحطت في أروقته رجالها وسلمته الأمانة الغالية فكان أميناً عليها محافظاً على تراث الإسلام عاملا على نشره وبعثه في أمم الأرض ، فأصلح الحياة بعد أن كان الفساد قد استشرى في جوانبها وامتد في أنحائها . .

ولا غرو فإن هذه الجامعة الأزهرية العظمى تحمل الرسالة الأخيرة إلى أهل الأرض رسالة الأفكار المثالية والأخلاق العالية والسلوك الحسن والمقومات الإسلامية العظيمة والحضارة الإسلامية التي نفاخر بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وصدق الله العظيم « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » .

واليوم وصاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر قد قام برحلته المباركة إلى بعض الأقطار الاسلامية واطلع على أحوال المسلمين وما يتلمسون ويعانون من مشاكل اجتماعية ودينية ومذهبية فإن آمالهم أضحت منوطة بالأزهر وأنظارهم غدت إليه متطلعة وقلوبهم به متعلقة . فهل يحقق الأزهر الشريف أمل المسلمين في العالم الاسلامي الكبير وهل يستجيب لدعوتهم في التوجيه والإرشاد فيكون قائدهم إلى كل خير ونهضة شاملة حتى يحقق هذا العالم الإسلامي مطالب العالم الإنساني وحاجاته ويعالج مشاكله وعلله وما يستجد من حوادث في المجتمع الإسلامي بحلول نافعة مفيدة وأساليب سليمة صحيحة تقوم على الكتاب الكريم والسنة الهادية الرشيدة ؟ !

إن الإسلام إذا وجد رجالا يجددونه كان

اصلح المبادىء للحياة وأرقى النظم المعاصرة للبشرية اليوم فإن العدل الذى جاء به الإسلام والسياسة التى رسمها لأتباعه هى أقوى الدعائم التى ظهرت وتظهر فى هذه المعمورة ، يقول الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات حفظه الله ذخرا للإسلام والمسلمين « أعتقد أن العروبة إذا انحدت كانت بقوميتها أساسا لنهضة الشرق وأن الشرق إذا نهض كان بطبيعته أضمن للسلام من الغرب ، وأن الإسلام إذا تجدد كان بسياسته أصلح لإقرار العدل من كل نظام وأن الأزهر إذا أصلح كان بثقافته أهدى إلى تربيتنا من أى جامعة » وقد تحقق بعون الله وقوته تجديد الأزهر فهو اليوم يدرس لأبنائه الذين يرعاهم ويربيهم ويعلمهم من البعوث الاسلامية وغيرهم كل أنواع العلوم والفنون وشتى المعارف والآداب ، لذلك فنحن معشر المسلمين فى غنى بثقافتنا الاسلامية العربية التى تحمل الخير والرحمة والسلام إلى الإنسانية ، عن حضارة الغرب التى تهدد العالم بالدمار والخراب وتنذر البشرية بالزوال والفناء ، والقائم على حراسة هذه الحضارة الإسلامية البناءة اليوم هو الأزهر المعمور قبلة المسلمين فى العلوم والآداب والفقه والحديث الخ . . .

فاللهم إنا نضرع إليك أن تهيىء الإسلام رجالا عاملين فى سبيل نشر هذه الرسالة ليبعث الروح الإسلامى من جديد وتسعد الإنسانية كما سعدت من قبل بهذا الدين الحق دين الإنسانية جمعاء . يقول الأستاذ حسن جاد المدرس فى كلية اللغة العربية من قصيدة هنأ فيها الأستاذ الأكبر بمناسبة تعيينه شيخا للجامع الأزهر :

أعد لأزهرنا قدسيّ منصبه
فطالما اهتز من ذل وخذلان
وصد عنه تعلات يروجها
مروجو الزيف من زور وبهتان
اجعله جامعة معنى وتسمية
فما نعلل عن حق بعنوان
وألق فى مسمع الدنيا بصيحته
حتى يردد مسراها السماكان
ولا تخيب رجاء فيك منعقدا
فأنت أدرى بآلام وأشجان

حسن عمر عمر

حول كتابة المصحف :

يرى الأستاذ محمد رجب البيومى تيسيرا لتلاوة المصحف ـ أن يكتب بقواعد الإملاء الحديث ، تاركين الرسم العثمانى ، وسرد أمثلة من هذا الرسم تظهر مدى المخالفة بين الرسمين ، وهذه الأمثلة التى ساقها نقسمها أربعة أقسام متبعين كل قسم بما نراه .

١ ـ الكلمات : يائس ـ يتلوا ـ

لاأذهبنه - بأبيد - لشاىء ، وهذه يرى كتابتها على ما توجبه قواعد الإملاء الحديث خالية من الحروف الزائدة ، ومثل هذه لانتازع الأستاذ فيها ، ولانرى حاجة - بله الضرورة - إلى الاستمساك بها . على أن لنا هنا ملاحظتين أولاهما قلة هذا النوع فى المصحف وأخراهما أن الإملاء الحديث لم يخل من مثل تلك الزيادة ، بل النقص كما فى مثل : هـذا وهؤلاء - أولئك ولكن والأولى .

٢ — الكلمات مصرا - لكنا . وهذه يرى كتابتها هكذا : مصر - لكن ، وهنا نرى أن الأخ قد غفل - ولا أقول : قد جهل ، فهو من قد علمت — عن حقيقة الكلمتين فكلمة « مصرا » فى قوله تعالى : اهبطوا مصرا منونة : لذلك تلزمها الألف رسما ونطقا عند الوقف ، كما نقول نزلت بلداً فليس يصح أن نقول : بلد ، ومصر فى هذه الآية غيرها فى قوله : أليس لى ملك مصر ، فهذه علم ممنوع من التنوين ، وتلك نكرة منونة .

وكلمة : لكنا ، ليست أداة الاستدراك فقط : لكن ، رسمت فى المصحف بزيادة ألف ، ولكنها كلمتان : لكن والضمير : أنا ، وبهما قرأ أبىّ . وألف أنا تثبت كتابة ونطقا عند الوقف ، وعلى مثل هذا شواهد فى اللغة العربية .

٣ — الكلمات : ثمودا - سلاسلا . يرى كتابتها : ثمود - سلاسل ، ونحن نقول : إن هناك نوعا من الكلمات فى المصحف يدل برسمه على لهجة عربية يقرأ بها ، ومن ثم قالوا : إن كل قراءة وافقت رسم المصحف قالوا صحيحة ، وهاتان اللفظتان قرئتا بالتنوين .

٤ — الكلمة : الظنونا : يرى كتابتها الظنون ، ونحن نقول :

أولا ، إن مثل هذه الألف معروف فى اللغة ومنه :

« أقلى اللوم عاذل والعتابا » .

ثانيا : لو كتبت الكلمة على ما يراه لنطقت نونا من غير ألف عند الوقف وهو مايخالف قراءة حفص التى رسم بها المصحف .

وأخيرا للأخ الفاضل الشكر على رغبته فى تيسير تلاوة القرآن .

عبد المجيد عامر صبح
المدرس بمدرسة النهضة الإعدادية بالمنصورة

أنباء الثقافة

• رشح مجمع اللغة العربية الأستاذ أحمد حسن الزيات لنيل جائزة الدولة التقديرية فى الأدب ورشح المجمع الأستاذ الدكتور عبد الحميد بدوى لنيل هذه الجائزة فى العلوم الاجتماعية.

• فى الشهر الماضى احتفلت روسيا وشاركتها فى ذلك الأوساط الثقافية والأدبية فى العالم بمرور خمسين سنة على وفاة تولستوى القصاص والمصلح الإنسانى العظيم مؤلف : الحرب والسلام وأناكارنينا ، ولتولستوى دراسات عن الإسلام تتسم بالشجاعة والإنصاف والتقدير لدين الله الخالد . ووجدت فى أوراقه إشارات إلى أنه وضع كتابا عن النبى محمد عليه السلام وقد وجدت أصول الكتاب بعد وفاته ولكنه لم ينشر ، لا فى عهد القيصرية ولا فى عهد الشيوعية .

• تلقت الهيئات الرسمية فى القاهرة تقارير من بعض سفارات الجمهورية العربية فى أوربا الغربية تتضمن أنباء عن نشاط كبير تقوم به « القاديانية » بين الطلبة العرب فى جامعات تلك البلاد .

وقد كلفت وزارة الأوقاف الدكتور عبد الحليم محمود والشيخ السيد سابق والأستاذ على منصور المستشار بوضع رسالة عن « القاديانية » ومبادئها وخروجها على تعاليم الإسلام وسترسل هذه الرسالة إلى السفارات العربية فى أوربا لتقاوم بها نشاط القاديانية .

• أنشىء فى « أكرا » عاصمة غانا مكتب ثقافى عربى يتحول قريبا إلى مركز ثقافى يضم مجموعة كبيرة من الكتب العربية .

• فى مسابقة « شباب الجامعات » نجح فى الشعر اثنان وعشرون متسابقا . كان أول الجميع من الأزهر هو الطالب محمد أحمد العزب

• يصدر قريبا كتاب جديد للأستاذ أمين الخولى عنوانه « تجديد الدين » .

• تقوم وزارة التربية والتعليم فى الجمهورية العربية المتحدة ، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلن الأمريكية للطباعة والنشر ، بالعمل على تخطيط برنامج لترجمة الكتب والمراجع التى يحتاج إليها طلبة الكليات غير النظرية والمعاهد الفنية ، على أن يتم ذلك فى ثلاث سنوات .

• أصدر سماحة السيد مرتضى العسكرى من كبار علماء النجف الأشرف بالعراق كتابا

عن : « عبد الله بن سبأ » وهو بحث وتحقيق فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون عن ابن سبأ وقصص إسلامية أخرى منذ القرن الثانى الهجرى حتى اليوم .

• تقرر إنشاء ٢٥ جامعة صغيرة فى محافظات الإقليم الجنوبى خلال السنوات الخمس القادمة . تنشأ الأولى منهما فى المنصورة والثانية فى أسوان وتتفرع من هذه الجامعات مراكز فى المدن والقرى الرئيسية . وتقام كل جامعة على ثلاثة أفدنة ويشترك الاتحاد القومى مع وزارة الثقافة والإرشاد فى تنفيذ هذا المشروع .

وتضم كل جامعة من هذه الجامعات عدة منشئات منها مكتبة عامة ومجموعة من غرف البحث والدراسة والاطلاع ومكتبة خاصة للسيدات وأخرى للأطفال وقاعة للمتاحف الدراسية الدائمة ، ووحدة صحية وملاعب رياضية .

كما تقرر إنشاء مكاتب دينية فى المساجد ، وأخرى عامة فى القهوات .

• صرح السيد على محمد هرابة وزير الاستعلامات الصومالى ، الذى زار القاهرة أخيراً ، بأن حكومة الصومال قررت استعمال اللغات العربية والإيطالية والانجليزية لغات أصلية إلى أن تتم كتابة الأحرف الجديدة للغة الصومالية التى تستعمل فى الحديث ولكنها لا تكتب.

وفى الصومال اتجاه لاستعمال الحروف العربية فى الكتابة وآخر لاستعمال الحروف اللاتينية .

• عقد مؤتمر عام فى كلية دار العلوم لدراسة تيسير قواعد اللغة العربية .

وحضر المؤتمر ممثلون عن الجامعات فى الجمهورية العربية المتحدة ورجال وزارتى التربية فى الإقليمين ، والأزهر .

• تقرر قبول عشرة من طلاب تايلاند لدراسة الثقافة الإسلامية واللغة العربية فى الأزهر . ويصل هؤلاء الطلاب إلى القاهرة فى وقت قريب .

• يفتتح قريبا معهد عال لدراسة اللغات الإفريقية والآسيوية يقبل فيه خريجو كليات الأزهر .

• احتفل فى برلين بمرور ١٥٠ سنة على إنشاء جامعة « هومبولت » واشترك فى هذه الاحتفالات مدير جامعة عين شمس ووكيل جامعة القاهرة ممثلين للهيئات الثقافية فى الجمهورية العربية المتحدة .

• تمت فى الباكستان ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإفريقية « السواحلية »

• افتتحت فى بيروت الجامعة العربية . تم فيها إنشاء كليتى الآداب والحقوق واختير أساتذتها من أساتذة كليتى عين شمس والإسكندرية . وهذه الجامعة هى الرابعة فى لبنان وأحدثها إنشاء . والأولى هى

الجامعة الأمريكية التي أنشئت من مائة سنة . ثم جامعة سان جوزيف الفرنسية ، ثم الجامعة اللبنانية .

- قبل الأزهر منحة دراسية لأربعة من خريجيه للدراسة فى الجامعات الأمريكية . واختير لهذه الدراسة كل من الأساتذة عبد المحسن البيلى لدراسة علم الاجتماع ، وإبراهيم محمود شلبى للتربية وعلم النفس ، ومحمد فوزى السعيد للفلسفة ، ومحمد كامل تاج الدين للغة الانجليزية .
- أمر جلالة الملك سعود ملك المملكة العربية السعودية بإنشاء جامعة إسلامية فى المدينة المنورة .
- زار القاهرة فى الشهر الماضى السيد بديع الدين محمود وزير المعارف والثقافة فى سيلان واجتمع بالسيد وزير التربية والتعليم المركزى لبحث التعاون الثقافى بين الجمهورية العربية وسيلان .

كما اجتمع بفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، حيث بحث مع فضيلته مشروع إنشاء معهد للدراسات الإسلامية والعربية بكولمبو يمده الأزهر بالأساتذة ، ويضع مناهجه .

- ظهر كتابان باللغة الفرنسية عن حجة الإسلام الغزالى . أحدهما لمؤلف عربى من لبنان هو الدكتور فريد جبر ، وثانيهما للمستشرق الفرنسى « موريس بويج » موضوع الكتاب الأول : « نظرية المعرفة عند الغزالى » والثانى موضوعه «مؤلفات الغزالى ورسائله» التى زادت على الأربعمائة. وسيقيم المجلس الأعلى للفنون والآداب مهرجانا لمناسبة ذكرى الغزالى المئوية التاسعة يعقد فى دمشق .
- زار القاهرة السيد « همايون كبير » وزير العلوم والثقافة فى الهند لإجراء مباحثات ثقافية مع المسئولين فى الجمهورية العربية المتحدة ، ولحضور الاحتفال الذى أقامه وزير التربية التنفيذى لمناسبة مرور مائة سنة على مولد الشاعر الهندى الكبير طاغور .

وطاغور هو الأديب الشرقى الوحيد الذى نال جائزة نوبل العالمية .

والسيد همايون كبير هو رئيس مجلس الهند للروابط الثقافية الذى يشرف على مجلة « ثقافة الهند » التى تصدر باللغة العربية .

- زار القاهرة المستشرق السوفيتى بوجين بيلاييف بدعوة من وزارة الثقافة والإرشاد القومى .

وتباحث الأستاذ بيلاييف مع المسئولين فى الجمهورية العربية المتحدة فى مشروع لنشر المخطوطات العربية الكثيرة الهامة التى توجد فى مكتبات الاتحاد السوفيتى .

عن : « عبد الله بن سبأ » وهو بحث وتحقيق فيما كتبه المؤرخون والمستشرقون عن ابن سبأ وقصص إسلامية أخرى منذ القرن الثانى الهجرى حتى اليوم .

• تقرر إنشاء ٢٥ جامعة صغيرة فى محافظات الإقليم الجنوبى خلال السنوات الخمس القادمة . تنشأ الأولى منها فى المنصورة والثانية فى أسوان وتتفرع من هذه الجامعات مراكز فى المدن والقرى الرئيسية . وتقام كل جامعة على ثلاثة أفدنة ويشترك الاتحاد القومى مع وزارة الثقافة والإرشاد فى تنفيذ هذا المشروع .

وتضم كل جامعة من هذه الجامعات عدة منشئات منها مكتبة عامة ومجموعة من غرف البحث والدراسة والاطلاع . ومكتبة خاصة للسيدات وأخرى للأطفال وقاعة للتاحف الدراسية الدائمة ، ووحدة صحية وملاعب رياضية .

كما تقرر إنشاء مكاتب دينية فى المساجد ، وأخرى عامة فى القهوات .

• صرح السيد على محمد هرابة وزير الاستعلامات الصومالى ، الذى زار القاهرة أخيراً ، بأن حكومة الصومال قررت استعمال اللغات العربية والإيطالية والانجليزية لغات أصلية إلى أن تتم كتابة الأحرف الجديدة للغة الصومالية التى تستعمل فى الحديث ولكنها لا تكتب.

وفى الصومال اتجاه لاستعمال الحروف العربية فى الكتابة وآخر لاستعمال الحروف اللاتينية .

• عقد مؤتمر عام فى كلية دار العلوم لدراسة تيسير قواعد اللغة العربية .

وحضر المؤتمر ممثلون عن الجامعات فى الجمهورية العربية المتحدة ورجال وزارتى التربية فى الإقليمين ، والأزهر .

• تقرر قبول عشرة من طلاب تايلاند لدراسة الثقافة الإسلامية واللغة العربية فى الأزهر . ويصل هؤلاء الطلاب إلى القاهرة فى وقت قريب .

• يفتتح قريبا معهد عال لدراسة اللغات الإفريقية والآسيوية يقبل فيه خريجو كليات الأزهر .

• احتفل فى برلين بمرور ١٥٠ سنة على إنشاء جامعة « هومبولت » واشترك فى هذه الاحتفالات مدير جامعة عين شمس ووكيل جامعة القاهرة ممثلين للهيئات الثقافية فى الجمهورية العربية المتحدة .

• تمت فى الباكستان ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الإفريقية « السواحلية » .

• افتتحت فى بيروت الجامعة العربية ، تم فيها إنشاء كليتى الآداب والحقوق واختير أساتذتها من أساتذة كليتى عين شمس والإسكندرية . وهذه الجامعة هى الرابعة فى لبنان وأحدثها إنشاء . والأولى هى

الجامعة الأمريكية التى أنشئت من مائة سنة . ثم جامعة سان جوزيف الفرنسية ، ثم الجامعة اللبنانية .

• قبل الأزهر منحة دراسية لأربعة من خريجيه للدراسة فى الجامعات الأمريكية . واختير لهذه الدراسة كل من الأساتذة عبد المحسن البيلى لدراسة علم الاجتماع ، وإبراهيم محمود شلبى للتربية وعلم النفس ، ومحمد فوزى السعيد للفلسفة ، ومحمد كامل تاج الدين للغة الانجليزية .

• أمر جلالة الملك سعود ملك المملكة العربية السعودية بإنشاء جامعة إسلامية فى المدينة المنورة .

• زار القاهرة فى الشهر الماضى السيد بديع الدين محمود وزير المعارف والثقافة فى سيلان واجتمع بالسيد وزير التربية والتعليم المركزى لبحث التعاون الثقافى بين الجمهورية العربية وسيلان .

كما اجتمع بفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر ، حيث بحث مع فضيلته مشروع إنشاء معهد للدراسات الإسلامية والعربية بكولمبو يمده الأزهر بالأساتذة ، ويضع مناهجه .

• ظهر كتابان باللغة الفرنسية عن حجة الإسلام الغزالى . أحدهما لمؤلف عربى من لبنان هو الدكتور فريد جبر ، وثانيهما للمستشرق الفرنسى « موريس بويج » موضوع الكتاب الأول : « نظرية المعرفة عند الغزالى » ، والثانى موضوعه « مؤلفات الغزالى ورسائله » التى زادت على الأربعمائة . وسيقيم المجلس الأعلى للفنون والآداب مهرجانا لمناسبة ذكرى الغزالى المئوية التاسعة يعقد فى دمشق .

• زار القاهرة السيد « همايون كبير » وزير العلوم والثقافة فى الهند لإجراء مباحثات ثقافية مع المسئولين فى الجمهورية العربية المتحدة ، ولحضور الاحتفال الذى أقامه وزير التربية التنفيذى لمناسبة مرور مائة سنة على مولد الشاعر الهندى الكبير طاغور .

وطاغور هو الأديب الشرقى الوحيد الذى نال جائزة نوبل العالمية .

والسيد همايون كبير هو رئيس مجلس الهند للروابط الثقافية الذى يشرف على مجلة « ثقافة الهند » التى تصدر باللغة العربية .

• زار القاهرة المستشرق السوفيتى بوجين بيلاييف بدعوة من وزارة الثقافة والإرشاد القومى .

وتباحث الأستاذ بيلاييف مع المسئولين فى الجمهورية العربية المتحدة فى مشروع لنشر المخطوطات العربية الكثيرة الهامة التى توجد فى مكتبات الاتحاد السوفيتى .